رَفْرَفُ العِنَايَةِ

فِي الوِرَاثَةِ وَالوِلَايَةِ

تصنيف

الأستاذ الأعظم السيد بهاء الدين محمد مهدي الخزامي الصيادي

الشهير بالرواس

(المتوفى سنة ١٢٨٦ هـ)

تحقيق وتعليق وتخريج

الشيخ أحمد فريد المزيدي



دار الآفاق العربية

الرواس ، محمد مهدي بن علي الصيادي
رفرف العناية (في الوراثة و الولاية)
تصنيف : بهاء الدين محمد مهدي الخزامي (الرواس . مستعار)
تحقيق و تخريج و تعليق : الشيخ أحمد فريد المزيدي
ط1 – القاهرة : دار الآفاق العربية 2010
211 ص ، 24 سم
تدمك : 7 - 162 – 344 – 977 – 978
1- المواريث
أ- المزيدي ، أحمد فريد
ب- العنوان
ديوى : 253.901
رقم الإيداع :2009/21252

الطبعة الأولى
1431 هـ – 2010

دار الآفـــاق العربيـــة
نشر – توزيع – طباعة
55 ش محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 22617339 تليفاكس : 22610164
EMIL: daralafk@yahoo . com
EMIL:selimafak@live.com



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الحكيم العليم، الرؤوف الرحيم، الذي أودع قلوب أوليائه طرائف الحِكَم، ورفع عنها كثائف أستار الظلم، وأنارها بنور معارف قدسه، وفاتحها بفتح خطابه وأُنسه، لذلك كانت علومهم من فيض المواهب لا من تعنت البحث وتعب المكاسب.

فسبحان من وهب في لمحة من شاء كيف شاء، لأنه تعالى إذا شاء أنشأ، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

أحمده على ما وهب من إفضاله، وأشكره على جزيل نواله.

وأشهد أن لا إله إلا الله جواد غمر بجوده جميع الكائنات، وعمَّر بسره السرائر فكانت به أوسع من الأرضين والسموات.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ﷺ بحر المعارف الربانية ومنبع العلوم اللدنية.

صلى الله عليه وآله صلاة أزليَّة ذاتية، تليق بقدس كماله الأقدس، وتصلح لكبير مقام جلاله الأنفس، وتتحف قائلها بشهود جماله الأنس، بمعارف تفوق أُنس ظباء الحي في المكنس.

ورضي الله عن أصحابه سيوف الحق وعيون الحقائق، وعقود الطرق ونجوم الطرائق، وعن التابعين لهم في التخلق والموافقين للأخلاق ما اكتسب مكتسب ووهب ذلك الخلاَّق.

أما بعد ... فهذا كتاب قيم عظيم يحتاجه كل سالك إلى الله رب العالمين، يقتفى آثار النبي الهادي الأمين سيدنا محمدٍ – صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أجمعين- راجيًا سبيل السادة الكُمَّل الصالحين.

ألا وهو كتاب «رفرف العناية» لإمام الأئمة سيدي بهاء الدين الرواس- قدس سره ونفعنا به- قد دفعنا الوجد والشوق والالتحاق بذوي الذوق إلى تحقيق هذا الكتاب

العظيم المبارك الذي يدور موضوعه في الإرث والولاية ودرجات الوصول لحضرة القَبول.

فبادرت بتحقيقه والتعليق والتخريج عليه، مستفيدًا ممن سبقنا من أئمة هذا الفن ودراية التحقيق، وقد سبق أن طبع مرة واحدة قديمًا باعتناء الشيخ العارف سيدي عبد الحكيم- قدس سره-.

وإنه من دواعي حُسن الذكر وجزيل الشكر لمن أمرني بذلك ودعاني لتحقيق هذا الكتاب مبشرًا بالفقير أنه ممن ينشر علمه ويحي في هذا العصر علمه وتراثه.

هذا .. فمن تمام الفائدة أوردت لك في التقديم: تحفة لطيفة في ذكر شيخ السجادة الشريفة- سيدي أحمد الرفاعي- قدس سره.

وآخرًا نسأل الله الإخلاص والقبول والتوفيق لما فيه الخير للعباد، وأن يهدينا سبيل الرشاد.

والله من وراء هذا القصد، وهو ولي التوفيق والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كثيرًا.



تحفة لطيفة
في
ذكر شيخ السجادة الشريفة
سيدي أحمد الرفاعي

قال الشيخ العيدروس في كتابه «النجم الساعي»: كان السيد أحمد الرفاعي عالمًا، حكيمًا متورعًا، متواضعًا قانعًا، قاطعًا عمره في الرياضة، أسمر اللون، متوسط القد، نيِّر الوجه، شعره أسود، وفي صدره شعر أسود، كريم الخلق، صاحب أسرار خارقة، وأطال في توصيفه، قدس سره.

وقال السيد عز الدين أحمد الصياد ـ قدس الله سره ـ في كتابه «الوظائف الأحمدية»: كان السيد أحمد ﷺ ربعة من القوم، أسمر أزهر، خفيف العارضين، وسيع الجبهة، أسود العينين، مدور الوجه، حسن المبسم، إذا تكلم سلب القلوب، وإذا سكت أهابته، ونص الرجال من الحفاظ والأشياخ المكرمين الذين خدموا سدته الأحمدية فأفردوه بالتأليف أنه كان يلبس قميصًا أبيض، ورداءً أبيض، وخُفًّا من صوف أبيض، ويتعمم بعمامة سوداء دسماء، وفي بعض الأحيان يتعمم بالبياض، وكان رفيع القوام، نحيف الوجود، كثير التبسم، قليل الضحك، مكينًا في طوره، ذا هيبة عظيمة لا يتمكن جليسه من إباحة النظر إليه، هذا مع رفقه، وظرافة طبعه وخلقه، ورقة شيمه؛ وذلك لما اشتمل عليه من العلم، والعقل، والعبادة، والكمال، والفضائل، والمجد، وجلو القلب والكرم، والخوارق الغز، والحكمة البارعة، والسنن المحمدي، ورفعة القدر، وبعد الصيت والشهرة، والشأن الوحيد في عصره، نفعنا الله والمسلمين به.

قال الحافظ تقي الدين الواسطي ـ قدس سره ـ في كتابه «ترياق المحبين» ما ملخصه: حصيت الرقاع التي وردت للسيد أحمد الرفاعي ﷺ في السنة السابعة من تصدره على بساط المشيخة بعد خاله الشيخ منصور ـ يريد بها سنة سبع وأربعين وخمسمائة ـ فبلغت إلى سبعمائة ألف رقعة كلها من مريديه الذين دخلوا الخلوة المحرمية.

قلت: قوله: الخلوة المحرمية هي من مراسم الطريقة الرفاعية، في كل سنة يعتكفون

سبعة أيام، أولها اليوم الحادي عشر من شهر محرم الحرام، وذكر الإمام ابن الجوزي في تاريخه: إنه كان عند السيد أحمد ﷺ ليلة نصف شعبان وعنده أكثر من مائة ألف إنسان من الزائرين، وقد قام بكفاية الجميع.

وذكر الإمام الشعراني في «طبقاته» والمناوي في «الكواكب الدرية» أن مريدي سيدنا السيد أحمد الذين يحضرون مجلس درسه ووِرده المبارك كل يوم في رواقه العالي ستة عشر ألفًا، ويمد لهم السماط صباحًا ومساءً، ويؤيد ذلك ما ذكره الإمام ابن الجوزي في تاريخه أنه كان عند السيد أحمد ﷺ ليلة النصف من شعبان وعنده أكثر من مائة ألف إنسان من الزائرين، وقد قام بكفاية الجميع.

ويؤكد هذه الروايات المتواترة ما رواه الحافظ الإمام تقي الدين الواسطي في كتابه «ترياق المحبين» أن قناطر الرواق الأحمدي كانت عام خمسين وخمسمائة، أربعة آلاف قنطرة، وبناؤه أربع حلق، كل حلقة تضم الأخرى، وفي رواقه من أتباعه ومريديه عشرون ألفًا، ويمد لهم السماط صباحًا ومساءً، وهو وأهل بيته كآحاد الفقراء؛ لا يملكون شيئًا من عرض الدنيا.

وقال العلامة ابن الأثير في «تاريخه» عند ذكره ﷺ: كان صالحًا، ذا قبول عظيم عند الناس، وله من التلامذة مالا يحصى، ومثله قال القاضي أبو الوليد بن الشحنة، وقال الإمام الذهبي في «مختصره» وفي كتاب «دول الإسلام» عند ذكره بعد أن وسمه بسيد العراقيين، الزاهد الكبير، سلطان العارفين في زمانه: إن أتباعه لا يحصى عددهم، وأطنب بذكره، وأطال بترجمته، وذكر بعض ما يليق بشأنه العالي.

وقال شمس الدين يوسف أبو المظفر في «تاريخه» ـ بعد كلام طويل عند ذكر سيدنا المشار إليه، ونقل بعض كراماته وخوارقه العلية ـ : وكان يجتمع عنده كل سنة في الموسم خلق عظيم لا يحصى عددهم.

وقال الواسطي في «خلاصة الإكسير»: كان رجال العصر يسمون السيد أحمد الرفاعي ﷺ قبلة القلوب؛ لشدة ارتباط قلوب الناس ومحبتهم له، وإجماعهم عليه، وهو الحقيق بذلك، فإنه بركة العصر وإمامه، ومرشده إلى الله، وهاديه إلى طريقة الله، وشريعة جده رسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد بن جلال اللاوي ثم المصري في كتاب «جلاء الصدا» : كان السيد أحمد الرفاعي يسكت حتى يقال: إنه لا يتكلم، فإذا تكلم بل بعذوبة كلامه الغليل، وداوى العليل ترك نفسه وتواضع للناس من غير حاجة، وكظم غيظه من غير ضجر، وكان لين العريكة، هين المؤنة، سهل الخلق، كريم النفس، حسن المعاشرة، بسامًا من غير ضحك، محزونًا من غير عبوس، متواضعًا من غير ذلة، جوادًا من غير إسراف، اجتمعت فيه مكارم الأخلاق.

كان فقيهًا عالمًا، مقرئًا مجودًا، محدثًا مفسرًا، وله إجازات و روايات عاليات، إذا تكلم أجاد، وإذا سكت أفاد، يأمر بالمعروف لأهله، وينهى عن المنكر وفعله، كان كهف الحرائر، وملجأ المحتاجين، وكعبة القاصدين، أبًا للأرامل والأيتام، يعطي من غير سؤال، ويمنح من غير إهمال، وإذا قال قولًا أتبعه بصحة الفعل وصدق القول، ولم يخالف قوله فعله قط.

وقال القاضي ابن خلكان في «تاريخه» عند ذكره بعد كلام ما ملخصه: كان رجلًا صالحًا، فقيهًا، شافعي المذهب، وانضم إليه خلق عظيم، وأحسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه.

ولأتباعه أحوال عجيبة كالنزول في التنانير(١) وهي تنضرم بالنار فيطفئونها، ويركبون الأسود، ومثل هذا وأشباهه، ولهم مواسم يجتمع عندهم عالم لا يعد ولا يحصى، ويقومون بكفاية الكل، وأولاد أخيه يتوارثون المشيخة والولاية، وأمورهم مشهورة مستفيضة.

وقال الإمام الحجة علي أبو الحسن الواسطي في «خلاصة الإكسير»: كان سيدنا السيد أحمد الرفاعي ﷺ سيد أهل الحقيقة والشريعة في عصره، وإمام الوقت، حسيني النسب، محمدي القدم والمشرب، انتهت إليه مكارم الأخلاق، وبلغت عدة خلفائه وخلفائهم في حياته مائة وثمانين ألفا.

فائدة: أمَّا قول ابن خلكان: وأولاد أخيه يتوارثون المشيخة والولاية، فهو كلام مجمل يحتاج إلى تفصيل؛ ولذلك أردنا أن نبسط الكلام في هذا المقام بسطًا يسيرًا؛ ليقف

(١) جمع: تنور وهو الفرن يخبز فيه. المعجم الوسيط (١ / ١٨٦).

قارئ كتابنا هذا على ما يشفي غليله ويسره ، إن شاء الله.

قال السيد الإمام العلامة النسابة الشريف مؤيد الدين عبيد الله نقيب «واسط» المعروف بـ«ابن الأعرج الحسيني» في كتابه «بحر الأنساب»: بعد أن سلسل آل الإمام موسى الكاظم، وذكر فروعهم إلى السيد أبي القاسم محمد الجد التاسع للسيد أحمد الرفاعي الكبير ﷺ وعنهم أجمعين ما نصه:

وأمَّا أبو القاسم محمد فإنه بقي مقيمًا بمكة إلى أن توفاه الله، وعقبه من ولده المهدي وحده؛ فالمهدي هذا عقب عدنان، ويحيى، ورفاعة، ويقال له: الحسن المكي، وهو الذي نزل «بادية إشبيلية» بالمغرب مهاجرًا من مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة، السنة التي دخل فيها القرامطة ـ لعنهم الله ـ مكة، وقتلوا فيها ابن محارب أمير مكة، وقد عظَّم سلاطين المغرب رفاعة الحسن المكي المذكور، ورفعوا منزلته، وعلا قدره، وكبر أمره، وأعقب عليًّا، وسعدًا، وعمران، وبركات.

فأمَّا سعد وعمران وبركات، فكلهم معقبون، وذريتهم في المغرب يلزم السؤال عنها لتذكر واضحة، وأمَّا علي فإنه أعقب أحمد، ورفاعة، وكنانة، وهزاعًا،و غالبًا ولكلهم ذرية؛ فأحمد أعقب حازمًا، وحازم أعقب الثابت وعبد الله ومحمد عسلة، وعبد الله سكن المدينة المنورة وله فيها العقب الصالح.

وأمَّا الثابت: فإنه أعقب يحيى، وله ذرية مباركة سيأتي ذكرها، وأمَّا محمد عسلة، فإنه أعقب حسنًا ولم يعقب غيره، ثم إن يحيى بن الثابت خرج من المغرب إلى الحجاز ومعه ابن عمه حسن بن عسلة بن حازم مراهقًا، وبيد حسن تواقيع الملوك، وقضاة المغرب، وخطوط الأشراف، والعلماء والأشياخ العارفين بالله، وبها يذكرون نسبه مسلسلاً إلى النبي ﷺ، فلما وصل الحجاز حُررت أسماء رجال نسبته الطاهرة في جريدة الشرف المشجرة بعد استيفاء شروط الثبوت المرعى شرعًا، وعلقت في الكعبة.

ووقع له على رفعة نسبته الشريفة ملوك الحرمين الأشراف والسادات، ثم العلماء والشيوخ والصلحاء، وما أقره القدر في الحجاز فنزل العراق ودخل البصرة عام خمسين وأربعمائة، واشتهر بها بالزهد والصلاح، واعتقده الخلفاء وأكرموا قدمه، وصاهر الأنصار سكان «واسط» وبقيت ذريته في البصرة إلى عهد ابنه السيد علي أبي الحسن؛ فإنه نزل

«واسط» وتزوج من أخواله الأنصار بالأصيلة فاطمة أخت شيخ الشيوخ، إمام الوقت، مقتدى الصوفية، جامع أشتات المعاني، الباز الأشهب منصور البطائحي الرباني ـ قدس سره ـ فأعقب منها ذرية أعظمها مقامًا، وأجمعها للفتح نظامًا سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني ﷺ وعنهم أجمعين.

فعلى هذا نسب بني رفاعة، وعقبه الحسيني المكي المغربي، ثم البصري، ثم الواسطي، نسب صح اتصاله برسول الله ﷺ عند أهل الآفاق، وثبت لدى إجماع أفاضل المسلمين الصادقين في الحجاز والمغرب والشام والعراق، لا يشك فيه من الأوائل والأواخر رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، نعمت الشجرة، ونعمت الثمرة والسلام.

قال شيخنا نظام الدين أبو الحرث محمد الواسطي بن محمد بن يحيى بن هبة الله بن ميمون نقيب مكة الحسيني في «مشجره»: إن السيد يحيى المغربي المكي الحسيني أول قادم من عصابة بني رفاعة الحسينيين إلى البصرة، نزلها عام خمسين وأربعمائة، السنة التي دخل فيها البساسيرى بغداد، وخطب بجامع المنصور للمستنصر به العلوي خليفة مصر، وأذَّن بحي على خير العمل، وأحيى البدعة، وأظهر التشيع، ونهب دار الخلافة وحريمها، وحمل الخليفة القائم بالله في هودج وأرسله مع ابن عمه مهارش إلى «حديثة عانة».

وسار أصحاب الخليفة إلى طغرل بك، فسار طغرل بك إلى العراق لرد الخليفة القائم بالله إلى خلافته، فلما وصل بغداد استقدم مهارشًا صحبة الخليفة، وتلقي الخليفة بالخيول والآلات والخيام العظيمة، وأخذ بلجام بغلة الخليفة إلى داره، يوم الإثنين لخمس بقين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، ووقف طغرل بك بباب الخليفة مكان الحاجب، وقاتل البساسيري فقتله، وبعث برأسه إلى الخليفة، وأخذت أمواله ونساؤه وأولاده[1].

وفي ذلك العام فوَّض الخليفة القائم نقابة الأشراف بالبصرة إلى السيد يحيى الرفاعي الحسيني؛ لِمَا شاع عنه من الزهد والصلاح، والتمسك بالسنة السنية، والعمل بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ طمعا بإزالة فتنة الرافضة على يديه، وكتب له كتابًا غير توقيع النقابة أخذه صاحب المصطلح الشريف، وبنى عليه كتابه.

---

(١) انظر: «سمط النجوم العوالي» (٢/ ٢٧٥).

أقول: وذكر الشريف بن الأعرج كتاب الخليفة بنصه، ثم قال بعد ذكر الكتاب ما لفظه: فعمل السيد يحيى بهذه الوصية، وأيّد الله على يديه السنة السنية مع حفظ شرف العترة النبوية، والجرثومة الفاطمية، وعكفت عليه القلوب، وتعلّق به المسلمون تعلق المحب بالمحبوب، ثم تزوج بالأصيلة الحسيبة علماء الأنصارية بنت الشيخ أبي سعيد التجاري الأنصاري البطائحي؛ فأولدها السيد عليًا أبا الحسن دفين رأس القرية محله ببغداد، فلما كبر قدم البطائح وسكن أم عبيدة، وتزوج ببنت خاله فاطمة أخت الشيخ الإمام منصور الرباني البطائحي، فأولدها القطب الجليل الشريف الأصيل، إمام الزمان، حجة الله على أهل العرفان، السيد أحمد الكبير الرفاعي، شيخ الطوائف وإمام الصوفية، ثم السيد عثمان والسيد إسماعيل وست النسب.

فإسماعيل أعقب أحمد وعثمان أعقب فرجًا ومباركًا، وأمّا ست النسب فإن حسن بن عسلة بن حازم الذي قدم مع ابن عمه النقيب يحيى الحسيني الرفاعي نزيل البصرة، رباه ابن عمه وأرشده، وأقرأه علوم الدين، ولما كبر زوجه بنت الشيخ الإمام أبي الفضل، فأولدها سيف الدين عثمان، فلما بلغ أشده تزوج ببنت عمه الشريفة ست النسب أخت السيد أحمد الكبير التي تقدم ذكرها، فأولدها عليًّا وعبد الرحيم.

وأمّا السيد أحمد أبو العباس الكبير الرفاعي فإنه تزوج في بدايته بالشيخة الصالحة خديجة الأنصارية بنت الشيخ أبي بكر بن يحيى التجاري الأنصاري، فأولدها فاطمة وزينب، ثم توفيت فتزوج بأختها الزاهدة العابدة رابعة؛ فأولدها صالحًا قطب الدين مات في حياة والده وعمره سبع عشرة سنة ولم يتزوج.

وقال الشيخ علي الحدادي: بل تزوج وأعقب ولدًا اسمه منصور، وأمّا فاطمة بنت السيد أحمد الكبير فقد زوجها أبوها بابن أخته وابن ابن عمه علي مهذب الدولة بن سيف الدين عثمان، فأولدها ولي الله الإمام الكبير محيي الدين إبراهيم الأعزب، ونجم الدين أحمد الأخضر، وتزوج بعد وفاتها بامرأة أخرى، فأولدها إسماعيل وعثمان وأربع بنات، ولكلهم ذرية بـ«واسط».

وأمّا زينب السيد أحمد الكبير فإنها تزوج بها ابن عمتها وابن ابن عم أبيها عهد الدولة عبد الرحيم، فأولدها شمس الدين محمد أو قطب الدين أحمد، وأبا الحسن عليًّا،

وعز الدين أحمد الصياد، وأحمد أبا القاسم، وأبا الحسن، وبنتين، ولكلهم ذرية في الشام والعراق ومصر والحجاز، وإن قاعدة بيتهم في أم عبيدة، فإنهم يتوارثون مشيخة رواق أم عبيدة، ورئاسة واسط والبصرة جيلًا بعد جيل.

قال شيخنا نظام الدين أبو الحارث الحسيني: وأعقاب بني رفاعة الآن بـ«واسط» والشام كثيرون جدًا، ولهم بقية في المغرب والحجاز. انتهى.

وقد اعتنى جماعة من أتباعهم ومحبيهم فألفوا كتبًا حافلة بنسبهم وفروعهم، فالتراجع، فإن فيها ما يكفي من ذكر فروعهم وأعقابهم ـ كثرهم الله تعالى ـ انتهى.

وقد علمت نسبة الرفاعي وإذا أطلق اليوم هذا اللفظ يراد به الفرد الكامل السيد أحمد ﷺ حيث صار لقبًا له، ولا يخفي ما في دلالته على الرفعة من المناسبة:

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

كيف لا وهو السيد الذي أيّد طريق أهل السنة والجماعة، و ما صرف من أوقاته ساعة في غير حل دقيقة علم أو طاعة، كما نطق بذلك الكتب المعتبرة و الآثار المشتهرة، وما أحسن قول الإمام العارف بالله الشيخ عبد الملك بن حمَّاد الموصلي مادحًا السيد ﷺ وذلك قوله، قدس سره:

عليك بعد رسول الله تعويلي وفي معانيك إجمالي وتفصيلي

يا ابن الرفاعي يا من شمائله تشملت هامة العليا بمنديل

بك انطوت غامضات الغيب فانفجرت منها الحقيقة ليا لا بتأويل

عين الشريعة فاضت منك أترعها صدق تنزه عن شطح وتهويل

تجسمت بك أسرار الكتاب ومن هذا ترفعت عن وهمي وتخييلي

أطول منك ببرهان المحجة إن طاف الرجال بتقدير وتعليل

وأرتقي بك سينا الفتح معتصمًا بعروة الحق لا بالقال والقيل

أعرضتَ بالمجد فانهلت مصائبه من بعضها منح نيل الفتح كالنيل

وسرتَ سير هلال الأفق مرتقيًا … إلى المعالي بتكبير وتهليل
ولم تزل ناهضًا تبغي التنقل في … مجلي تدلّيك من ميل إلى ميل
أَبَيْتَ في مذهب الدنيا الذهاب فلم … تُسَمْ لديك بتعجيل وتأجيل
لله در فتى الشرفين من بطل … عال عن الجرح ملحوظ بتعديل
مولاه أبرزه في طوره ملكًا … مكللا من تجلّيه بإكليل
تألقت في سما الإرشاد طلعته … سما لنا أن سرى قوم بقنديل
يحمي الحمى من أسود الله ليث هدى … ولم تشبهه بالضاري أو الفيل
أتى على فترة والشرع زلزله … عصائب الغي عن كيد وتضليل
والدين أقفل يبكي سوء غربته … موطَّد الركب في أطمار[1] مخذول
فجدد السنّة السمحاء يوم تلا … آي المعاني بتجويد وترتيل
وقام يظهر من غر الخوارق ما … طواه منثور فرقان وإنجيل
وفي يديه لواء الشرع خافقة … بنوره خفق تعليم وتكميل
وكل ناقص علم سبق منه إلى … كمال دين علا عن خيط تحويل
حتى دعاه رسول الله ملتفتًا … له ومن كفه كوفي بتقبيل
فصار إزارًا لهذا الدين أو وزرًا … لأهله ضاربًا عنهم بمصقول
وحاز من لثم راح الهاشمي يدًا … قضت له في بني العليا بتفضيل
سر تمكن من أوج البقا فسرى … برونق عز عن نقض وتعطيل
عناية حار أقطاب الرجال لها … وليس من بعدها ركز لذي قيل
أتباعه خلص القوم الكرام وقد … سرى بهم لأعلى حرف وتبديل

---

(١) الطِّمْرُ، بالكسر: الثوبُ الخَلَقُ، أو الكِساءُ البالي من غيرِ الصُّوفِ ج: أطمارٌ، القاموس المحيط (١/ ٤٥٣).

وأنتم فيهم صراط الاصطفا وروى — عن جده المصطفى أسرار جبريل

يا صاح إن تطرح الدعوى وقائلها — تجده أشرف متبوع ومقبول

قالت سلاطين أهل الله قاصرة — عن شأوه الكل من جيل إلى جيل

والمنبجي وذو العليا حيوه معا — والزعفراني والهيتي والزولي

ومثلهم عاجز عن بعض سيرته — أبو النجيب وعبد القادر الجيلي

ولو حلفت رقى عرش الإمامة ما — طولبت أنت على هذا بتحليل

فقل لبهجة شمس الأفق إن طلبت — فوقية بفنا جدر إنه قيلي

شيخ تمعض من جسم البتول هدى — أهدى لكشف الغطا آيات تنزيل

وعن أبيه علي كم روى حكمًا — من نقمة المصطفى ريضت بمنقول

أدعوك يا تاج هامات الرجال أغث — بالبيت قفر الفيافي أشرف القيل

دارك بعزمك عجزي يا بن فاطمة — فأنت ذخري ومسئولي ومأمولي

عليك دوما سلام الله تكنفه — يد الرضا لك مصحوبا بتبجيل

ويعجبني قول ابن حمَّاد ـ قدس سره ـ أيضًا:

ألا يا رفاعي المجد فضلك في الورى — عليه غد الإجماع في كل أمة

مفاخر أبناء الحسين عظيمة — وأعظمها لا زالت بعد الأئمة

وهو كذلك ﷺ فإنه كان حسن السمت والسيرة، نير القلب والسريرة، إن توجه إلى قلب ملأ نوراً، أو ربط على أكرام معدم أفعم ناديه بأيدي أياديه سرورًا، اشتهر بالفضل اشتهار الشمس رابحة النهار؛ فأشرق نوره على سائر الأقطار، ومن تتبع شمائله ومزاياه يعلم إنه كان من أحرص الناس على اتباع سنة جده ﷺ كما نص على ذلك الثقات الأثبات من أجلة العلماء، وصرح به الشيخ النحرير تقي الدين بن تيمية ـ طيب الله روحه ـ في غير موضع من كتبه، وأثنى عليه ﷺ بما هو أهله.

وقد أشبع الناظم حفظه الله كتبه من مزايا هذا الإمام، وألَّف في مناقبه وآثاره كتبًا

جليلة لم يسبق إليها، فمن أراد الوقوف على كمال ما كان منطويًا عليه من العلوم، والفضائل، والمزايا، والشمائل فليرجع إلى مؤلفات الناظم ـ حفظه الله ومتع المسلمين بحياته ـ فإنه لم يبق في القوس منزع ولا في الكأس مترع:

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا مهم

ولعمري إن مناقب هذا السيد الجليل والعلم الطويل أمرها باهر ونور سرها ظاهر، على أن ذلك مما شاع وذاع وملأ الأفهام والأسماع، وانتشر في سائر البقاع، وكلماته الحكمية التي استودعها غوامض الأسرار الغيبية دونها العقود الجوهرية، منها: ما نقله عنه الإمام السيد محمد سراج الدين الرفاعي المخزومي ـ قدس سره ـ في «رحيق كالوثر» وذلك قوله ﷺ: أقرب الطرق إلى الله الانكسار والذل لله، والشفقة على خلق الله، والتمسك بسنة سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

هذا.. وانظر: كتابنا: «أبو العلمين سيدي أحمد الرفاعي».

ولا يسعني إلا التقدم بالشكر لفضيلة الشيخ العلامة ناصر الدين الخطيب- حفظه الله ونفع به وسدد خطاه؛ إنه سبحانه وتعالى قريب مجيب.

وكذا جميع ساداتنا الرفاعية والرواسية في سائر الأقطار والبقاع، والله الموفق.

كتبه: أبو الحسن والحسين/ أحمد فريد المزيدي- بداره الحقيقة المحمدية للبحث العلمي وإحياء تراث السادة الصوفية- القاهرة. [٠١٠١٤٦٣٠٢٧].

ترجمة سيدنا المصنف

هو صاحب هذه الحقائق ومفيض هذه الدقائق والمتكرم بهذه الرقائق شيخنا وسيدنا غوث الوجود وكوكب أهل الشهود سلطان أولياء العصر وقرة عين الشرف والفخر الإمام الكبير والغيث المطير العلامة الفهامة الرفيع الشأن القوي الأساس السيد بهاء محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس ﷺ وعنا به ولد - نفعنا الله بعلومه وبركاته- سنة عشرين ومائتين وألف في بلدة سوق الشيوخ من أعمال البصرة ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره توفي أبوه وأمه في الطاعون وبقي فريداً ليس له إلا الله فكلفه خاله وفي تلك السنة هاجر مع خاله إلى المدينة المنورة شرف الله بقاعها وكلل بالنور قاعها وتشرف بزيارة جده سر الوجود ومعدن الكرم والجود وصاحب المقام المحمود ﷺ ثم بعد برهة حج واعتمر ورجع إلى أعتاب سيد البشر عليه صلوات الله وتسليماته ما أعتم ليل وأشرق قمر ثم أمر بأخذ علم الشريعة واستكماله فذهب إلى مصر ودخل الجامع الأزهر وتلقى العلوم الشرعية والفنون المرضية عن الشيخين الفاضلين الجليلين الشيخ الأمير والشيخ ثعيلب وبرع ومهر وعظم واشتهر وماج ببحور العلوم وأحاط بالمنطوق والمفهوم ثم بعد تلك السنين الكثيرة والأعوام الوفيرة المنيرة التي قضاها بخدمة الشريعة ونعمه الذريعة تجرد للسياحة تاركاً الكل لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ونزل الديار الشامية وزار جده قطب الأقطاب وغوث الإنجاب أوحد الأفراد مولانا السيد عز الدين أحمد الصياد الرفاعي الحسيني سبط الحضرة المعظمة الرفاعية في متكين بظاهر خان شيخون ونزل ضيفاً على بني عمه آل خزام واجتمع على ابن عمه الولي النقي السخي أبي البركات السيد حسن وادي آل خزام الصيادي الرفاعي قدَّس الله سره وروحه وهو إذ ذاك في خان شيخون وبقى أياماً في زاويته ثم ذهب إلى كفر سبحنا قرية بالقرب من خان شيخون هي من أعمال معرة النعمان بلدة الفيلسوف الإسلامي الشهير أبي العلاء المعري رحمه الله وفيها اجتمع على الولي الأنجب أبي الأحوال السيد رجب المحمدي

الخزامي الصيادي الرفاعي شيخ السيد حسن وادي أبي البركات الذي مر ذكره ونفح عطره وأقام عنده برهة يسيره ثم تدرج إلى العراق وزار أجداده الطاهرين أئمة الآل المرضيين شموس العالمين رضي الله عنهم الملك وانتهى به السير إلى أن زار حضرة جده الغوث الأكبر والقمر الأزهر سلطان الأولياء والعارفين مقبل يد جده سيد المرسلين عليه صلوات رب العالمين إلا وهو شيخ الأمة المندوب في الملمة أبو العلمين مولانا وسيدنا السيد محي الدين أحمد الكبير الرفاعي الحسيني الحسني الأنصاري عليه رضوان الباري، ثم دخل البصرة وطاف الأقطار والأمصار ووصل شاسع البلاد وقصي الديار وأكثر من السياحة على القدم في بلاد العرب والعجم وانتهت إليه نوبة الإرشاد في الطريقة وكلمة الانفراد في علوم الشريعة وزادت كراماته وكشوفاته عن العد والحصر وتنور به الزمن والعصر وله مؤلفات عديدة وآثار وحيدة ومنظومات شائقة وبالجملة فهو غوث الوقت وبركته ووليه وسعد العصر وصفيه وسيد الآل وكعبة الآمال وقد آل أمره بعد مدة طويلة أن شرف إلى بغداد وألم به المرض أياماً وتوفاه الله بها سنة سبع وثمانين ومائتين وألف من هجرة صاحب المجد والشرف ﷺ وله مقام يزار وتطفح فيه الأنوار وقد قال فيه عبده وحسيبه وخليفته ونسيبه جامع هذه الرقائق وناظم عقود هذه الدقائق الفقير إلى الله تعالى محمد أبو الهدى كان الله له أبياتاً أشرن إلى مرقده وعلو فرقده وانتظم قصيدة فريدة وقلادة مفيدة وها هي:

لي في العـراق إمـام ضـاء فرقـده ... ومهـبط المـلاءِ العلـوي مرقـده

أتـى لتجديـد أمـر الـدين منتهـضاً ... فليهنـأ الـدين وافـاه مجـدده

نعـم هـو الـسيد المهـدي والأسـد ... الحبر الذي ضمَّ بحر العلم مشهده

أقامـه بيـد الإحـسان عـن مـدده ... لنـصرة الـشرع في الـدنيا محمـده

فالمصطفى روح هذا الكون مسعفه ... والله عـز اسـمه فـضلاً مؤيـده

وهمة ابن الرفاعي الإمام إلى   مراتب المدد الدوار تصعده

أهدت له نوبة لا تنقضي أبداً   مراتب المدد الدوار تصعده

أهدت له نوبة لا تنقضي أبداً   تقيمه في معاليها وتقعده

طريقه الحق معليه محمده   وبابه لرسول الله أحمده

انعم به من إمام سيد سند   مدت له من ضريح المصطفى يده

جاء الإمام بهاء الدين عنه لنا   بمنهج يدرك الأشقى ويسعده

محجب شمسه في العالمين جلت   طريق دين أولو الألباب ترصده

لاذت به أولياء الله فاكتسبت   فضلاً وطابت بكأس طاب مورده

لم يخش ضيماً ولم يعثر بمزلقة   فتى إمام الهدى المهدي مرشده

شيخ الطريق الذي يرضى الإله به   رئيس ديوان أهل الله سيده

رقت معانيه للألباب فهو إذاً   في جفن باصرة العرفان إثمده

ذوى عن الكل غير الله همته   فالله في سائر الأحوال مقصده

روحي فداء تراب مس أخمصه   كواكب العالم العلوي تحسده

نظمت شعري دراً في مدائحه   يهدي لعلياه غالية وجيده

يهتز من طرب في الله سامعه   ويفرغ العطر في الأكوان منشدة

ويستميل الجبال الشم وارده   معنى ويحلو لذي العليا ترد ده

يرصع الأفق مرفوعاً زبرجده   وفي التدلي زين الأرض عسجده

أقم للشرع ركناً في القلوب سمت   إلى سماوات علم الله أعمده

ومزق الغي والبهتان حين جلا   نهجاً ملائكة الرحمن تحمده

أني لـــه عبـــد رق لا أميـــل إلى — عتـق وكافـل أمـر العبـد سـيده

لازال مهبط نـور القـدس مشهده — دهـراً وبـاصرة الأكـوان تـشهده

ولا عدا الغيـث قـبراً ضـم أعظمـه — يأتيـه بالرحمـة العظمـة ويرفـده

مـا صـح حـديث الفـضل متـصلاً — بجـده خـير خلـق الله مـسنده

ونسب سيدنا الإمام الروّاس عليه رضوان رب الناس متصل من جهة آبائه الكرام بحضرة القطب الجليل الجيلاني، وخرقته الشريفة رفاعية وسيرته محمدية ومذهبه شافعيٌّ وفضله أشهر من أن ينبه عليه أو يشار إليه.

من تصانيفه الكثيرة:

١ - ديوان شعر سماه: «مشكاة اليقين ومحجة المتقين».

٢ - دلائل التحقيق لأرباب السلوك والطريق.

٣ - طي السجل في الحديث.

٤ - ديوان شعر سماه: «فائدة الهمم من مائدة الكرم».

٥ - رفرف العناية (كتابنا هذا).

٦ - أشرف الخطاب لأشرف الأقطاب - بتحقيقنا - .

٧ - النائب العام عن كل ما تقدم من الحِكم والأحكام. - بتحقيقنا - .

٨ - فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة.

٩ - الدرة البيضاء. - بتحقيقنا - .

١٠ - برقمة البلبل. - بتحقيقنا - .

١١ - فصل الخطاب فيما تنزلت به عناية الكريم الوهاب. - بتحقيقنا - .

١٢ - الحكم المهدوية الملتقطة من الإمدادات النبوية- بتحقيقنا - .

١٣ - بوارق الحقائق - بتحقيقنا - .

وانظر/ معجم المؤلفين لكحالة (٣/ ١٧٤).

رفرف العناية

[في الوراثة والولاية]

تصنيف

الأستـاذ الأعظـم السيد بهـاء الـدين محمـد مهـدي الخزامـي الصيـادي

الشـهير بـالـرواس

المتوفى سنة ١٢٨٦ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الحمد لله رب العالمين حمدا تشكلت به اليه همم
النبيين اليه و المرسلين و تملقت بجاذبته
الي حضرة قدسه اسرار الصديقين و الصلاة و السلام
من لباب الارواح التي تسري في حظاير القدس علي
سيد الارباب المشاهد الخمس صلي الله عليه و سلم في
دولة المدد الاقدس روح اهل الحق صلي الله عليه و سلم
و سيد سادات الخلق صلي الله عليه و سلم جناب عرايس
المتقين الي حضرة العلم اليقين صلي الله عليه و سلم
محمد الموجودات صلي الله عليه و سلم و احمد الكاينات
صلي الله عليه و سلم و طلسم التدلي في رقيقتي البارزات
و الكامنات صلي الله عليه و سلم و علم النور المحض الاصل
في عالمي الكليات و الجزئيات صلي الله عليه و سلم و
نغمة صوت الازل في ساحة الابد صلي الله عليه و سلم و يد
الرحمة الالهية المبسوطة علي كل احد صلي الله عليه و سلم
نبي العوالم و رسول الملاحم صلي الله عليه و سلم نقطة ن
و نكتة و القلم و ما يسطرون صلي الله عليه و سلم حبيب
الله الملحوظ صلي الله عليه و سلم و لوح الله المحفوظ صلي الله
عليه و سلم و النفحة الكبري التي انبجست عن قبضتها
الاولي لما مسات عوالم الله في ملك الله و ملكوت الله
صلي الله عليه و سلم و علي اله سفينة النجاة في الدارين
و اصحابه قادات السادات في الطريقين و علي اسود
ميادين الشهود الاوليا الذين اشرقت لهم كموس

فكن معه واكثر من ذكر هادم اللذات واياك
والغفلة وتباعد مهما قدرت عن الغافلين وانقبض
للمنقبضين وانبسط للمنبسطين واجعل عيشك
وسطا اذ نعت امة وسطا وتوسط بثوبك وطعامك
وكل شيء لك وانصف الناس منك واقبض زمام
عيالك ومن يولي اليك ولا تكن جبارا وعظم
ولوالديك ومن يجب حقه عليك وصر حلس بيتك

واكثر من الاستغفار
والصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم واجعل خاتمة كل مقال
لا اله الا الله محمد رسول
الله والحمد لله رب
العالمين
امين

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة الشيخ المصنف]

الحمد لله رب العالمين، حمدًا نشطت به إليه همم النبيين والمرسلين، وتسلقت بجاذبته إلى حضرة قدسه أسرار الصدِّيقين والعارفين.

والصلاة والسلام من لباب الأرواح التي تسري في حظائر القدس على سيد أرباب المشاهد الخمس ﷺ، في دولة المدد الأقدس، روح أهل الحق ﷺ، وسيد سادات الخلق ﷺ، جذَّاب عزائم المتقين إلى حضرة العلم اليقين ﷺ، محمد الوجودات ﷺ، وأحمد الكائنات ﷺ، وطلسم التدلي في رقيقتي البارزات والغامضات ﷺ، وعلم النور المحض الأول في طالعتي الكليات والجزئيات ﷺ، ونغمة صوت الأزل في ساحة الأبد ﷺ، ويد الرحمة الإلهية المبسوطة على كل أحد ﷺ، نبي العوالم ورسول الملاحم ﷺ ، نقطة ﴿نٓ﴾ ونكتة ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﷺ حبيب الله الملحوظ ﷺ، ولوح الله المحفوظ ﷺ، والنفحة الكبرى التي انبجست عن قبضتها الأولى طامسات عوالم الله، في ملك الله وملكوت الله ﷺ.

وعلى آله سفينة النجاة في الدارين، وأصحابه قادات السادات في الطريقين، وعلى أسود ميادين الشهود الأولياء الذين أترعت لهم كئوس القرب في حفلة الحب، وانبلجت لهم مطالع خزائن الغيوب في سماء القلب، حتى تحققوا بالإرث النبوي، وتمكنوا من شأن الاتباع المحمدي، علماء اليقين، عباد الله الصالحين، عليهم سلام الله ورحمته ورضوانه إلى يوم الدين.

أمّا بعد... فيقول خُويدم المساكين وأضعف عباد الله أجمعين، المتوكل على الله في كل شأن طوريّ أو عيني، محمد مهدي، وينعت بغريب الغرباء، الرفاعي الحسيني، عمّه الله

ووالديه بإسعافه، وسقاه في حضرة ألطافه من خمرة إتحافه: هذا كتاب انتظمت بسلك الفتوح عقوده، وانتسجت بسدوة العناية بروده؛ ولذلك سميته: «**رفرف العناية**».

والله ولي الهداية.

فخذه أيها الولد حُجة تبلج محجة، وطريقة توضح حقيقة، وكنزًا يفتح رمزًا، وبابًا يوصل محرابًا، وشرابًا طهورًا، وسلاحًا ونورًا، وعزمًا قويًا، ومنهاجًا مرضيًا، وفائدةً سماوية، ومائدةً ربانية، أفاضته المواهب من خزائن السرِّ المكتنف في سيد لؤي بن غالب، خفق به بعد إلْقائه من سدرة الوهب الجنان، وتلجلج به في مكافحة الفيض الإحساني اللسان، فأفرغ القلب سرَّه مؤيدًا، وترجم اللسان مضمونه مسددًا، فجاء مرعيًا بعين رعاية الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[فضل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله على المؤمنين وكونه أولى بهم من أنفسهم]

بسم الله ما شاء الله: كل حضرة لله في الأزل والأبد نبراس فلكها محمد ﷺ، فمن انتظم بسلكه، ودخل من نمطة الأدب بحوزة ملكه، فقد فاز ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾[1] [الأحزاب:٦].

هذا طالع جماله يلوح، وهذا كوكب سلطانه يتلألأ في أبراج المدد والفتوح، دلَّنا على التوحيد، ونفي الإطلاق والتقييد، وألزمنا الوفاء بالعهود، والوقوف عند الحدود، ورقرق بديع الإشارات في صنوف قدسي العبارات، وبهر العقول بالمعجزات، وثبت القلوب بالآيات البينات، وأفاض من بحر الغيب سر اليقين الماحق للريب، وعَلَّمنا جمع القلوب على الله، وإسراء الأسرار إلى الله، فصيَّر أرباب الأوهام في مطارفات زعومهم الكاذبة حيارى، وجعل أهل القلوب الطائرة بصدق اليقين إلى الله بشراب الإيمان المحض سكارى، وما هم بسُكارى.

وأبرز من غاية مدده القدوسي أسودًا ضرجت تحت عجاج المواقف، فأتت تارة: بزلازل العزائم، وتارة: باللطائف، أخذهم إليه منهم، وصرفهم به عنهم، حتى رأيت منهم ألسنة إلهية ناطقة، وعزائم ربانية فاتقة راتقة، وإيمانًا مُزِّق عنه جلباب كفر بهيم، وعلمًا فيّاضًا انشقَّ عنه رداءُ جهلٍ جسيم، وآثار بهمته منهم في عوالم الله رجالاً وفرسانًا، مشاة وركبانًا، فزمزموا في مسافات الوجودات بجنائب الهمم، ودمدموا برقائق السنوحات النبوية التي أخذت من دولتي اللوح والقلم، فهم أهل التوحيد الحق والإيمان المطلق، برز

---

(١) قال الشيخ روزبهان البقلي: نفس المؤمن تطلب حظها والنبي ﷺ يطلب حظ الله من أنفسهم، وحظ الحق منهم أولى من حظ أنفسهم فيهم. قال سهل: من لم ير نفسه في ملك الرسول ﷺ، ولم ير ولاية الرسول ﷺ في جميع الأحوال لا يذوق حلاوة سنته بحال؛ لأن النبي هو الأولى بالخلق من أنفسهم وأموالهم، ألا ترى الله يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ والنبي ﷺ يقول: «لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه وولده وماله والناس أجمعين».

لهم شارق ذلك النور من برج فلك ذلك البيت المعمور، فثبتت في ساحة الأدب مع الله أقدامهم، ونُشِرت في بلاد الله أعلامهم، وها هم ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

طِرْ عنك إلى منهاجهم، وانتشق مسك العرفان من عجاجهم.

[توحيد الصدّيقين

واجتماع المؤلف ﷺ بالخَضِر ودعائه له]

سرت ليلة في بادية من بوادي عراق فارس، وقد غلغل الليل وأظلم، وزمجر الريح بالمطر فملأ البادية وأفعم، فضقت ذرعًا، وضعفت وسعًا، والتجأت إلى شجرة صغيرة من قواعد شجر الطرفاء، فجلست تحتها وأنا أقول: (يا عميم اللطف لطفك العميم، يا قديم الإحسان إحسانك القديم، يا غني ارحم العديم، الغياث الغياث، الرحمة الرحمة، يا مجيب دعاء المضطرين، يا أرحم الراحمين).

وجعلت أكرر ذلك حالة كوني منفكًا عن علمي وعملي، معتصمًا بحبل الله تعالى لاجئًا إليه متوكلاً عليه، فما كان غير قليل حتى سكن المطر، وتوارى الظلام وبرز القمر، ثم وفد من بطن البر رجل كأنه يزج بالنور، تلمع على وجهه بوارق السرور، فسلّم وقال:

«توحيد الصديقين إفراد القِدَم عن الحدث، وقطع حبال الأكوان، والاعتصام بحبل الله، ونظام السير إلى الله لا يكون صحيحًا إلا باتّباعهم والعمل بأعمالهم، والتخلق بأخلاقهم، والتحلي بأحوالهم إذ هم القُوَّام في الأُمة بالنيابة الصحيحة عن النبي ﷺ، وهو - عليه أفضل صلوات الله وأكمل تسليماته - باب الدنوّ إلى الله وجاذبة القرب من الله، ورب المنهاج القويم، والهادي إلى الصراط المستقيم، فمن سار إلى الله بغير طريقته ضل، ومن انحرف عن محجته زل، وقد صح لك في هذه الليلة شيء من توحيدهم، وحصل لك نصيب من تجريدهم في تفريدهم، فأطبع بك هذا الشأن طبع عاقل وثيق، ولبيب صدّيق،

حتى يستقر بك ذلك في حالتي الخوف والرجاء، وفي طارقتي الشدة والرخاء»[1].

فوقع كلامه على قلبي وقوع انطباع في السر برز عنه انشراحٌ في الصدر، فأخذت بيده، وقلت: سيدي، بالله أسألك عرّفني من أنت؟ ومن أي محل وفدت؟ وأين كنت؟ فقال: بسم الله، وعليّ بركات الله، أنا عبد الله الخَضِر، كنت في ذيل جبل من جبال سرنديب، فكُلِّفت من قبل الحضرة بالوفود إليك؛ لتأنس بي، ويزول عنك ما داخلك من الوحشة، فإن عالم الليل عالم دهشة، وقد تَكنُف تلك الدهشة الوحيد الفريد الخالي أكثر من ذي الرفيق، وتكنف الماشي في مهامه البر أكثر من الراكب، وكلما سكنت البشرية بشيء تستأنس به مما يلائمها قلّت دهشتها، وكَثُر أُنسها، والعكس بالعكس، ولا يقوى على صحة الاعتصام بحبل الله في بحبوحة الاندهاش إلا الأقوياء من أهل الحضرات الموفقون، الذين تجلّى لهم نور الأُنس في مشهد العناية بين جلجلة الكاف والنون، وأولئك هم أولياء الله ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

قلت: بارك عليَّ وعليك سلام الله ورضوانه. فقال: افتح فمك، ففتحت فمي؛ فنفخ فيه؛ وقال وأنا أسمع: «بسم الله الرحمن الرحيم، تنزَّهت يا قدوس عن مجانسة

---

(١) قال سيدنا الرفاعي في كتابه «البرهان» ما نصَّه: قد جمع إمامنا الشافعي ﷺ جميع ما قيل في التوحيد بقوله: من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبهٌ، وإن اطمئن إلى العدم الصرف فهو معطلٌ، وإن اطمئن لموجوده واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحدٌ.

أي سادة. نزّهوا الله عن سمات المحدثين، وصفات المخلوقين، وطهّروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار، كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول تعالى الله عن ذلك. وإيَّاكم والقول بالفوقية، والسفلية، والمكان، واليد، والعين بالجارحة والنزول بالإتيان، والانتقال، فإن كل ما جاء في الكتاب والسُّنة مما يدل ظاهره على ما ذكر، فقد جاء في الكتاب والسنة مثله مما يؤيد المقصود، فما بقي إلاّ ما قاله صلحاء السلف وهو الإيمان بظاهر كل ذلك، ورد علم المراد إلى الله ورسوله، مع تنزيه الباري تعالى عن الكيف وسمات الحدوث. وعلى ذلك دَرج الأئمة. وكل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره وقراءته والسكوت عنه ليس لأحدٍ أن يفسره إلاّ الله تعالى ورسوله، ولكم حمل المتشابه على ما يوافق أصل المحكم؛ لأنه أصل الكتاب، والمتشابه لا يعارض الحكم. وقال أيضًا في «حكمه» رقم (١١): غَايَةُ المعرِفَةِ بِاللهِ الإِيْقَانُ بِوجُودِهِ تَعَالَى بِلاَ كَيْفٍ ولاَ مَكَانٍ.

الحادثات، إليك يرجع الأمر كله، تبدئ وتعيد وأنت ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]. صلِّ على عبدك ونبيك، محمد سيد أنبيائك ورسلك، روح المدد المُفاض في عوالمك، وعلى إخوانه النبيين والمرسلين، وآلهم وصحبهم أجمعين، وبارك بعبدك هذا بركة لا تنفصم، وصله بحبل لا ينصرم، وحققه بمرتبة التوحيد الأكمل، وألْحقه بالرفيق الأعلى من طريق الحب الأفضل، وانشر على يده علم السنة المحمدية، والطريقة المرضية، وابعث منه في عوالمك بعثًا يدل عليك، ويهدي إليك، ولا حول ولا قوة إلا بك يا علي يا عظيم».

فأشرق بطالعة روحي بدره، وطلع في سماء سري فجره، وسرى في أجزاء آدميتي سره، ثم انبسط لي. وقال: «سِرْ راشدًا مهديًا، مباركًا مرضيًا، وديعة العناية الربانية، والوقاية الصمدانية». وانصرفَ(١).

---

(١) ومما ذكره الشيخ في اجتماعه بسيدنا الخضر أيضًا: وفي مراتب الترقي حالة مرور عساكر الشؤونات المحمدية، انجلت أطوار من سلطان تمكنه - عليه الصلاة والسلام - يخشع لبروز مثالها قلوب النبيين فمن دونهم، ولما استكملت بنسبة حالي الشؤونات الشريفة المرور، وإلا فهي لا غاية لها، قام جحفل المثال الذاتي في خلعة البروز على حكمه النوعي من طالعة الشكل:

يقوم بارز شكل نور وجود النبي ﷺ، ثم يتبعه نور علم النبي ﷺ، ثم يليه نور عقل النبي ﷺ، ثم يليه نور عزم النبي ﷺ، ثم يليه نور حلم النبي ﷺ، ثم يليه نور سلطان النبي ﷺ، ثم يليه نور وجود النبي ﷺ، ثم يليه نور عدل النبي ﷺ، ثم يليه نور فهم النبي ﷺ، ثم يليه نور برهان النبي ﷺ، ثم يليه نور جمال النبي ﷺ، ثم يليه نور جلال النبي ﷺ، ثم يليه نور تحمّل النبي ﷺ، ثم يليه نور انتقام النبي ﷺ، ثم يليه نور إرشاد النبي ﷺ، ثم يليه نور حكم النبي ﷺ، ثم يليه نور لسان النبي ﷺ، ثم يليه نور قلب النبي ﷺ. وهكذا حتى استكمل جحفل المثال الذاتي خلع بروزه في حكمها النوعي من قلبه - عليه الصلاة والسلام - كان ذلك أيضاً بنسبة حالي، ولا غاية لعسكر مثاله في مقامه وحاله ﷺ، ثم برز مَلِك قدسه في سرير سلطانه. على النمط الأشرف الأبهج الذي قام به في خلعة الظهور الدنيوي، فأخذني طارق الجمال فدهشني عني دهشة سرور غبت بها غيبة بحتةن ما دريت إلا ويهزني رجل هزاً شديداً مزعجاً فلقوة تلك الهزات المتواليات رجعت إليّ، فرأيت رجلاً وسيماً، حسن الهيئة، فسألني عني،فأجبته بما يمكن، فأخذني بيده وانطلق إلى داره، فسألته عن اسمه؟ فقال: راغب، وسألته عن شهرته؟ فقال: ابن كجوك علي، وكجوك كلمة تركية معناها: الصغير، وفيه دين، وحسن اعتقاد، فكان مقيداً بخدمتي، حانياً عليّ أسأل الله أن يمن عليه وعلينا بالستر الدائم في

=

الدنيا، وبحسن الخاتمة عند الموت. وبالنظر إلى وجه الله الكريم في الآخرة، وما ذلك على الله بعسير، إن الله على كل شيء قدير، وإني كنت أخطف النهار في المشاهد والمعابد، واستجلي الشؤون والموارد في الليل إلى بعد العشاء بساعة، وألبس الليل في دار راغب أغا الذي ذكرناه، وفي اليوم الثاني من مسافرتي في داره قمت إلى صلاة الصبح في مشهد سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام، وبعد أداء ما وجب ولزم خرجت على أكف عناية سيدنا النبي، العظيم القدر المنوه بشريف ذكره إلى حجازية الجامع، فرأيت رجلاً طويل القامة عليه كساء مغربي، فعرفت أنه الخضر - عليه السلام - فتقدم إلى وقال: أعجبني حذقك أنا هو، ونفخ في فمي، وبارك لي، وأفرغ في من بركته حالاً تمكن مني بمنزلة من منازل المقام، وقال: أنت سعيد، وأتباعك، ومحبوك. إن شاء الله أيضًا من السعداء. فحمدت الله تعالى، ثم ذهب. فوقفت أدباً له حتى خرج من الباب الشرقي ورأيت بعده الشيخ أحمد وهو من علماء الشافعية ورع زاهد نهجه الجفلة من الناس؛ وله من حال أهل الحق نصيب عظيم. وبركة وصدق، وخرجت إلى سوق العطارين أعدو إلى زيارة ولي الله الغازي السيد معروف بن جمر من بني السيد إسماعيل بن جعفر الصادق - عليهم الرضوان - وأنا أمشي وإذا أنا برجل أسمر اللون ربعة يلبس لباس التجارة، وله سمت حسن أخذتني منه شمة أحمدية، فوقفت، فدنا مني، فعرفت أنه من بني الصياد فقلت: ما اسمك؟ قال: علي. قلت: من ذرية من؟ فقال: من ذرية السيد الصياد قلت: وما اسم أبيك؟ قال: خير الله. فعرفته، وقد كنت أنبئت عنه من جماعتنا آل السيد خزام بخان شيخون ومع ذلك فأني كنت أترقب أن الآقية فوجدته من رجال الصف الخامس؛ لكن من طريق الصحو، ومنزلته الصدق، وشهوده الخروج من أعين الناس تحكماً في منزلته، وخلعة الولاية له في مقام الصفية عن يد السيد عمر بن أحمد البازي المنصوري من ذرية الباز منصور البطائحي الرباني الأنصاري خال سيدنا الإمام الرفاعي والسيد عمر هذا من رجال الخفا، ومرتبته العشق، وهو بصعيد مصر، وللسيد علي هذا قلب مع صدقه فيه بارقة حال، وله طارقة من طارقات الذوق تعرب عن عزم متين، وطريقه مفتوح؛ فنهضته في حاله أوعته فيما يناسبه من مشهده بإضافة تمكين، ورأيت فيه لاجتذاب الإفاضة قابلية عظيمة، فسبحان الله! ... فنشر عليَّ رادءً كان عليه، وقام لي حتى وقفت مواجهاً له بين يديه وقال: نعم الضيف أنت يا ابن عم، أُبشرك بأنك صاحب الحضرة في الوقت، ونعم الشيخ شيخك، بل ونعم الجد ذلك الجد عليك دامغه، وطابع روحه، والله إن السيد أحمد الرفاعي صدر محافل أهل الحق. سر مشرقاً ومغرباً تحت رايته في أمان الله، وضمني. فأخذت منه بركة قرب أوصلتني إلى حضرة الإيمان الشهودي. فحمدت الله.. وانظر: «بوارق الحقائق» (ص ٧٠، ٧٣).

فتدبر، هذا لُباب التوحيد، وسر العرفان الذي تحقق به أرباب التجريد.

[كلمة المرشد للمسترشد]

أيها المسترشد، يقول لك في حضرة التعليم المرشد:

أطلق تقييدك، وحقق توحيدك، وصحح عن شركك تجريدك، واثبت في سرك تفريدك، واعلم أن الذي أنشأك قادر على أن يُعيدك، أبرزك من لاصقة حرفين، وذرأ أصلك بينهما قبل طرفة العين، وجرد فرعك عن البين، وألقاك في الحيرتين، وجلجلك بين النوعين، بين بشرية منسوجة، وطنية بماء العجز ممزوجة، وصورك من مضغة في نوعيتك البشرية، ونسج منك في تفلة شهوةٍ هذه الصورة الآدمية.

هل لك خبر من بدايتك؟! هل تقلبت عليمًا على طبقات النشء حتى [وصلت] إلى غايتك؟!

أنت في الطمس عن بدايتك غافل، وفي الحيرة بنهايتك جاهل، صوّرك كما أراد ولا إرادة لك، هو ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٨]، طواك ونشرك، وعرّفك ونكّرك، وفقّهك وحيّرك، وفيك عنك سترك، وعمّا عنك بصرك، وبتوحيده أمرك، وكما أنشأك مرغمًا حشرك، والمضغة التي أفردك منها صرف كلك عنها؛ وجعلها مدينة كلك، وعقال عقلك، زُحْ أقترب منك؛ فمتى عرفتك أبعدت عن شركك.

لو سُئلتَ حين خضت بزعومك[1]، عمّا حُجبت به من عوالم صنعك في معاريج وضعك؛ لأسكتك جهلك بطبعك، عن وصلك وقطعك، وأصلك وفرعك، جَرَّدك عنك، واستخلصك منك، أطلعك في برج عقلك إليك، وأقامك في بحبوحة جهلك حجة بك عليك، جهّلك بآدميتك الأُولى، أقام عليك الحجة في عاقبتك الأُخرى، خلّك بين الجهلين عارفًا بربك، منفلتًا عن زعومك بدربك، ناقشًا توحيده بقلبك، اقرأ: ﴿مِنۡهَا

---

(١) جمع: زعم.

﴿خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ فإن التبعيضية من: ﴿مِنْهَا﴾ الأولى تشير إلى إفرادك بصورتك، وإن الظرفية المحيطة بك من: ﴿فِيهَا﴾ الوسطى تشير إلى اتحاد ظرفيتك بجمعك من نسق جنسيتك، وإن ﴿مِنْهَا﴾ العاقبة الأخيرة تُشير إلى ردِّك إليه، فردُّك عن ردتِك.

عَلَّمك كل هذا أبو البتول، ونعم الرسول ﷺ، وغلبك بكل ذلك المنقول، لجهلك بالمعقول، وسبقك بالإذعان لذلك الجَحاجِحَةِ الفحول، المؤيدون بالوصول، العارفون بالنقول، أنا منهم[1]، رضي الله تعالى عنهم، رُحْ بإذعانك إليهم، وعوِّل بإيقانك عليهم، فمتى هذَّبك مُهذبهم، وأدَّبك مُؤدبهم، سرت بدربهم، وصرت من حزبهم، ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، هم المفلحون، هم المؤيدون، هم المقبولون ﴿ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:١]، إن هذا هو الحق المبين ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢].

﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ [الانفطار:٧]: جمعك وفرَّقك، وأبرزك وردَّك، وعرَّفك في تقلبات أطوارك حدّك، لو رأيت المضغة التي برزت منها، وانبجستْ عينيتك عنها! وتدبرت ما انبت لك من مضمونها! وما طوى لك في مكنونها.

أعَلمت أن الذي صنع بك هذا إبداء بإبرام قدرته، قادر على أن يعيده إخراجًا في غايته بباهر قوته؟ هذا منار روحك سيبرز من عالم الأمر مُمزَّقًا، مرط المعنى ظاهرًا بمادة الحكم، فمتى برز عموده انجذبت إليه ذرات وجودك بمغناطيسية اللطف الصنعي ذرة ذرة، كل ذرةٍ أخذت مكانها، وأعطت إمكانها، حتى إذا اجتمع القالب على منار الروح بنسجه الأول، ورسمه وطوره وحكمه، أعطاه لطف ذلك المنار الحياة كما يعطي الماء في القاع الحياة إلى النبات، فيهتز ويربو في طرازه كما كان، ويقول حينئذ العقل المطموس: ويلاه إنَّ هذا لفي حيطة الإمكان.

---

(١) تحدثًا بنعمة الله تعالى عليه.

فلو نُسِفتْ ذراتك بعد الإحراق في البر والبحر لانجذب كلها لمنارها الروحي حين يلوح، ولاجتمع كل أجزائها على الأصل المناري الذي يرفع لها من شارقة الروح، إذ هو يعسوب تلك الذرات وجاذبة تلك الأجزاء المذريات، هذا السر في نظام الأمر، فكن من الموقنين، وإنه لحق اليقين.

أين أنت من علم العارفين؟! أين أنت من فهم الصديقين؟! عرفوا السر بالعقل فازدادوا تمكينًا، ولذلك قال قائلهم: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا)[1].

[تحدث الإمام الرواس بنعمة الله تعالى، وإظهار مرتبته لإفادة الأمة]

أنا اليوم جاذبة هذا العلم الإلهي إليك، وحجة الله تعالى ونبيه العظم المكرم ﷺ عليك.

أنا رفراف الإشارة.

أنا سجنجل العبارة.

أنا لوح هذه الرقائق.

أنا صحيفة هذه الحقائق.

أنا لسان المتكلمين.

أنا ناطقة المحققين من الصديقين.

أنا نائب سيد النبيين ﷺ.

أنا سيف عرفان إمام المرسلين ﷺ.

أنا رنَّة ذلك النمط المأمون.

---

(١) لسيدنا ومولانا علي عليه السلام وكرم الله تعالى وجهه، وللعارفين عليها شروح مبسوطة في كتب أهل التوحيد الخواص، أهل مقام الإحسان.

أنا طالعة ذلك الكمين المكنون.

أنا بهجة العرفاء.

أنا ساطعة بوارق الأوصياء.

أنا خلاصة شميم نشر العباء.

أنا غريب الغرباء.

أنا نبراس العيون سِجلّ الفنون.

أنا فِلْذَة الخزانة النبوية في ضمير ذلك المضمون.

ها أنا قد أوضحت لك الرمز، وفتحت لك مغلاق الكنز، واجتذبتك من طمطامة لإطلاق والتقييد إلى بحبوحة الاستسلام والتوحيد، فإياك والزَّيف الذي خبط به زائغون، وتبجح به المبطلون، وسبَّح على موجات سرابه الواهمون الكاذبون، فهم في هدة الغي مطموسون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧]، ريِّض قلبك بما درج عليه النبيون والمرسلون، وأخذه عنهم الصديقون المقربون، ومضى عليه الأئمة المهديون، والأولياء العارفون، والعلماء العاملون، والأولياء العاقلون، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، ولمثل هذا فليعمل العاملون.

[العهد الجامع المأخوذ على المؤلف ﷺ بحضرة النبي ﷺ]

أفاض عليَّ حبيبي عهدًا جامعًا في حضرة قربه، بين الجَحاجِحَةِ الأعيان من آله وصحبه، وخلص أتباعه وخاصة حزبه، في مشهد مشاهدة، ومحضر مكافحة ومحاضرة، في سدرة مشافهة، استغرقتُ بنورها، وانغمستُ بسرورها.

وهذا نص العهد المبارك الممتثل المطاع المؤيَّد المؤبَّد الذي لا ينحل إن شاء الله عقده، ولا ينقض عهده:

«بسم الله الرحمن الرحيم، العهد الحاكم عليك، وعلى من يرجع في طريق الحق إليك: إنما هو حفظ القلب من الغفلة عن الله تعالى بحكم التوحيد الخالص لله تعالى في ذاته وصفاته، وتنزيهه سبحانه عن مجانسة مخلوقاته، وحراسة هذا الشأن من سُم القول بالاتحاد والحلول[1]، وما يضاف إليها من خبط المبتدعة، والتحقق بحكم الذكر، وهو الإكثار من ذكر هادم اللذات، واستسلام لله في الحركات والسكنات، والإخلاص بالإعمال لله سبحانه ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

وكل ذلك بصدق المتابعة لنبيك الذي دلَّك على الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، وحقق حكم الاتباع بالمحبة الثابتة المشتملة على الوله الدائم، من القلب الهائم، لنبيك ونبي الثقلين محمد بن عبد الله بن عبد هاشم القرشي العربي المكي المدني - اللهم صل وسلم عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين، وآلهم وصحبهم أجمعين- ولا تصح محبتك له حتى تحبه أكثر من أهلك ومالك وأمك وأبيك ونفسك والناس أجمعين[2]، فإنه الرسول الحق، والنبي المحق، وكل ما جاء به عن

---

(١) انظر في تحقيق المسألة كتابنا: «إرشاد ذوي العقول إلى براءة الصوفية من الاتحاد والحلول».

(٢) إشارة لقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».
أخرجه أحمد (٣/ ١٧٧، رقم ١٢٨٣٧)، وعبد بن حميد (ص ٣٥٥، رقم ١١٧٥)، والبخارى (١/ ١٤، رقم ١٥)، ومسلم (١/ ٦٧، رقم ٤٤)، والنسائي (٨/ ١١٥، رقم ٥٠١٤)، وابن ماجه (١/ ٢٦، رقم ٦٧)، والدارمى (٢/ ٣٩٧، رقم ٢٧٤١)، وابن حبان (١/ ٤٠٥، رقم ١٧٩).

الحق حق، وهو سيد أهل الحق، ومن حكم الحب لنبيك محبة آله وذراريه وذراريهم على كرِّ الدهور ومرِّ العصور، ومحبة أصحابه وأشياعه وأصهاره وأنصاره والمتمسكين بسنته[١]، القائمين بإعلاء كلمته، الناصرين لشريعته، المؤيدين لطريقته، في كل عصر ممن سلف أو خلف، والوقوف مع أمره لا مع الهوى، ومجانبة أهل البدع السيئة، ومباعدة أرباب العقائد الفاسدة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والانتصار للحق وأهله، والنصيحة لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم، والفرح لفرح المسلمين، والحزن لحزنهم، والتفكر في الآلاء الإلهية، وصدق الشكر مع الفكر، وترك التفكر في ذات الله تعالى، والصبر على المحن، والتباعد عن الفتن، والرضا من الله والوفاء بالعهد، وحفظ حرمة المعروف كَبُر أو صغر، ولين الكلمة، وخفض الجناح للمسلمين، وخاصة للوالدين، وجبر خواطر الأرحام والجيران، وتعظيم السنة وشعائر الله، وإعزاز شأن صاحب المذهب في طريقتك.

(قلت: يعني سيدي ومولاي السيد أحمد الكبير الرفاعي ﷺ).

واحترام الأولياء والصالحين، وذوي الهيئات، وأهل العلم والشرف والتقوى، وكرام القوم، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكثرة الاستغفار، والذكر، والصلاة والسلام على نبيك محمد ﷺ، وحسن الخلق، وبشاشة الوجه، وملائمة الفقير، والكبر على المتكبر، والتواضع للمتواضع، وإغاثة اللهفان، وكف اللسان والطرف والسمع واليد والرجل والقلب والنفس عن كل مالا يَعني، والبعد كل البعد عن ما

---

(١) ومما يشير لذلك حديث: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشى فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦، رقم ١٧١٨٤)، وأبو داود (٤/ ٢٠٠، رقم ٤٦٠٧)، والترمذى (٥/ ٤٤، رقم ٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١/ ١٥، رقم ٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤، رقم ٣٢٩) وقال: صحيح ليس له علة. والبيهقى (١٠/ ١١٤، رقم ٢٠١٢٥)، وابن حبان (١/ ١٧٨، رقم ٥)، والدارمى (١/ ٥٧، رقم ٩٥).

يغضب الله تعالى، والعِبْرة، ورؤية كل بارز بمشهد العدم؛ فالباقي الله لا سواه، ووحدة الجانب مع الإخوان في الله، والتعاون على البر والتقوى وعلى قمع الإثم والعدوان، والتباعد عن شق العصا، ومناصحة من ولاه الله أمر المسلمين، والغيرة لله ولرسوله ولأوامره المطاعة، والسؤال بلا خجل عن أمر الدين من أهل الذكر العلماء الصالحين، واستشارة الصالحين أهل القلوب، والخوف من الله في كل عمل خفي أو جلي، والاهتمام بالمفروضات والانسلاخ من رؤية النفس، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وحب من أحب الله ورسوله، وبغض من أبغض الله ورسوله، وطلب الحوائج بالأدب مع الخالق والخلق، وصرف النية في الطلب إلى الله تعالى، اعتقادًا بأنه هو الذي يضر وينفع وإليه ترجع الأمور، وقبض اللسان عند التحدث بالنعمة عن الشطح الذي يتجاوز الحد، والانقهار بالذل والانكسار تحت شراع القدر. والشكر على النعمة لله تعالى ولمن وردت على يديه، والانحطاط عن نخوة النفس وغرورها بالأب والجد، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود، والتلذذ بذكر الصالحين، وحث الناس على التخلق بأخلاقهم، والانتظام بسلكهم والدخول في حزبهم، وحسن الظن بالمسلمين، وصفاء السريرة لله وللخلق، والاشتغال بنفع الناس على الطريق الشرعي، وترويح النفس والقلب بالمباحات والتنعم بنعمة الله، وإفاضة نعم الله سبحانه وتعالى على الأقرب فالأقرب من أهلك وعيالك وذوي عصبتك ورحمك وعشيرتك، وخلاَّنك وجيرانك والمسلمين، والناس أجمعين فيما يصل إليه إمكانك، ولا يهضم من أمرك، والتوسط في العيش واللباس، والعمل بما يدفع عيب السؤال، وسَوْق الأحباب والأهل والأتراب والإخوان في الله إلى العمل وهجر البطالة، والاشتغال بما ينتج كسب اليد، والنظافة في النفس والأهل والبيت، ومقاطعة أرباب الخدعة والشره والطمع والعبوسة، والرحمة باليتيم والغريب والفقير والمسكين والعبد والدابة، وترك التبذير والإسراف والتحلي بالصدق والعفاف، والعزلة مهما أمكن، ومجالسة الحق بالذكر، وقراءة القرآن بالتدبر، وحثَّ الإخوان على أداء الواجبات وتعظيم أحكام السنة، وإعظام شأن الأركان الخمسة:

«شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم، رمضان وحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»(١).

وحضور القلب مع الله بالملاحظة المحمدية التي تعمر قلبك بمحبة نبيك ﷺ وتنيلك فيضه، واعتقاد معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكرامات الأولياء، والحب لأستاذك وإمامك في طريقك إلى الله، وتصحيح الاعتقاد بإجلال منزلته على غيره من إخوانه، وجمع القلوب عليه وعلى ما تمذهب به من مذهب الحقيقة وحال الطريقة لأجل الله تعالى.

(١) حديث جرير: أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٣، رقم ١٩٢٤٠)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٨٩، رقم ٧٥٠٢)، والطبراني (٢/ ٣٢٦، رقم ٢٣٦٣)، وفى الصغير (٢/ ٦٠، رقم ٧٨٢). وحديث ابن عمر: أخرجه أحمد (٢/ ١٢٠، رقم ٦٠١٥)، والبخارى (١/ ١٢، رقم ٨)، ومسلم (١/ ٤٥، رقم ١٦)، والترمذى (٥/ ٥، رقم ٢٦٠٩) وقال: حسن صحيح. والنسائي (٨/ ١٠٧، رقم ٥٠٠١)، وابن حبان (١/ ٣٧٤، رقم ١٥٨)، وأبو يعلى (١٠/ ١٦٤، رقم ٥٧٨٨)، وابن خزيمة (١/ ١٥٩، رقم ٣٠٩)، والطبراني (١٢/ ٣٠٩، رقم ١٣٢٠٣)، والبيهقى (٤/ ٨١، رقم ٧٠١٣).

[الإشارة بأن المؤلف ﷺ هو الوارث المحمدي في وقته]

ولتعلم أنك الوارث المحمدي والنائب الأحمدي، المؤيد بالنظر النبوي، الملحوظ بالعزم الرسولي، المبارك الوجه، المقبول الجاه في الحضرة، فجدِّد لأهل القبول أمر دينهم بك وبمن اتبعك من أهل التوفيق، فإن الله أيدك بالنعمة السرمدية وأكرمك بخفاء في ظهور، وطمس في نور، وعز لا يفشل، ووجه لا يُخذل، وأتحفك بالنصرة الغيبية على من رام خذلك ونقض كلمتك، والبيعةُ سارية فيك وفي وارثك ومن انتمى إليك، ولا تردّ لكم في الحضرة عزيمة، ومن أحبك خالص القلب فقد لحقه ضمان نبيك، فرُحْ في أمان الله أنت ومن اقتدى بك إلى يوم الدين، وكل يرفع له في الحضرة لواء إلى يوم التناد فهو تحت الأبد، و﴿ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران:٩]، ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥].

هذا عهد حبيبي إلي، وحجتي على من اتبعني، والله ولي المتقين[١].

كان ذلك في ضواحي «طيبة»[٢] سنة ثمان وستين ومائتين وألف من الهجرة النبوية المعظمة، ليلة جمعة صباحها اليوم العاشر من شهر ربيع الأول، انجلى كل ذلك للروح والعين، ببركة حال الإمام أبي العلمين شيخ صدور الدوائر، ملحق أصاغر الأبواب بأكابر المحاضر، رب اليد البيضاء، والمنقبة العلياء، سيدنا أحمد الرفاعي الحسيني الكبير ﷺ وعنا به، ونفعنا والمسلمين بعلومه وآدابه:

مَـا أَحـيْلا وَالـدُّجَى فِي غَلْغَـلِ إِذ نَزلْنَـا فِي ضَـواحِي طَيْبَـةِ

فَبَكَيْنَـا وَالأَمَـانِي ضَـحِكَتْ وَحَـضَرْنَا حَـضْرَةً فِي غَيْبَـةِ

اللهم صل كما تحب، على سيد من تحب، عبدك ونبيك سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) نهاية نص العهد المبارك، وليت علمي عهد تلك أوامره ونواهيه كيف لا يُحفل به؟!

(٢) أحد أسماء المدينة المنورة زادها الله تعالى تعظيمًا وتشريفًا ومهابة وإجلالاً بساكنها ﷺ.

مطلب في التوحيد والرد على كل من ينسب هذا الوجود للطبيعة

ما أحمق الجاحد! بعد بروز هذه المشاهد.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

تكلَّمَ لسان حال الأكوان، مُقرًّا من كل ذرة منشورة أو مطوية بالوحدانية معترفًا بالخالقية، مذعنًا لسلطان الربوبية، وأخو الفكرة الوضيعة، يدفع كل هذا للطبيعة! ثكلته أمه، أول طبيعة من طبعها؟! وآخر طبيعة من قطعها؟! وكل كلية فيها، وجزئية ضمن حواشيها، من صاغها ومن صنعها؟! يقول: لو كان موجودًا لَرُئِي - نعاه عقله . هذا خاطره موجود فيه، ومغيب عنه!

هذه غارفة بصره تأخذه له شكل بلدة رآها، وبقعة مرَّ بمغناها، وتضعه في مخيلته فيها مستقر، وعنه مستتر! هذا عقله انبجست شارقته من قلبه، وقرت مادة نوره في دماغه، عَقِلَ به الأشياء، وميَّز بين الأخذ والعطاء، وهو به مقيد، وعن بصره محجوب مبعد!

هذا الخوف والفرح، والهيبة والانشراح، والانقباض والانبساط، والهم والغم والسرور، والاندهاش، وأمثال ذلك من الرقائق موجودة فيه، غير بادية لرائيه!

وفوق كل ذلك الروح التي تجري به معه موجودة، ولدى بصره مفقودة!

خلق فيه كل هذه الشواهد، ليعلم أن الغائب يقوم منه الشاهد، ومنه يُستَدَلُّ على الغائب الحاضر الباطن الظاهر، ويصفع بنعل الأدب عقله القاصر، وينبّه بطارق الإذعان فكره الحائر. يطلب له كيفًا تنزَّه وتقدَّس! لو قيل له: كيف لنا الحال الذي يقوم إذا انبسطت، إذا انقبضت، إذا سررت، إذا حزنت، إذا حِرت، إذا فقهت، إذا أحببت إذا أبغضت، إذا علمت، إذا جهلت، وهكذا..كيِّف لنا كل حال سبق بنظم الخلقة إليك، ونشر منك عليك، فإنك لن تجد منه هناك إلا أن يقف مبهوتًا، أو يكابر ممقوتًا، أو أن يكون محض جوابه سكوتًا.

فيا عاجزًا عن تكييف أحواله التي تمر عليه، وتساق بمنظوم خلقته إليه، هلاَّ يجب

عليك أن تذعن منحطًا عن طلب الكيف لمن تقدَّس عن خبطات، وتنزه عن كل ما انتسج لك من أوهامك ببالك، بلى: ﴿سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١]، ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٧٠].

كل الخلق في قيد الحكم تصرَّف فيهم، وأحكم سلطان قهاريته في بواديهم وخوافيهم، وأمرهم بما أراد، وأعطاهم من الإرادة ما يلائم ما استودعه فيهم من الاستعداد، فهم هنالك عن المخالفة مسئولون، وعلى الموافقة مثابون، وفي الاضطراريات معذورون، وبالإيمان بكل ما أمر به مكلّفون، وله في الكل السلطان الأعظم، والأمر المحكم، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

هذه الفيوضات المتدفقة، والكئوس المرقرقة، بقايا فيض سر الوجود، طلسم المدد المشهود، نور أعين أهل الشهود، سيدنا محمد ﷺ أوضح الدلالة، وأدى الأمانة، وهدى السُّبل، واندرجت بحكم نوبته نوبات الرسل، عليه وعليهم من الله أكمل الصلاة وأتم السلام.

مطلب في
محبة النبي ﷺ
والطريق الموصل إليها

كُلْ يا محب من هذه المائدة الطبية، مائدة المدد المحمدي، واشرب من شراب كأسه المصطفوي، وإنك بعدها لن تجوع ولن تظمأ، تفتح لك أغلاق الحقائق، وتلوح لك أعلام المشارق المنيرة للمغارب والمشارق، هام بها وطار إليها كل لب أو قلب، مستقرٍ في قالب عبدٍ فيه لله عناية، هو الحِبُّ الذي يحسن به الحُب، أحببه حبًّا يغنيك عن الخلق سواه؛ ليتحقق لك الوله له، وصدق الغرام له، والهيام بشأنه، انصرافًا عنك إليه وتكون حينئذ من المؤيَّدين، الملحوظين المحظوظين المحفوظين- إن شاء الله - من لمة الشيطان، المسعفين بعوارف المنن من لدن الكريم المنان، ومتى صح لك مقام المحبة له تحققت باتباعه، وكتبت في أتباعه، ويحبك الله لذلك بلا ريب، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، اجذب قلبك إليه بجاذب آدابه، واطرح كلك بيد العزيمة في أعتابه، ولا تمل عن ساحة بابه؛ فهناك رحى المحبين تدور، أكثر من الصلاة عليه، وابعثها بقوة الإخلاص إليه[1].

---

(١) قال عبد الرحمن الصفوري في كتابه «نزهة المجالس» في باب المحبة: قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، فإن قيل كيف قدم محبته لهم على محبتهم له، وقدم ذكرهم له على ذكره إياهم قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]؟ فالجواب: ما قاله الشيخ عبد القادر الجيلي ﷺ أن الذكر مقام طلب، فكأنه أمرهم بالطلب منه فقدم ذكرهم له، وأما المحبة فهي تحفة إلهية ليس للعبد فيها اختيار، فلا يصح وجوبها إلا بعد بروزها من جانب الغيب على يد المشيئة، فلهذا قدم محبته لنا على محبتنا له وله الفضل والمنة، ومعنى محبة الله لهم: توفيقه إياهم لطاعته، انتهى مختصرًا.

وقال شعيب الحريفيش في كتابه «روض الفائق» في المجلس الخامس والأربعين في المحبة: اعلم أن المحبة معنى يدق عن الأفكار ويخفى عن الأسرار، فهي للخواصّ نور وللعوامّ نار، ما علق الحب بقلب امرئ ولا حل فيه إلا تلاشى واضمحل، فالحب حرفان حاء وباء، فحاؤه حتف وباؤه بلاء، فهو في

=

الحقيقة داء يستخرج لذائقه من صفو رائقه، وداء وشفاء، فأوله فناء وآخره بقاء، وظاهره تعب وعناء وباطنه سرور وهناء، فالناس في المحبة على أنواع وأجناس، ومحبو الله هم خلاصة الناس، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥] قال ابن عباس: أي أثبت وأدوم، وقيل: إنما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥]؛ لأن الله عز وجل أحبهم أولاً ثم أحبوه ثانيًا، ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وأصح، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]. قال بعض العارفين: الحُب حَبٌّ يُبذر في أرض القلوب، ويسقى بماء العقول، فيثمر على قدر طيب الأرض وصفو الماء، فالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا، وقيل لبعض المحبين: كيف رأيت المحبة؟ فقال: وقفت على ساحل بحر زاخر ماله من آخر.

إخواني: المحبة عروس مهرها النفوس، ولها تخضع الرقاب والرؤوس، فهي تجلي على الأسرار، وتصفو بها الأكدار، فهي للعارف نور وللجاهل نار، إذا مزجت خمرة المحبة على أهل الصفا حضرت قلوب أهل الوفا، فالذكر ألحانها، والتوحيد ريحانها، والشكر ترجمانها، والهيبة سلطانها، فأهل المحبة فُتحت لهم أبواب جنة الوصال يتنعمون فيها بالغدو والآصال، والحبيب يتجلى عليهم بلا حجاب، وملائكة السرور يدخلون عليهم من كل باب. وقال بعضهم: إذا سرى نسيم المحبة إلى مسامّ القلوب ارتاحت إلى لقاء المحبوب، فسمعت المناجاة في الأسحار لأهل القلوب والأسرار، فكل أجاب على حسب ما حصل له من الأحوال، إذا سكنت المحبة في القلوب أنارت بأنوار المحبوب، فأثرت وأثمرت في القلب سبعة أشياء لا يتم مصباح معرفة الرب إلا بها: إخلاص النية لله، والخوف من الله، ورجاء ثواب الله، والصدق مع الله، والتوكل على الله، وحسن الظن بالله، والشوق إلى الله، فهذه السبعة لا يتم مصباح المعرفة إلا بها، كما أن المصباح لا يوقد إلا بسبعة أشياء: الزناد، والحجر، والحراق، والكبريت، والمسرجة، والزيت، والفتيلة، فإن أردت يا هذا إيقاد مصباح قلبك لمشاهدة ربك فلابد من زناد المجاهدة، وحجر المكابدة، وحراق الأشواق، وكبريت المحبة، ومسرجة التوكل، وزيت الشكر، وفتيلة الصبر، ثم تعلق المصباح في سلاسل التضرع إلى ربك، فعند ذلك يتوقد نوره في قلبك فتشاهد جمال ربك. إخواني: إذا أصلح الله أرض قلب قلبها بمحراث الخوف، وبذر فيها حَب الحُب، وسقاها بماء الدمع، فأنبتت زرع يحبهم ويحبونه، سبحوا في بحر حبه وعاموا، ولازموا الخدمة على بابه، وقاموا وواظبوا على امتثال أوامره، وداوموا وتولهوا فيه؛ فلأجل ذلك سهروا في الليل ولم يناموا، فإذا ماتوا من حبه شوقًا إليه لم يلاموا. إخواني: البلاء موكل بالمحبين قد أضنى منهم الأجساد، وتمكن من القلوب، فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى المحبوب، انتهى بتصرف.

[بيان أن سُلم القرب من الله التمسك بالسنة المحمدية]

واجعل سلمك إلى حضرة القرب الأكمل، ومنازل الفتح الأشمل، التمسك بسنته السنية، والتخلق بأخلاقه المطهرة الزكية، واتخذ شريعته النقية حصن أمنك من نوائب الزمان، وركن عزِّك عند ملابسة الحدثان، فإنما نحن أتباع أمره الكريم، والانتظام بسلك خدام سنته التي هي الصراط المستقيم والطريق القويم"(١).

صلى الله عليه ما حنَّ قلب عارف إليه

قمت ليلة في أعتابه الكريمة فانجلى لي نوره الساطع، ولمع لي برق فجره الطالع؛ فذبت هيامًا، وغبت غرامًا، وطرت مني إليه، وعولت بالانسلاخ عني في طريق الله عليه، فلاطفني بالرحمة، ونشر عليَّ رداء النعمة، وأكرمني بالمدد الجامع، وسحَّ عليَّ وابل إحسانه الهامع، ولاحت لي إشارة القبول.

فقلت ويحق لي أن أقول:

وآيـاتِ ألْـواحٍ رُقِمْـنَ مـع العَـما ... وأُحْكِمْنَ في ألْبابِ أهلِ اللَّطائِفِ

غَرامُـكَ مَمْـزوجٌ بروحـي وسِرُّهُ ... تَرَقْـرَقَ في كُـلِّي بِكـلِّ الرَّفـارِفِ

أحِـنُّ اضْـطِلامًا مـن فُـؤادٍ مُقَـرَّحٍ ... وأجْـذبُ منِّـي الآهَ جَذْبَـةَ خـائِفِ

وأبكـي إذا هَـبَّ النَّـسيمُ مُنكَّـرًا ... وقـد جَهِلَتْنـي بـينَ قَـومي مَعـارِفي

وخـالَفَني مـن عُظْـمِ أنّي مُـوافِقي ... ووافَقَني مـن جُهْـدِ طَـوْقي مُخالفي

وأبْكَيـتُ عُـذّالي عَـليَّ تَرَحُّـما ... ورُحْتُ قَطيعًـا مـن حِبالِ المُؤالِفِ

---

(١) قال سيدنا الشيخ الرواس: وبويعت في الحضرة على تعظيم أمر الله، والشفقة على خلق الله، والتمسك بسنة رسول الله ﷺ، وهذه بيعة شيخنا وسيدنا السيد أحمد الرفاعي -قدس سره. [البوارق ص١٧٥].

فَيا حَيْرَةً يا دَهْشَةً يا بَلِيَّةً ... ويا لَوعَةً أبْلَتْ جَميعَ طَرائفي
يَقولونَ لا تَنْدُبْ وكنْ رَيِّضَ الحِمى ... فَكَتْمُ الهَوَى من طَورِ أهلِ المَعارفِ
فَقُلْتُ لهمْ شَبَّ الزَّفيرُ بِمُهْجَتي ... وأظْهَرَ أسراري ولستُ بِعارفِ
ونَمَّ عليَّ الدَّمعُ من صوتِ مَوْجِهِ ... وعَرَّفَني بالعِشقِ وارِدُ خَاطفي
فَيا فِتْنَةَ العُشَّاقِ ارْحَمْ ضَليعَهُمْ ... كَئيبًا يُنادي آمِلاً بالعَوارِفِ
أثِبْهُ حَناناً رَمشةَ الوَصْلِ بالرِّضا ... ولو أنَّها بالنَّوْمِ طَرْفَةُ طارِفِ
فَذَيْلُكَ مَنْشورٌ على كلِّ عاشقٍ ... وبِرُّكَ مَبْسوطٌ على كلِّ عارِفِ
وإنِّي بكَ اسْتَغْنَيْتُ عن كلِّ حادثٍ ... وقُمْتُ إمامًا في جَميعِ الطَّوائفِ
وأيَّدَني سِرٌّ من اللهِ ناصرٌ ... ووطَّدَ قلبي فيه بُشرى الهَواتِفِ
وأمَّلَ مِنِّي القومُ في كُلِّ مَشهدٍ ... من الواردِ الهَطَّالِ غَرْفَةَ غارفِ
وصِرْتُ بحمدِ اللهِ وارِثَكَ الَّذي ... تَجَرَّدَ لُطفًا عَنْ قَتامِ الكَثائفِ
ولِي منكَ روحٌ ضمنَ روحي لِسرِّها ... شُئونٌ تُواليني بِطارقِ طائفِ
وأشْهدُ من مَجْلاكَ في كُلِّ بارزٍ ... جَمالاً ولو ضمنَ الصَّبا بالهَفاهفِ
وأرْتَعُ في أمنٍ وعِزٍّ ومِنْعَةٍ ... ببابكَ في ظلٍّ من اللُّطْفِ وارفِ
وما قُمْتُ إلاَّ لاحَظَتْني عِنايةٌ ... لِعَينكَ تَرْعاني فَتُمْحى مَخاوفي
يُشارِفُني مَعناكَ فَضلاً ورأفَةً ... فأُطْمَسُ عَنِّي لَذَّةً بالمُشارِفِ
سَجائِفُكَ البَيْضاءُ سِتْري عن الوَرى ... فلا زِلْتُ مَسْتورًا بتلكَ السَّجائِفِ

(وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد)

فلينتبه المؤمن لسرِّ هذه الخصوصية

ومكانها الخاص والعام

تجلى الله عليّ وأنا في برية دمشق؛ فانكشفت لي عوالم الملك والملكوت في دائرتي الأرضين والسماوات، وأطلعني الله على عجائب خلقه، فرأيت على ديباج النسيم، وفي حواشي النجوم، وعلى صحائف الأفلاك، وعلى خيوط الأضواء وعلى شقة الفضاء، وعلى ألواح السماء، وفي فجاج الدورتين من العالمين مكتوبًا بخط نوراني يقرأ سطره، ولا يوصف سره: (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**) فانشرحت لهذا الشأن انشراحًا غلب كليتي، حتى كدت أذوب لسره، وانطمس عني بسبره، ثم انطوى ذلك المنشور و﴿**إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ**﴾ [الشورى:٥٣]، فحمدت الله حمدًا كثيرًا وشكرته شكرًا وفيرًا، وعلمت أن سرَّ التوحيد قائمٌ على منصَّات الوجودات، ونور الرسالة لامع على صفحات المصنوعات ﴿**يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ**﴾ [النور:٣٥].

[بيان صفة المؤمن والمنافق]

المؤمن الموفَّق واعظه قلبه، وأنيسه ربه، والمنافق حظه نفسه، وهواه أنسه، اللهم صلِّ على معلم الخير جاء في الخبر: «إن المؤمن همته في العبادة، والمنافق في العادة، وأن المؤمن مشغول بالفكر والأجل، والمنافق مشغول بالحرص والأمل، وأن المؤمن آيس من كل أحد إلا من الله، والمنافق راجٍ من كل أحد إلا من الله، وأن المؤمن آمن من كل أحد إلا من الله، وإن المنافق خائف من كل أحد إلا من الله، وإن المؤمن من يقدم ماله دون دينه، وإن المنافق يقدم دينه دون ماله، وإن المؤمن يأمر وينهى للسياسة، وإن المنافق يأمر وينهى للرياسة، وإن المؤمن كثير الحياء، قليل الأذى، صدوق اللسان، كثير العمل، قليل الكلام، قليل الضحك، كثير البكاء، كثير الحزن، قليل السرور، بر وقور صبور، راضٍ شكور، شفيق، خفيف حليم، يحب لله، ويبغض لله، يحب الوحدة والخلوة، لا يحلف ولو استحلف، والمنافق يحلف ولو لم يستحلف»[1].

قلت: يعني أن المؤمن لا يحلف كاذبًا ولو استحلف، والمنافق يحلف كاذبًا ولو لم يستحلف، فإن المؤمن إذا حلف صادقًا حلف عن إعظام لجلال الله، والمنافق إذا حلف كاذبًا حلف عن جراءة على الله، والبون بينهما بَيِّن المؤمن مباعد للكافر والمنافق، ومهمل لما يصدر عنهما - له - من الأذى، متوكل على الله، كما قال تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٤٨]، و«المنافق إذا وَعَدَ أخلف، إذا اؤتُمِنَ خان»[2]، كذا عرَّفه سيد الحكماء، وأشرف الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولهذا فقد وجب عدم إطاعته، وإهمال الأذى الذي يصدر عنه استحقارًا له، وتعززًا بالله تعالى، ووقوفًا مع الحق، وقد أيَّد الخبر نص الكتاب العزيز بشأن المؤمن، فإن الله تعالى

---

(١) ذكره الحجة الغزالي في «الإحياء» (٤/ ١٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٧، رقم ٨٦٧٠)، والبخاري (١/ ٢١، رقم ٣٣)، ومسلم (١/ ٧٨، رقم ٥٩)، والترمذي (٥/ ١٩، رقم ٢٦٣١)، والنسائي (٨/ ١١٦، رقم ٥٠٢١)، وأبو يعلى (١١/ ٤٠٦، رقم ٦٥٣٣).

قال: ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، ووصفهم أيضًا تعالى فقال: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩]، ولذلك ترى المؤمن يقول الحق، وينصرف عن الخلق، والمنافق يحرف الحق ويقف مع الخلق، والمنافق يخشى الناس ولا يخشى الله، والمؤمن كما عرف في الكتاب والسنة لا يخشى أحدًا إلا الله، وهذا الشأن حال النبي ﷺ فمن طبع الله قلبه على الحال النبوي فقد فاز في الدارين، وبات وهو بربه قرير العين.

[أول دواء يأمر العارف باستعماله: الزهد]

أول دواء يأمر العارف باستعماله للسائر في طريق الله تعالى: الزهد(١)، فإذا صحَّ للعبد الزهد القلبي تجرد عن الحرص على الدنيا، وإذا تمَّ له ذلك صارت أعماله خالصه لله تعالى، وإذا تحقق بالإخلاص رجع في كل شئونه إليه، وتوكل في كل الأحوال عليه، وهناك تراه لا يخشى إلا الله، ولا يهتم بمن سواه، ولا إله إلا الله.

بيان الدعوى الكاذبة

---

(١) قال الشيخ الرواس: وبويعت في الحضرة على الزهد بهذه الدنيا الفانية، والانخلاع عنها بالكلية، والانقطاع بكل حال إلى الله تعالى، فإن مباعدة الدنيا مقاربة من الحق، وعلى قدر التباعد عنها يكون التقارب إلى الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» وحار أقوام بالتوفيق بين هذا الحديث الشريف وبين ما ورد في الخبر: «الدنيا مزرعة الآخرة» فظنوا أن الحديث ينص على اقتنائها ومحبتها، والحال أنه ينادي بكله على مقاطعتها، على أن كل عمل فيها يزرعه المرء ولا تظهر نتيجته إلا في الآخرة، فعليه أن لا يراها إلا دار مرور، وطريق عبور، تحسب فيها الأعمال، وتخبأ فيها الأفعال والأحوال، وهناك تظهر كما هي فإذا انكب على اقتنائها وتكالب عليها ومال بكله إليها انقطع بطبعه عما يزرع فينتج النتيجة التي لا تستحسن في الآخرة ولا يُسَرُّ قلبه إذا رأتها عينه، وإذا تخلى عنها فزرع بها الذكر والفكر والاعتبار والذل لله والانكسار والمسكنة والاضطرار، والصدق والافتقار، وأعرض عن هذه الآثار، ورأى على الكل سطر: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فهناك حالة القدوم، على الحيّ القيوم تحسن حاله ويلذ مآله وتسره أعماله، وعلى هذا فالحديثان الشريفان يحثّان على معنى واحد، وكلاهما على ذلك المعنى المقصود شاهد، وإن اختلف من أرباب التأويل المشاهد. [البوارق ص١٦١].

مررت ببادية «واسط» ومعي فقير من أهل السلوك عريض الدعوى، فما كان إلا والأسد ظهر لنا في البر، فسقط ذلك الفقير مغشيًا عليه من شدة الخوف؛ فداخلني من حال النبي ﷺ هناك حال قام لي منه صدق اعتماد على الله تعالى، أراني ذلك الأسد عظمًا باليًا، فرحت أتبختر إلى الجهة التي هو فيها، فما كان منه إلا أن فرَّ هاربًا والعجاج وراءه؛ ومضى إلى أن غاب عن النظر، فرجعت إلى صاحبي، ورفعته إلى صدري ورحت ألاطفه، وأسكِّن ما به إلى أن أفاق وصحا.

فقلت: ما لك؟ **قال:** خافت بشريتي.

قلت: أي مبارك، اترك الدعوى، لو سكن قلبك لربك لسكنت بشريتك.وهل الأسد إلا هر يكر ويفر بأمر الله! ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨].

قال: بلى، والله، وتاب عن الدعوى، فالله يحسن لنا وله وللمسلمين الخواتيم، إن ربي على ما يشاء قدير.

[نظر العارف مقصور عن رؤية الحادث]

نظر العارف مقصور عن رؤية الحادث، معدوم القدرة والفعل والقطع والوصل، وإن الذي يتصرف فيه بارئه، ولذلك فكل ما يصدر عن المخلوق من شر يخشع به العارف إلى الله، ويلتجئ إليه سبحانه لدفعه، وكل ما يصدر عنه من خير يرجع فيه إلى الله تعالى ويشكره سبحانه على فضله بذلك وبره وإحسانه، وآداب الأعمال في الأمرين قررها الشرع، فآلة الشر مذمومة لما استعملت به، وآلة الخير ممدوحة لما استعملت به، والتصرف في الكل للقدر، رغم البشر، إذ هذه العوارض البارزة من الحادثات كلها ظل زائل، وإدخال الوهم على القلب بشأن ذواتها تعب بلا طائل:

لا تُشَوِّشْ لكَ سِرًّا ... كُلُّ هذا الكَوْنِ زائلْ
حُجُبٌ للعَينِ قامتْ ... منهُ أَضْنَتْ بالقَلاقِلْ
كلُّها نَشْراً وطَيًّا ... عندَ من يدري مَشاغِلْ
طَبقاتُ النَّاسِ مرَّتْ ... وغَدَتْ تلكَ القَوافِلْ
كم نبيٍّ ووَلِيٍّ ... وذوي مُلْكٍ وعاملْ
وتَقيٍّ وشَقيٍّ ... وجَبانٍ ومُقاتلْ
وخَؤونٍ وأمينٍ ... ومُعادٍ ومُخالِلْ
وسَخيٍّ وبَخيلٍ ... وأخي علمٍ وجاهلْ
وأميرٍ وحقيرٍ ... وظُهوريٍّ وخاملْ
وغَنيٍّ وفَقيرٍ ... وفَتى بَذْلٍ وسائلْ
ذَهبوا طُرًّا وراحوا ... تحتَ آطباقِ الجَنادلْ

فاسْـــألِ القيعـــانَ عـــنهمْ لـــو أجابَـــتْ مـــن يُـــسائلْ
طُويَـــتْ تلـــكَ المَعـــاني ومَـــضَتْ تلـــكَ المَحافـــلْ
ذَهَـــبَ القـــومُ أُولـــو المجْـــ ـــدِ الأعـــزّاءُ الأماثـــلْ
وغَـــدتْ والهُـــفَ قلبـــي مَعهُـــمْ تلـــكَ الـــشَّمائلْ
وكـــأنَّ الكُـــلَّ مـــا كـــا نـــوا فَمَحْمـــولٌ وحامـــلْ
ووَضـــيعٌ ورَفيـــعٌ وأخـــو ظُلْـــمٍ وعـــادلْ
وعَظـــيمٌ فـــارسٌ شَمْـــ ـــخٌ وذو طِمْـــرَيْنِ راجِـــلْ
زَمْزَمـــوا جُـــرْداً فَكُـــلٌّ أزْمَعـــتْ فيـــهِ الرَّواحـــلْ
لا تُـــدَبِّرْ لـــكَ أمـــرًا إنَّـــما التَّـــدبيرُ شـــاغلْ
سَـــلِّمِ الأمـــرَ إلى اللــــ ـــه ودَعْ وَضْـــمَةَ غافـــلْ
وارْفَـــعِ الأمـــرَ إليـــهِ والَّـــذي قُـــدِّرَ حاصـــلْ
نَـــشَرَ الأمـــرُ المَعـــاني فَـــشُعوبٌ وقَبائـــلْ
ذاهِـــبٌ هـــذا وهـــذا مـــن ضَـــميرِ الغيـــبِ قابـــلْ
ولَـــدى الأمـــرَيْنِ حَقًّـــا لـــيسَ إلاَّ الله فاعـــلْ
ثِـــقْ بـــهِ واتْـــرُكْ ســـواهُ وارْبُطَـــنْ فيـــهِ الوَســـائلْ
وخُـــذِ الهـــادي إمامًـــا فهـــوَ بُرْهـــانُ الـــدَّلائلْ
أحْكَـــمَ الأمـــرَ وأدَّى صـــادقاً كُـــلَّ الرَّســـائلْ
واتْبَـــعِ القـــومَ فَمـــنهُمْ كُـــلُّ مَقْبـــولٍ ووَاصِـــلْ

عَرَفُــــوا اللهَ وحَقًّـــــا	مَـــــا خَــــلا اللهَ فَباطِـــلْ
لا تُفـــارِقْهُمْ فَـــإِمَّا فـــا	رَقَ أهـــلَ الحَـــقِّ عاقِـــلْ
وسَـــلِ الــــرَّحمنَ في الـــدَّا	رَيـــنِ إدْراكَ المَآمِــــلْ
بِـــرُّهُ والعَفْـــوُ للمُحْـــ	ـــسِنِ والمُــذْنِبِ شــامِلْ
وصَـــلاةُ اللهِ للمُخْــــ	ـــتارِ مَـــن أزْكـى القَبائِـلْ
ولأصْـــــحابٍ وآلٍ	دَأبُهُــمْ نَــشْرُ الفَــضائِلْ

[بيان آية الروح، وآية النفس، وآية العقل]

آية الروح: العروج إلى حظائر القدس والطيران في مفازات الغيوب، والتجول في عوالم الله تعالى، والترقي فيما يرفع بالهمة إلى حضرة السر وأخفى.

وآية النفس: الانحطاط مع كل ساقطة تعود إلى الدنيا الدنية، والشهوات الوقتية، والاندفاع إلى اللذات البهيمية.

وآية العقل: الحكم بما يحسن، والحكم على ما يقبُح، وإرجاع كل مادة علمية إلى أصل تبرز عنه نتيجة مفيدة، وهنا تختلف العقول، فأهل الآخرة يميلون إلى النتائج الأخروية، وأهل الدنيا يميلون إلى النتائج الدنيوية، وأهل الكمال المحمدي يميلون إلى الجمع بين خيري الدنيا والآخرة مع الانسلاخ عن الكل، والتحقق بطلب الله وحده.

وآية النفس أيضًا: الانصراف مع كل ما يلذ لها، ويوافق هواها[1].

---

(١) قال الشيخ أبو الهدى: الإسلام روح الحكمة: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران:١٩]، أتى الإسلام بالبرهان القاطع، والحكم الصادع، فعقد العقول على الحق بالحق، وأوقفها أن تجمع شأنها على ما لا حقيقة له من قولٍ وعملٍ يحيط العقل؛ ولكن هات العقل الكامل، وأحطْ به الإسلام، وخذه على مفكرتك وتدبُّره بعد بعين فقهك وبصيرتك؛ تجده نورًا في قلبك، وحالاً في عزمك، وبركةً في سرِّك، وطمأنينةً في خاطرك، وقوةً في عزيمتك، ورياضةً في طبعك، وعصمةً في أمرك،

=

وبيانًا في لسانك، وشرفًا في صفاتك، وعزًّا في طورك، ومجدًا في سلوكك، وزيادةً في نخوتك، وحصنًا في معيشتك، وركنًا في همتك، وأمانًا في آخرتك، وربحًا في دنياك. وإذا لم يفقه عقلك من الإسلام بعد أن يعمل الإحاطة به هذه الأسرار الباهرة؛ فاتهم عقلك، فإنه ما أحاط به ولا فهم فقهه، ولا وصل إلى سيرة قامت لربي به الحجَّة. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، أخذت به قابليات الطباع حظوظها في دائرة لا تُعدُّ، والحكمة لا تنحرف عن الصواب. قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إلا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] صفت مناهله، وطابت مشاربه. عجبًا للجاهل يكتسي بكِسوة العُيَّاق، فيرى الآخر مكتسيًا بكِسوة التجار؛ فيسقط من عينه، وذاك يرى الآخر مكتسيًا بكِسوة الجند؛ فيسقط من عينه، وذاك يرى الآخر مكتسيًا بكسوة الفقراء؛ فيسقط من عينه، وهلمَّ جرّا. يا مَن عَقل عقله بعقال الكساوي المجرَّدة، خُذ الحكمة أين وجدتها، ولا تنظر إلى مصدرها، انطمس عن المصدر وخذها، ومن أي محلٍّ صدرت تنظر إلى مصدرها، انطمس عن المصدر وخذها، ومن أي محل صدرت فلتصدر، هي القصد وفيها المطلوب، ولا تتبع الحبل الدلو، وقف الأمور عند حدودها، نقِّ نظرك حتى يرى الحكم، وينصرف عن مصادرها ومواردها، كُن علاَّمًا بما لك وما عليك، وارجع نظرك إليك، تفكَّر بعوالم الله تعالى عالم الماء في كل جرعة منه، من العوالم العجائب عالم الهواء في كل شمة منه من العوالم الغرائب سلطنته القادرة في كل شيء.

قال لك: اعتبر أيُّها الإنسان بنص: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر:٢]، إن أدركت حكم العبرة في الفكرة، ووصلت إلى سرِّها المطوي، وعالمها المخفي، ووقفت عن الغفلة، وسرت مع الحذاقة، وجمَّعت عليك حالك؛ فقد فزت فوزًا عظيمًا. قال تعالى: ﴿وَالله وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٩]، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ الله الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦]؛ هذا نظام خاص لأهل الاختصاص. قال تعالى: ﴿يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور:٣٥]. وقال: ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]. وصلَّى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله في الأول والآخر، والباطن والظاهر، له الحكم وإليه ترجعون.

وقال ﵁: اللّهم صلِّ على سيد خلقك محمد ﷺ، ولا حول ولا قوة إلا بك، يا علي يا عظيم، يا حي يا قيُّوم. معاشر الإخوان الكرام، الأشياء تنتهي إلى أصول تخمُّرها وتُطبِّع بها، وتلك الأصول إلى أصول أُخر، وتلك إلى معادنه، فإذا انتهى كل شيء إلى خميرته، وكل خميرة إلى معدنها، وكل معدن إلى لُباب عينية وجوده وقف بطبعه، فخَفته من كل جهاته سلطنة الخالق الصانع القديم، فرجع يتسلسل متناهيًا، وتناهى يتنـزَّل راجعًا من غايته إلى بدايته قائلاً لسان حاله في كل نهضة وسقطة، هو الذي صوركم فأحسن صوركم. وهذا النسق الجليل تشهد به طبائع الأشياء، ويدرك هذا السرَّ

=

المغلق الآدميون أهل العقل الكريم، والقلب السليم، وإلا فالذين لا عقول لهم، ولا قلوب من عصابة البشر؛ فهم في عمى الجهل.

والإنسان يشتمل على عالمين: عالم الهيكل، وعالم الجسم المحسوس المشهود، وعالم السرِّ، وهو مجتمع من العقل والروح.

فعالم الهيكل: سفلي يتعلَّق به ما سفل من الفروع اللازمة به القائمة معه.

وعالم السرِّ: علوي يتعلَّق به ما علا من الفروع الصالحة المشاكلة لحالة.

فالجسم يتعلَّق به الطعام والشراء وعلائقهم، وما ينظم حالة من لباس وظلال، ومنام وشهوة وراحة، وفي كل حالة من هذه الأحوال أحوال تدلُّ على سفله.

والعقل والروح يتعلَّق بهم المعرفة والعلم، والترقِّي إلى الحضرات المقدَّسة، والوصول إلى حقائق الأشياء، وفي كلها أسرار تدلُّ على عُلو العقل والروح إلا أن فروع نور العقل لا تجتمع إلى أصلها الذي هو العقل إلا بمشهودات يغترف معناها البصر إلى ساحة العقل؛ فيدفعها إلى بحبوحة الفكرة، ويأخذ منها ما يطابق عاقلة العقل من النتيجة، أو بمسموعات يغترفها السمع، فيلقيها في حضرة الخيال، ويقابلها بمرآة الفكرة، ويتسلَّق إلى ما تخيَّل لها من الخيال، فيسقط عليه عين الفهم؛ فيراه بها، ويأخذ منها النتيجة.

وأمَّا فروع نور الروح؛ فهي غنية عن الاستعانة بالشهود؛ لترفُّعها عن ذلك؛ ولكنها تطمس بحجاب الوجود، فإذا رفع عنها السالك الحجاب بالرياضة؛ تلقَّى نورها الإلهي المنكشف القلب، فأبصر به، وتفرَّس بانصباب القلب من مركز حضرته المستقلة إلى نور الروح المطلقة من قيد حجاب الوجود، فنظر حقائق الأشياء. قال ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فأنه ينظر بنور الله**». وهذا الشأن يترقَّى إلى منابر الصدِّيقين، ويكشف شراع الملك والملكوت، ويرفع بُردة قعر البهموت، ويفلت عقد أدوار الأرضين؛ لكن إذا غلب الهيكل الجسماني بالرياضة الصالحة الشرعية، ومزق حجابه، وفتح من المغلاق الصادق للروح عن مقامها العلوي أرصاده وأبوابه؛ وهنالك يُحسب في إعداد المقرَّبين بنسبة اضمحلال الحجاب المذكور، وإطلاق ذلك النور. وأمَّا إذا طمس ذلك النور بحجاب الوجود، وسلبت فكرة العقل بظاهر ذلك الهيكل المشهود؛ فنهالك يُحسب صاحب هذا الشأن من المبعودين، وينحط عن منزلة القرب بنسبة غلظة حجابه حتى ينتهي إلى أسفل سافلين.

أنكر أقوام من أهل البغي والبُطلان طيران الروح إلى العوالم المقدَّسة، والمعالم العليَّة؛ وذلك لغلظة حجابهم لو أدركوا انعكاس تلك العوالم للروح حين ينصرف عنها حجاب الوجود بالنوم، وتدبَّروا نظام الرؤيا؛ لقنعوا بأنموذجها.

نعم للخاطر هدس ينقلب شكله إلى طارقة الدماغ من طريق الفكرة، فيقيم لها مثالاً، فتلك الرؤيا الكاذبة

=

تحدث من غلبة خيال، أو تعب جسم، أو من إغلاق أبخرة طعام أو من احتلال طارق سرور، أو خوف ساحة القلب، فهذه الأمور يتولَّد منها الهدس الخاطري، وقد يكون مَن جازم نية.

وهذه النكتة فيه فارقة، فإن كانت نية غير معينة الكيفية لا رسم لها في لوح الخاطر؛ توطدت بالذكر والعمل المبرور بالوقوف في باب الله، والاستفاضة من رسوله ﷺ، أو نية معينة توجَّهت لكشف حقيقتها الغير المعلومة، وجهة الهمة بالاستخارة؛ فالرؤيا هنا رؤيا استدلال، وإن كانت قائمة عن جازم، ولم تُوطَّد بذكرٍ أو عمل مبرور، واستفاضة صالحة؛ فالرؤيا هنا رؤيا خبط نتج من الجزم، وقام مع الهدس فانقلب لطارقة الدماغ، وأقام لها مثاله وهي كاذبة.

وإن خلت الرؤيا عن كل هذا مع السلامة من منازعات الشرع، ونشأت عن وارد غيبي؛ فتلك الرؤيا الصادقة التي تصلح للتعبير، وهي من استكشاف الروح، نعم أنكر قوم من الضالين والمردودين والمغضوب عليهم مادة الروح، وخبَّطوا بالكلام على إنكارها خبط عشواء، وهي من أمر الله. قال ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥]، والأمر معنوي ولازمه مادي، فالمادة الثقيلة القائمة بذلك الأمر المعنوي الذي هو الروح؛ إنما هي الجسد، ولا سبيل إلى إنكار قيام الجسد بها، ولا حجة على قيام وجودها بالجسد، وحيث كان الجسد قائمًا بها وهي غنية عنه، تعيَّن كونها سرًّا أمريًّا موجدًا في الوجود وهو غيره، ويقوم بنفسه، وبه يقوم الوجود ولا يدرك للطافته، وفيه مادة منبجسة من معناه، وتلك النفس، وفيه قوام جولة الدم في الهيكل.

فقدان المادة المنبجسة منه دليل على مفارقته الوجود، وكل الأسباب التي تدفع المادة التي هي معنى الروح، أعني: النفس عن الهيكل؛ فهي من طوارق الأقدار التي قضت بانفكاك هذا الأمر المبعض عن الجسد القائم بها، وله شواهد عليه منه دالة على عظم الخالق العليم الخبير، ألا له الخلق والأمر، وهو على كل شيء قدير.

وقال ﷺ: إن رسول الله ﷺ فتح باب الإرشاد بيده القدسية، وسلَّمه في هذا القرن إليَّ، فهذا اليوم ظهور النوبة المحمَّديَّة الرفاعية، وطريقتها المرتضوية العَلوية على مُشرِّعها ابن عبد الله ﷺ طريقي دين بلا بلاغة، وعمل بلا كسل، طريقنا ضبط الحواس بمراعاة الأنفاس، وتطهير الباطن من الأدناس، ومداومة الذكر بجمع جميع الحواس، طريقي دين بلا بدعة، وعمل بلا رياء، وقلب بلا شغل، ونفس بلا شهوة، طريقنا الكتاب والسنَّة؛ إلا أن الفقير على الطريق مادام على السُّنة، فمتى انحرف عنها؛ ضلَّ عن طريق طريقنا أن لا تسأل ولا ترد ولا تدَّخر، وأن تتحقق أن الكل بيد الله، وكلٌّ مُيسَّر لِما خُلق له، وإن تقف عند حدِّ الشرع ولا تتعدَّاه، والعون من الله.

هذا الطريق واضحٌ، أغلق مناهجه جماعة اصطلم عليهم الحال، وما بلغوا مقام التمكين، فتجاوزوا بالشطح والدعوى الحدود، فتبعهم فريقان: فريقٌ انقاد بحسن الظنِّ، وفريقٌ قاده الجهل، وكلاهما

[ميزة العارف صاحب العقل الكامل]

ولذلك ترى أن العارف يطمس ثائرة نفسه حتى يمحقها، وهناك تشرق روحه في سماء قلبه إشراقًا يصلح القلب، ويبعثه عن الحادثات إلى طلب الرب، جلت عظمته وتعالت قدرته، ويعينه على هذا القصد العظيم عقله، فترى عقله نورًا، وقلبه نورًا، وروحه نورًا، ولا يزال ينمو عليه النور حتى يصير كله نورًا، وهنالك تصير همته خارقة، وسريرته بارقة، وفراسته صادقة: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بنورِ الله»(١). وهذا من بركة صلاح القلب «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»(٢)؛ لأن القلب مهبط الذكرى القرآنية فهي عليه تتنزل، وهي التي يأخذها ويُذكِّر كل الوجود القالبي بالله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]، ولا يتذكر إلا قلب المؤمن الذي صدق عرفانه، وأشرق إيمانه ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]، وهم أهل الخشية الذين خافوا الله لعلمهم به سبحانه، فإن العلم بالله ينتج الخشية من الله.

=

على شفا جرف، إلا أن الطريق محجّة بيضاء كل ما فيه من قولٍ وفعلٍ، بطن أو ظهر لا يتجاوز دائرة الشرع؛ إلا أن كل طريقة خالفت الشريعة زندقة.

الطريق أن تقول: آمنت بالله، ووقفت عند حدود الله، وعظَّمت ما عظَّم الله، وانتهيت عمَّا نهى الله، ولا طريق بعد هذا أبدًا؛ إذ ليس بعد الحق إلا الضلال.

(١) رواه الترمذي (٥/ ٢٩٨)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣١٢).

(٢) رواه البيهقي (٥/ ٢٦٤)، وابن حبان (٢/ ٨٢).

[بيان أن العلماء العاملون، هم العلماء بالله

وهم الأولياء، لا علماء الدنيا الغير عاملين بعلمهم]

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾ [الأعلى:١٠] ورءوس أهل الخشية العلماء ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، الذين عملوا بما علموا فعلَّمهم الله من لدنه علمًا ما كانوا به بعالمين: «من عمل بما يعلم ورثَّه الله علم ما لم يعلم»[1].

وإلاَّ فما هم بعلماء الدنيا الذين تعلموا هذه الفنون القولية، والعلوم الشرعية للدنيا، وأهملوا العمل، وهم المرادون بخطاب: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة:٤٤]، فأهل العمل بالعلم الذين ورثوا ببركة العمل بالعلم علمًا لدنّيًا وفتحًا غيبيًا، وصار المعلم لهم الله سبحانه بدليل: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]، أولئك هم أولياء الله حقًّا، يُدّر ببركتهم الضرع، وينبت الزرع، وينقلب الضر نفعًا، والفرق جمعًا، ولهم الوسيلة عند الله تعالى، فإنه أحبهم، فأكرمهم وعلَّمهم، أفاض عليهم من فضله عناية وبركة ومددًا، وأسعف بهم المحبين، وأغاث بهم الملهوفين، وجبر بهم كسر المنكسرين.

[فائدة في التوسل برجال الغيب الذين هم من أهل البيت ﷺ]

ضاق برجل من إخواننا من السادات الحسينية ذَرْعَه، ونفد وسْعه وطَمَّتْه حادثة حار لها، فذكر ذلك لي؛ فقلت له: استعن برجال الغيب، الذين هم من أهل البيت، ونظمت له بلسان الإلهام الأبيات الآتية، وأمرته بتلاوتها منكسرًا لله، متوسلاً بمحبة الله للقوم ـ رضي الله تعالى عنهم ـ فما كان إلا وبأيسر وقت يسَّر الله أمره، وكشف عسره، وأكمل له المسرة، وهذه الأبيات:

يـا رجـالَ الغيـبِ أيـنَ الهمَـمُ ... وأيـاديكُمْ وأيـنَ الـشِّيَمُ

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٥).

حرِّكـوا العـزمَ وثُـوروا غَـيْرَةً … فلَنـا مـنكم لَعَمْـري رَحِـمُ
وانْـشُروا أعلامكُـمْ عـن نجـدَةٍ … كلُّكـم يـا قـومُ فـردٌ عَلَـمُ
يـا رِجـالَ الله يـا أهـلَ الوَحـا … لاحِظونـا هـا هـو الـدَّمعُ دَمُ
بـدِّلوا العُـسْرَ بيـسرٍ أَبـيضٍ … فلكـم يُنْمـى الـسَّخا والكـرَمُ
يالَ بيـتِ المُـصْطَفى مـن هاشِـمٍ … عنـه أنـتمْ في البَرايـا قُـوَّمُ
مـسَّنا الكـربُ فقُومـوا علَنَّـا … وأَغيثونـا وجُـودوا وأنعِمـوا
واضْرِبـوا الخـصمَ بـسهمٍ قاتِـلٍ … كـم وكـم ثـارَتْ شُئونٌ مـنكُمُ
يـا أَسـاطينَ الحِمـى يـا سَـادَتي … رضِيَ الله تعـالى عـنكُمُ

[بيان الغربة الحقيقية

وتحقق المؤلف ﷺ بها، حتى لقبه رسول الله ﷺ

بـ«غريب الغرباء».]

﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس:٥٨] أسرار الإفاضة تظهر من بطون الصِّيانة لأهل الأمانة، الخُلَّص الذين أغربوا الشأو والشأن، والزي والطراز، والحال والمقام، أولئك الغرباء حقًّا: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أهل الْقُبُورِ»[1] ليس الغريب غريب الوطن، بل الغريب غريب الهمة.

غربة القوم: عن الخلق إلى الحق.

غربة القوم: الانفراد بالشأن انقباضًا عن الكل إلى الخالق، انقطاعًا عن الحادثات إليه، انجماعًا عن عادات الناس إلى أمره ونهيه، خروجًا عن فوق الفوق وتحت التحت، وما

(١) رواه البخاري (٢١/ ٢٦٨)، وأحمد (١٠/ ٣٩٦).

دونهما وما وراءهما إلى علم الله، تجردًا عن كلية الكل، وجزئية الجزء، القائمتين بذات المتجَرِّد إلى فضاء محبة الله ورسوله ﷺ، وهناك فناء ينتج بقاء.

رأيت في بعض منظومات القطب الغوث الفرد السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي ﷺ وعنا به، بيتين في هذا النسيج، فخمستهما من نوعهما فقلت:

أَذُوبُ غَرَامًا حِيْنَ يَبْدُو خَيالُكُم وَأَحْيا إِذَا مَا رَفَّ فَوْقِي ظِلالُكُم

تَسَلَّطَنَّ فِي بُرْجِ الشّهُودِ جَلَالُكُم أَيا سَادَتِي لَمّا انجَلى لِي جَمالُكُم

فَنيْتُ بِه عَنِّي وَقُمْتُ بِلا أَنَا

نَعَم إِنّ دِين الحُبِّ أَنْ يَتْرِكَ السِّوى وَيَنْشُر فِي مَحو الوجُودَاتِ مَا انْطَوى

أَحِبّتَنَا رِفْقًا فَقَد هَدنا النّوى وَمِن عَجبٍ أَنّ القُلوبَ مَع الهَوى

تَمِيْلُ وَيُبْقِيْهَا بِمِيْلَتِهَا الفَنَا

الغربة في هذا الطراز المسطور، والنظم المنثور، هي سهم القوم الذين عناهم حبيب الأرواح، شفاء القلوب، نبي الرحمة، سيدنا ونبينا ومولانا أبو البتول الزهراء ﷺ بقوله ﷺ: «**الإِسْلام بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، قيل: ومن الغرباء؟ قال: الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي، والذين يحيون ما أماتوا من سنتي**»[1]، وفي رواية أخرى: «**هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم الآن**»[2].

وفي رواية أيضًا: «**أناسٌ قليل صالحون في الناس، كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم**»[3] هذا شأنهم وهذه صفتهم.

الحمد لله قد أعطاني ربي هذا الشأن، ورزقني هذه الصفة ولم يزل يتحكم في سر هذه

---

(١) رواه مسلم (١/ ٤٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٤٦).

(٢) ذكره الحجة الغزالي في «الإحياء» (١/ ٤١).

(٣) ذكره المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٣٦٢).

الغربة حتى لقبني رسول الله ﷺ في حضرة القبول: بـ«غريب الغرباء»؛ وخاطبني بهذا الخطاب الأسعد، وتلطف بي، وقد قلت في معنى ذلك الفيض الهطال والمدد السيال:

قد كشفَ السّرُّ عن الرَّمزِ الخِبا   وقد رأيتُ للتَّجلِّي مَشْعَبا

قالَ حبيبي والسُّرورُ طافِحٌ   أهلاً وسهلاً يا غَريبَ الغُرَبا

[التخلية عن الأغيار لله تعالى مطلب العارفين].

انكشفت لي العوالم وأنا في مرتبة قطبية المحبوبية المحاذية من طريق الخلعة للغوثية الجامعة، والفردية الكاملة، حتى لقد اطلعت على رنَّات الخواطر في الصدور، فانجمعت عن كل ذلك، وقلت: «اللهم احجبني بك عن غيرك، وأوقفني معك لك، واصرفني إليك بك، بحرمة كتابك ونبيك سيدنا محمد، وإخوته الأنبياء والمرسلين أجمعين» فقبل الله مني، وانحجبت بنور الله عن غيره سبحانه.

[الاستسلام لإرادة الله وعدم الاعتراض أسلم مع الأخذ بالأسباب، فإنه أحكم]

وأثقلُ ما مرَّ عليَّ وبهضني، وخطف من عزمي، وأقعد قوتي وهَدَّ حيلي، إنما هو أمر التصريف الذي أفيض إليَّ في بلاد نصارى الغرب؛ فإن الذي هم عليه من رغد العيش، وسعة الدنيا، وإطلاق العنان فيما يشتهون، وإحكام الشئون الدنيوية من حيث نواميسها القائمة، وقوة العدد وكثرة العُدد، هذا على الغالب في أممهم، كنت إذا رقمته في لوح فكرتي، وأخذت بلفت عنان البصيرة إلى ما عليه إخواننا المسلمون من انحطاط الأمر في كل شأن من الشئون المذكورة في جميع المعمورة أراه يأخذني بانزعاج خاطر وقهارية كدر، ولا يسعني إلا محض الرجوع إلى الله فاقرأ: ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٧٠] آهِ من ثِقل هذا المشهد:

صَرَّفَ الأَمْـرَ تَعَالى فَالَّذِي   قَامَ بَالأَمرِ بَدَا فِيمَا نَرَى

حِكَـــمٌ أحْكَمَهَـــا فِي خَلْقِـــه هَكَـذا الأمْـرُ مـن الغَيْـبِ جَـرَى

[بيان سبب غلبة أعداء الدين على المسلمين في عصرنا]

نعم، هذا الحكم حكم قاطع، ومعنى جامع ترد إليه هذه المَعامِعُ، فالحكم هو: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧]، والمعنى هو: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال:٦٠]، ولهاتين الإشارتين كافل، وهو ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال:٤٦].

علَّمنا كل ذلك صاحب دولة الدين ﷺ، الصادق الوعد الأمين ﷺ، سيد المخلوقين ﷺ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ﷺ، ورجال دولته المحمدية الروحية الشجية، الباطنية الظاهرية، وسلم تسليمًا إلى يوم الدين.

قمتُ وأنا في مرتبة الغوثية الجامعة يومًا وأنا على بساط التسليم؛ فهزني شأن من شئون الغيرة لله في بعض الحوادث البارزة، فنوديت في سري: كن مع الأمر في السر والجهر: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، وتأدب بآداب نبيك الكريم؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقلت:

سِرُّ الحَـوادِثِ لَـو عَرفْنَـا حُكْمَـهُ لَمَـضَى بِنَـا طَوْعًـا إِلَى التَّـسْلِيْمِ

إِنّ القَدِيْمَ الحَـقّ يَفْعَـلُ مَـا يَشَاءُ وَالطَّيْشُ طَـوْرُ العَـاجِزِ المَعْـدُوْمِ

ولله الأمر من قبل ومن بعد، حِكَمٌ في خبايا غيوبه نسجها في أدوار الأزمان، تنكشف دقائق حقائقها يوم الوفود عليه والرجوع إليه، وفي كلها هو الآمر الناقد البصير، وإليه المصير.

[مطلب في التوحيد والتنزيه]

طاف طائف عزمي في محاضرات الليل الأليل، تحت ستور الغيب في حظيرة الواحدية؛ فانجلى لي في ذلك الطواف الأبلج نور عرفان فَهِمتْ منه ذراتي أن الواحدية فردية لا تُثَنَّى في حال من الأحوال، ولا في صفة من الصفات، وفوق حكمها الأحدية، وهي رتبة الإفراد للذات، كما أن الواحدية رتبة الإفراد للصفات، وهنا الفرق بين صفات المخلوق وذاته، وصفات الخالق وذاته، تقدّست ذاته وصفاته، فإن صفة المخلوق مثنّاة بمثلها، وذاته مثنّاة بشبهها، والخالق لا مثل له ولا شبه، وكل مثنى بمثل وشبه فهو محاط بالأفكار، ومدرك بالإبصار، والخالق سبحانه وتعالى لما تنزه عن المثيل والشبيه، أرشدنا لحكم هذا التنزيه فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:٥٤]، وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٣]، ولما كان هو المحيط المُدرِك، ثبتت له سبحانه في واحديته وأحديته الفردية المطلقة بقهر من سواه؛ فله القدرة والبقاء، ولغيره العجز والفناء ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

قال بعضهم: المستثنَى أن الهلاك وجه الشيء؛ لتوجهه بطبعه إليه.

قلنا: سبك النظم لا يقضي بهذا، فإنه هو: ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٧٠]، ووجه غيره محكوم إليه يرجع من بحبوحة الهلاك، ينشئه من عدم محض، ويرجعه إلى عدم محض، ويبرزه من لُباب النسيجين حالة كونه هالكًا، فيرجع رافلاً بثوب هلاكه إليه، ويُعوِّل مُبرقَعًا ببرقع عدمه عليه، ولو كان هذا لكان للقلب، وما كل القلوب والوجوه لها حصة الحياة من شروق قدس التوجه إليه، ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩]، فإنهم لا يوجهون الوجوه إليه، ولا يجمعون القلوب عليه، فوجوههم هالكة بالانحراف عنه، وقلوبهم ميتة ببعدها منه ـ **اللهم لا تمت قلوبنا يوم تموت القلوب** ـ والهلاك هو التحول من حال الحياة الدنيوية إلى حال المات المحتم الحلول بكل حي من المخلوقين: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:٣٥]، فتحول المردودين ـ والعياذ بالله ـ تحول قطع بسيف

الإهلاك، لا يبرز عنه إلا هلاك، وتحول أهل الحق تحول انتقال من دار إلى دار، وهناك تحيى قلوبهم ووجوههم بنشأة السر المستودع منه في تلك القلوب، وبطالعة النور الآخذ بأزمَّة تلك الوجوه للتوجه إليه «فإن الخير لا يبلى»[1] كذا قال ابن مسعود الإمام الجليل ﷺ.

[لابد دوام وجود واحد قائم لله بحجة]

وإن من سرِّ الواحدية دوام وجود واحد في ملك الله، قائم لله بحجته.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وعنا به، وكرم الله تعالى وجهه: «لا تخلو الأرض عن قائم لله بحججه، لكيلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع الله عن حججه التي يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعونها في قلوب أشباههم».

قلت: البروز بحكم الإيداع ينبجس من شروق نور الواحدية، والقيام بحكم الاستيداع يثبت بمكنة سلطان الأحدية، لدوام تجلي شأن الرتبتين في عالم الإنسان، إعزازًا لدولة حال النبي ﷺ؛ فإن الحال المحمدي شأنه الدوام في ملك الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

[بشارة ومدد، دون تعيين أمر]

وقد لمع لي من خدر ذلك المشهد الذي انجلى لي نوره، وانكشفت لشاهدي ستوره:

أن الله سيبرز من فيضاء الغيب لهذا الحال المحمدي رجالاً يسقط على قلوبهم عُقاب نور ذلك الحال من فضاء المدد الرباني؛ فتتفجر في تلك القلوب ينابيع الحكمة، وتجري على ألسن أولئك الرجال من حيث لا يشعرون، فترى منهم الكافر الألد بالأمس، مؤمنًا خالصًا اليوم، ويتم الله نوره:

كَأَنَّ فِي خِدْرِ الغُيُوبِ مِن طُوى حَالَ النَّبِي لِلْقُلُوبِ جَاذِبَة

---

(١) ذكره ابن الأثير في «جامع الأصول» (٨٤٧٩).

تُفَتِّقُ أَرْتَاقَ قُلُوبٍ قَدْ قَسَتْ   نِبَالُ نُورِهِ الرَّقَاقُ الصَّائِبَةُ
فَأَعْجَبْ لَهَا للهِ مِن بَدَايَةٍ   تَسَرْبَلَتْ لُطْفًا بِحُسْنِ العَاقِبَة

وكأني أرى هذا وجنود الله سيّارة، وأسرار الغيب طيّارة، والألسن ناطقة، والأسرار صادقة، وشموس المدد لائحة، وروائح مسك القبول النبوي فائحة، وفئة كثيرة من نصارى الغرب وهم في منعة من أمرهم، وقوة في حالهم، تبث فيهم روح من براهين المدد النبوي المحمدي فيهدي الله ضالهم، ويصلح بالهم، ويحول إلى الإيمان بوحدانية الله تعالى ورسالة نبيه المصطفى الكريم ﷺ حالهم، وينمو في برهة قرب عددهم وتكثر عددهم، وتلك آية من آيات الله تعالى مستودعة في بطن الغيب تحفة للنبي الأمين، وإغاثة الدين، وعناية خاصة للمسلمين.

ولا زلت أشهد ذلك المدد الممدود، والبحر العذب المورود، تمتد إلى قلوب القوم سلاسله، وتفيض فيهم جداوله، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم:٩]، برشة من سحاب كرمه يجعل الأرض ريًّا، وبنظرة من عين عنايته يجعل الكافر وليًّا، و﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥].

[بعض صفات وكمالات مولانا رسول الله ﷺ]

هذه مائدة مدد النبي العظيم، الرءوف الرحيم، البر الكريم، الذي هدم أركان البغي والعدوان، وشيَّد حصون الأمن والإيمان، وساوى بشريعته الطاهرة بين الصغير والكبير، والمأمور والأمير، فأنام الأعين بالأمن قريرة هادية، وترك القلوب بالإيمان ريضة زاكية، قال - فيه عليه الصلاة والسلام - سيدي السيد سراج الدين المخزومي بيتين معمورين خمستهما، فقلت:

عَيْشِي بِقُرْبِكَ أَضْحَى فِي الوَرَى رَغدا   وَحَاضِرِي بِكَ عَن كَوْنِ السِّوى فَقْدا
يَا هَيْكَلاً نُورُه سَامَى السُّهَا وَعدا   لَو قَابَلَ البَدْرُ بَعْضًا مِن سَنَاكَ غَدا

حَيْرَانَ ذَا كلفٍ بِالنُّورِ مَبْهُوتا

صِـــفَاتُكَ اللهَ للعَلْيـــا تُخَيِّرُهَـــا وَفِي مَعَـارِيْج لُطْـفِ الغَيْـبِ سَـيرُهَا

مَعْنَـاكَ لَـو قَابَـلَ الأَلْبَـابَ حَيّرَهَـا وَلَـو مـشيت عَـلَى الحَـصْبَاءِ صَـيّرَهَا

شُعَاعُ خَدْيكَ مَرْجَانًا وَيَاقُوتا

كيف لا والمصطفى الأعظم ﷺ سرُّ الحِكَم الإلهية في العوالم الرّبانية، فالقوة الدرَّاكة عاجزة في كل آن، ومع كل حال وشأن، عن فهم سر الحِكَم الإلهية والدقائق الساريات في رقائق الكليات والجزئيات، وإن لوامع أنوار الحكم ظاهرات للعيان، وطوالع شموسها سائرات في دوائر الأكوان، فبلوامِعهَا يصل العارف إلى فهم معناها المكتَّم، وبطوالعها يكشف العاقل ستر كنزها المطلسم؛ لأن الآثار وإن تخافى صاحبها تدل عليه، والمراسم، وإن تباعد مقام مطرزها تُقرّب بمعناها إليه.

وغير خافٍ أن الحِكَم آثار الحكيم الأعظم، وأسرارها عين النقطة الجارية من فيض بحر فضله الأكرم المطمطم، وأن ما اطلع عليه العارفون من الأسرار، إنما هو بعض أسرار تلك الآثار، ومنها لكل آخذ علم ما يكفيه، ولكل مريض جهل ما يشفيه، ولكل منهدم ما يعمره ويبنيه، ولكل مبعد ما يقرِّبه ويدنيه.

[سر الحكم الإلهية هو الحقيقة المحمدية]

وقد ثبت أن سرَّ كل الحكم الجامعة الكلية، إنما هو مجلى الحقيقة المباركة المحمدية، إذ هي مبدأ طرز الحكم الموضوعة، وأول شكل الهياكل المصنوعة، بل السبب الأعظم القائم بالأمر في مادة الوجود، والعلة الغائية لخلق كل موجود، والحبل الطويل الكافل وصلة كل واصل، والباب العريض العالي الضامن كفاية كل داخل، والكنز الجامع لنكات الكائنات، والكوكب اللامع في مطالع سماوات الموجودات، والألف الأول الممدود من حيطة الأزل إلى حطة الأبد، والنقطة الشاملة المطلسمة بحل كل رَصد، ورصد كل مدد.

والآية الكبرى التي وُعِدَ بشهودها موسى.

والنعمة العظمى التي تشبث بأذيال إحسانها عيسى.

والقاموس المترجم بلسان القِدم في مدارس العدم، والناموس الأعظم المحكّم سلطانه فوق كل هام وقَدم، القبضة الأصلية التي جمعت بطي مضمونها هيكل الأمر والإبداع والخلق، والنشأة الأزلية المتوجة بتاج البرهان والإحسان والحق.

مقتدى كل إمام في كل دائرة إلهية، وقبلة كل مقتدي في كل حضرة لاهوتية، وارد الإرادات ومهبط أمر تصريفها، ومظهر المشيئات، وواسطة تدويرها في تنميق ثقيلها وخفيفها.

لوح العلم المطرز بكل علم خفي مكتوم.

وقلم السر الكاتب بأمر الله كل ما اندرج في صحيفة وهب الحي القيوم.

وحجاب العناية القديمة القائم بالأمر الأزلي بين الملك والعبيد.

وبرزخ الشرف الرفيع الممدود للفرق بين المراد والمريد.

حرم الله الأمين المحفوف بعساكر الغيوب، وسلطان البرهان الديمومي الساري سريان سر قدرته في جميع القلوب.

أمين الحضرة المقدّسة على كل خزانة غيبية، وواسطة التجلي في الحضيرة الأبدية، لكل زمرة معظّمة خفية وجلية.

وآدم آدم، وأصل العالم، والحيطة الجامعة الكبرى، واللمعة البارعة الزهراء.

والعالم الأكبر الشامل، والعلم الأعظم الطائل، والنوع المتضمن كل الأنواع، والنّفَس الساري في القلوب والأبصار والأسماع.

عروس خلوة الواحدية، ومحبوب جلوة الأحدية، البرق المتلوي في زوايا الجبروت، والقمر المتلألئ تحت أستار الرحموت.

مصباح مدار الجلال، وفجر قبة الجمال، وجامع مدينة الوصال، ومحراب مملكة الإيصال، ونتيجة كل المقال، وزبدة كل مآل، غضنفر غاب القدس الأعلى، وعنبر مجلس الأنس الأجلى، تاج عروس المعالي، وقرة عين دور الأيام والليالي، عيد كل طالع سعيد، وروح كل مظهر إلهي حميد.

القائم بأمر الله، والمؤيد بعناية الله، والضارب بسيف الله، والمتكلم بلسان الله، والظاهر بحول الله، والباطن بسر الله، أمين الله على خزائن علوم الله، وسر الله السرياني المنشور في ملك الله وملكوت الله، السبب والبرزخ والحبل، والقول والقوة والفعل، ميم المدد المعقود، وحاء حل عقدة الوجود، المدد الأعظم الذي لا انقطاع له، والفيض المطلسم الذي ما خاب من أمَّله وأمَّ له.

النفحة السرمدية القديمة، والنظرة الأزلية العظيمة، الحقيقة الأولى، والضِئْضِيء الأقدم، والهيكل الأعلى، والمظهر الأعم، حقيقة الحضرة المعظمة في كل المحاضر، والدولة الآمرة على كل باد وحاضر.

فالمعرفة بها حصن الأمان والنجاح، وباب البركة والفلاح، وطريق الستر والسيادة، وحرم السلامة والسعادة، ومنشور الترقيات في الدارين لأحسن وأشرف المراتب، وهيكل

العنايات والقوة والنصرة والعلو على كل مظاهر ومغالب، وعدو وحاسد ومحارب، وهي ميزاب رحمة الله، وسحاب فيض كرم الله إن شاء الله.

ولم لا؟ وهي حقيقة شئونات حبيب الله، ورقيقة نعوت صفوة الله من خلق الله، المخاطب بلسان القرآن الكريم بالتعظيم، بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، الممدوح بالآيات البينات، والمذكور ذكره الشريف بطراز الثناء في جميع الكتب الإلهيات، حجاب الفرق، وصراط الحق، صلى الله تعالى عليه وعلى آله الأقمار، وأصحابه الأخيار، وأتباعه الأبرار، وأحبابه إلى يوم القرار، ما أعتم ليل وأشرق نهار، واضطرب عاشق وسكن محتار، وخفي والع، وظهر مختار، آمين.

[مطلب في بيان الرموز الشريفة المطوية في الاسم الشريف (محمد) ﷺ]

وهنا نفحة تنجلي: في بيان الرموز الشريفة المطوية في اسمه الشريف ﷺ (**محمد**).

الميم الشريف الأول: هو مادة الأمر، ومَدة الرحمة، ومدار الأصل، وقد جمع الله تعالى أشائر هذه الرموز بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٧]، فكأن عقدة هذا الميم المبارك:

ميزاب الرحمة الإلهية، المفاضلة على العوالم الكونية.

ومحراب الالتجاء لكل ذرة خلقية.

ومرجع المناجاة لكل طريقة طلبية.

ومذهب كل سالك إلى الساحة القدوسية.

ومآل كل غاية ابتدائية، ومنتهى كل بداية غائية.

وماهية الهياكل المنوعة، ومظهرية بواطن الأشكال المجتمعة.

ومصدر الفيض من منبعه السبوحي، ومورد الفضل من شريعة هيكلها الروحي.

وميزان القسط المقدّس بجلال التنزيه، وميدان الأمن المُريّض بنفحات التعليم عن لتمثيل والتشبيه.

ومِنّة الكريم على كل فقير، تركَّبت مادة قالبه بالوجود والعدم.

ومدة اليد القادرة المعينة لكل ضعيف، صِيغَت مدينة ذاته برشحة جمع بين طور حدوث وسر قدم.

ومُصَلَى جمعة الحضور في حضرة الشهود الخالي جامع تجليه عن مشاهد الأغيار.

ومنارة آذان الفردانية الخالص صوت تجرده من علائق وهم وجود الكبار والصغار.

ولهذا الميم الشريف مواد قائمة به، ومواد منه متعلقة بالحاء، ومواد منه أيضًا متعلقة ببقية الاسم؛ فالمواد القائمة بنفسه، ثلاث يظهرن برسمه، على هذه الصورة (ميم):

فكسرة الميم الأول تشير إلى ميدان معراجيته الأولى حالة الوصل، بشكل الفصل، وهي سر «قبضت قبضة»[1]، إلى آخر الحديث القدسي[2]، وفي ذلك مواد ثلاثة:

الأولى: أن الحقيقة الشريفة قبضة نورانية إلهية، هيكلها إنساني، ولوحها نوراني.

الثانية: أنها ثبتت قِدمًا في مركز العروج الأخص، وهبطت بتصريف التقريب المخصص، على نوع ملخص.

الثالثة: أنها رجعت إلى مقرها الأول بعروجها الثاني بحبال الوحدة والوصلة الفارقة القبضائية، حتى انتهت إلى الحضيرة الضنضنية.

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٩٦)، والحاكم (٢/ ٤١١، رقم ٣٤٣٤).

(٢) صلى عليه ﷺ ابن مشيش بقوله: «ولمعة القبضة الرحمانية». قال بعضهم: واعلم أن الرحمة رحمتان: رحمة خاصة وهي التي تدارك الله بها عباده في أوقات مخصوصة، ورحمة عامة وهي حقيقة محمد ﷺ وبها رحم الله حقائق الأشياء كلها، فظهر كل شيء في مرتبته في الوجود، فلذلك أول ما خلق الله روح محمد ﷺ فرحم الله به الموجودات الكونية، ثم قال السيد العيدروس ﷺ: وبالجملة فنعمتان ما خلا موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما: نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد -كما في «الحكم العطائية»، وهو ﷺ الواسطة فيهما؛ إذ لولا سبقية وجوده ما وجد موجود، ولولا وجود نوره في ضمائر الكون إلى أن برز لتهدمت دعائم الوجود، فهو الذي وُجد أولاً وله تبع الوجود وصار مرتبطًا به لا استغناء له عنه. وكذلك قوله: «صاحب القبضة الأصلية»: إشارة إلى المقام المحمدي الخاص به ﷺ وهو المسمى بمقام (أو أدنى) وهو ولايته الخاصة ﷺ، والمقام المحمدي الثاني يسمى بمقام (قاب قوسين) وهو ولايته العامة، فلولايته العامة ﷺ الفيض بواسطته على النبيين والمرسلين والملائكة والأولياء عمومًا وخصوصًا بحسب مرتبة كل واحد منهم وقابليته، وأما ولايته الخاصة به التي لا يشاركه فيها أحد وجوبًا ولا بالاستخلاف أيضًا هي (أو أدنى) ولا يتصف بها غيره.

والياء الوسط بين العقدتين الميميتين يشير إلى يافوخية كل فرق، ويعسوبية جمع كل حق.

وله مادتان:

المادة الأولى: صعوده في حضرة وجوده إلى مقره الطبيعي؛ فبَعَده ذروة كل عال، ودونه نهضة رقي كل متعال.

والثانية: هدايته لأصحاب شطحات البروز بنفحة المادة الغامضة؛ فكل على طريق الأدب فارش خد الطلب، وقد رفعت أعلام كل رفع نيابة والنائب تابع، وقد أشار لهذا النكتة ﷺ في الحديث الشريف فقال: «**لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[1].

---

(١) رواه أحمد (٣١/ ٤٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٢٢٨)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ١٩٩).
قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ في «فتوحاته المكية» في الباب العاشر: اعلم أيدك الله أنه ورد في الخبر أن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»، وفي رواية: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»، فثبتت له السيادة والشرف على أبناء جنسه من البشر، وقال ﷺ: «**كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد**»، يريد: على علم بذلك، فأخبره الله تعالى بمرتبته وهو روح قبل إيجاد الأجسام الإنسانية، كما أخذ الميثاق على بني آدم قبل إيجاده أجسامهم، وألحقنا الله تعالى بأنبيائه بأن جعلنا شهداء على أممهم معهم حين يبعث من كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم وهم الرسل، فكانت الأنبياء في العالم نوابه ﷺ من آدم إلى آخر الرسل -عليهم السلام- وقد أبان ﷺ عن هذا المقام بأمور منها قوله ﷺ: «**والله لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني**»، وقوله في نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان: «**أنه يومئذ منا**»، أي يحكم فينا بسنة نبينا ﷺ ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ولو كان محمد ﷺ موجودًا بجسمه من لدن آدم إلى زمن وجوده لكان جميع بني آدم تحت حكم شريعته إلى يوم القيامة حسًا ومعنى، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «**آدم ومن دونه تحت لوائي**»، ولهذا لم يبعث عامةً إلا هو خاصة؛ فهو الملك والسيد، وكل رسول سواه بُعث إلى قوم مخصوصين، ولم تعم رسالة أحد من الرسل سوى رسالته ﷺ، فمن زمان آدم إلى زمان بعث محمد ﷺ إلى يوم القيامة مُلكُه، وتقدمه على جميع الرسل وسيادته في الآخرة منصوص عليهما في الصحيح عنه، فروحانيته ﷺ وروحانية كل نبي ورسول موجودة، فكان الإمداد يأتي إليهم من تلك الروح الطاهرة بما يظهرون به من الشرائع والعلوم في زمان وجودهم رسلاً وتشريعهم الشرائع كعلي ومعاذ وغيرهما في زمان وجودهم ووجوده ﷺ،

وعقدة الميم الثاني من الميم الأول: تشير إلى مناهي كل البدايات ببابه، وموارد كل أصحاب الهدايات إلى بطاح رحابه.

=

وكإلياس والخضر -عليهما السلام- وعيسى ﷺ حين ينزل في آخر الزمان حاكمًا بشرع محمد ﷺ في أمته المقرر في الظاهر، لكن لما لم يتقدم في عالم الحس وجود عينه ﷺ أولاً نسب كل شرع إلى من بعث به، وهو في الحقيقة شرع محمد ﷺ وإن كان مفقود العين من حيث لا يعلم ذلك كما هو مفقود العين الآن وفي زمان نزول عيسى ﷺ والحكم بشرعه، وأما نسخ الله بشرعه جميع الشرائع فلا يخرجها هذا النسخ عن أن تكون من شرعه؛ فإن الله تعالى قد أشهدنا في شرعه الظاهر في القرآن والسنة النسخ مع إجماعنا واتفاقنا على أن ذلك المنسوخ شرعه الذي بعث به إلينا فنسخ بالمتأخر المتقدم فكان تنبيهًا لنا هذا النسخ الموجود في القرآن والسنة على أن نسخة لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعًا له، وكان نزول عيسى ﷺ في آخر الزمان حاكمًا بغير شرعه أو بعضه الذي كان عليه في زمان رسالته وحكمه بالشرع المحمدي المقرر اليوم دليلاً على أنه لا حكم لأحد اليوم من الأنبياء -عليهم السلام- مع وجود ما قرره ﷺ في شرعه، فخرج من هذا المجموع كله أنه ملك وسيد على جميع بني آدم، وأن جميع من تقدمه كان ملكًا له وتبعًا. والحاكمون فيه نواب عنه ﷺ، فإن قيل: قد ورد قوله ﷺ: «لا تفضلوني على الأنبياء»، فالجواب: نحن ما فضّلناه بل الله فضّله؛ فإن ذلك ليس لنا، وإن كان قد ورد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام:٩٠] لما ذكر الأنبياء -عليهم السلام- فهو صحيح. فإنه قال: «فبهداهم» وهُداهم من الله، وهو شرعه ﷺ. أي الزم شرعك الذي به ظهر نُوّابك من إقامة الدين وعدم التفرقة فيه، ولم يقل فبهم اقتده، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١٣] دليل على أحدية الشرائع. وقال: ﴿ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [النحل:١٢٣] وهو الدين، فهو مأمور باتباع الدين، فإن الدين إنما هو من الله لا من غيره، وانظروا في قوله ﷺ: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني» فأضاف الاتباع إليه، وأَمْرُه ﷺ باتباع الدين والاقتداء بهدي الأنبياء لا بهم؛ فإن الإمام الأعظم إذا حضر لا يبقى لنائب من نوابه حكم إلا له، فإن غاب حَكَم النوابُ بمراسيمه، فهو الحاكم غيبًا وشهادة. وما أوردنا هذه الأخبار والتنبيهات إلا تأنيسًا لمن لا يعرف هذه المرتبة من كشفه ولا أطلعه الله عليها من نفسه، وأما أهل الله فهم فيها على ما نحن فيه قد قامت لهم شواهد التحقيق على ذلك من عند ربهم في نفوسهم، ثم جُعلوا له نواب حين تأخرت نشأة جسده، فأول نائب كان له خليفةً آدم ﷺ، وعيّن في كل زمان خلفاء إلى أن وصل زمان نشأة الجسم الطاهر المحمدي ﷺ فظهر مثل الشمس الباهرة فاندرج كل نور في نوره الساطع وغاب كل حكم في حكمه وانقادت جميع الشرائع إليه وظهرت سيادته التي كانت باطنة، انتهى مختصرًا.

والمواد المتعلقة من الميم الأول بالحاء أربعة:

الأول المادة المحمدية: ومنها تفرع أسرار العوالم الكلية الملكية.

الثانية المادة المحمودية: ومنها انفلاق أسرار جميع العوالم الملكوتية.

الثالثة المادة المحبوبية: ومنها انبلاج صبح عالم الغيوب.

الرابعة المادة المحفوظية: ومنها بروز دقائق العلوم المحفوظة عند أرباب الألباب والقلوب.

والمواد المتعلقة من الميم الأول ببقية الاسم الشريف خمس:

الأولى: مادة محدودية الاتباع التي أشار إليها سرُّ قوله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

الثانية: مادة محرابية الأرواح التي أشار إليها سر قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

الثالثة: مادة محاسبة الأكوان التي أشار إليها سر قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

الرابعة: مادة الرحمة السارية في الذرات العالمية كلها، التي أشار إليها سر قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٧].

الخامسة: مادة الرحمة البارزة منه، المفاضة إلى الأمة المحمدية التي أشار إليها سر قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

[من معاني الحرف الشريف الثاني (الحاء) من الاسم الشريف (محمد)].

والحاء الذي هو الحرف الثاني من الاسم الشريف هو:

حضرة الحضور، وحضيرة القرب، وحلقة خلوة الوحدة.

وحقيقة الحقائق، وحال الأحوال، وحجة العوالم.

وحصن الرقائق، وحرم الأمان.

وحوزة الحمد، وحالة التجلي، وحيرة التجلي، وحيرة الكل.

وحيطة الفرق، وحطة الجمع، وحد التدلي، وحبل التدني.

وحملة الأسرار، وحلة عقد الأكوان.

وحجاب المظاهر العروجية، وحافظ الرموز الغيبية، وحارس الحضائر القدوسية.

وحامل لواء عز الفردانية، وحوض ارتواء وارد أرباب الهمم العلية.

وكان هذا الحاء الشريف المذكور:

حاصل حوصلة أرواح المعارف، ومحراب حضيرة أسرار اللطائف، وحد اللطائف.

وحد نهاية كل نهاية، وحفيظة بداية كل بداية.

وحيدر بطحاء كل حملة مهيمنية.

وحرز دولة كل مملكة قدوسية.

وله من دولة رسمه هذا (حَاء) ثلاثة أسرار غامضة:

فمن (فتحة) أوله: سر الحاميمية الخالصة، وسر الحاميمية الممتزجة.

ومن (الألف): سر آلة العرفان، وآية الكبراء.

ومن (الهمزة) اليابسة: سر إبراز خفايا الحقائق الرحمانية، وإظهار الدقائق الرحيمية.

[من معاني الحرف الشريف الثالث (الميم)
من الاسم الشريف (محمد ﷺ)]

والميم الذي هو الحرف الثالث من الاسم الشريف هو:

مظهر الجلال، **ومعراج** الجمال.

ومفتاح الوصال، **ومعنى** الاتصال، **ومقام** الوصلة.

ومدد الفتوح، **ومشرب** القبول، **ومصباح** الأُنس.

ومعدن الفيوضات، **ومقدامية** الكليات، **ومقدمة** البدايات.

ومرقى حكم الوحدة، **ومخبأ** نظم الأحدة.

ومنوال سر الأحدية والواحدية.

ومناخ الحضور الأقرب، **ومكانة** الحزب الأشهب، **ومكان** السر الأعجب.

وميزان الأوسطية.

وكأن عقد هذا الميم المبارك:

مجرى قطرات العنايات والنفحات، **ومنبع** رشحات الرقايات والإعانات.

ومعقل المرادات بطريقها الأعظم، **ومخزن** الإشارات بهيكلها المطلسم.

ومنهاج مذاهب السالكين وإن اختلفت المسالك، **ومظهرية** ملك المالكين، وإن تباعدت المهالك.

وله من دولة رسمه بهذه الصورة (ميم) أسرار ثلاثة:

الأول: مغناطيسيته الجذابة القادرة.

والثاني: مفتاحيته الموصلة لكشف الدقائق الباهرة.

والثالث: مدد تصرفه في مواد الدنيا والآخرة.

[من معاني الحرف الشريف الرابع (الدال) من الاسم الشريف (محمد ﷺ)].

والدال الذي هو الحرف الرابع من الاسم الشريف، والمغلاق الأعظم، الخاتم لكنزه المحمدي المطلسم، هو:

مضمار **دلالة** الخلق إلى الحق، ودليل الكل إلى الحق الأحق.

ودولة القدس العظمى، **ودندنة** رفوف الشرف الأسمى.

ودلعة لسان صبح الأسباب.

وديوان حضور حضرة الوحدة والاقتراب.

ودُرَّة خزانة الغيب في رقيق صدف المعمى الإلهي.

ودُرَّة فلك السر في استخراج أحكام الأوامر والنواهي.

ودنوّ تدلي قاب قوسين أو أدنى، **ودائرة** خلوة مقام الانفراد الأسنى.

وكأن هذا الدال الشريف المذكور:

دلو كل فيض صمداني، **ودعمة** كل مذهب ربَّاني.

ودمدمة خفي كل أمر مكتوم، **ودهشة** جلي كل مظهر معلوم.

ودهمة المعمى الخافية عن مدارك الأبصار الحاذقة، **ودعوة** القبول النافذة في كل باب ولكل حجاب سماوي وأرضي خارقة.

وله من دولة رسمه بهذه الصورة (دال) أسرار ثلاثة:

الأول: دعوته من الحق إلى الحق.

والثاني: دعوته من حضرة الحق بطريق الإبراز إلى محضر الخلق.

والثالث: دعوته الخلق بالحق إلى الحق.

فهو أيضًا كرسمه حكمًا (دَالٌّ) بالله على الله بإذن الله، ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه أجمعين:

هُو العَبْدُ عَبْد الله بَرْزَخُ دَوْلَةِ الجَـ ـلالةِ بَيْنَ الرَّبِ ـ للفرقِ ـ وَالعَبْدِ
نَعَم وَهُو بَابُ الله لِلخَلْـقِ كُلِّهـم وَمِيْزَابُ فَيْضِ الله مِن مَنْبَـعِ المَـدِّ
أَيَادِيه لَا تُحْـصَى وَسُـلْطَانُ قَـدْرِه وَدَوْلَتُه العُظْمَـى تُنَـزَّه عَـن حَـدِّ

[من دقائق الاسم الشريف (محمد) ﷺ]

ولاسمه الشريف ﷺ دقائق:

فإن قيل: (محمد) أشار ودلَّ على محمدته ونشر مدحته في الملك والملكوت.

وإن حذفت الميم دلَّ على أنه (حَمْدُ) الله الساري في قلوب العارفين بأسرار اللاهوت.

وإن حذفت الحاء دل على أنه (مَدُّ) الله لكل ذرة مكونة خلقية.

وإن حذفت الميم الثاني دل على أنه (دالٌّ) لكل عصابة إلهية وعصبة إيمانية، بكل طريقة ظاهرة وجلية، وباطنة وخفية.

[جملة من الكمالات المحمدية التي دل عليها الاسم الشريف (محمد ﷺ)].

اسم محمد ﷺ دائرة روح الحياة الجامعة، ولوح حركة دقائق الذرات، وعيلم معاني الكليات والجزئيات.

رفعة ميمه الأول الأعظم: تشير إلى رفعة منبر قدره ومقامه.

وفتحة حائه الثاني المكرّم: تشير إلى فتح كل باب إلهي بواسطة جنابه.

وشدة ميمه الثالث المحتشم: تشير إلى شدَّة رحال كافة العوالم إلى بابه.

وسكون داله الرابع المحترم: يشير إلى مد ذراع طلب العالم الأعلى بسكينة الأدب إلى هاطل إحسانه.

حيث إن ميمه الأولى: ميم المراد، وحاءه: حاء الحياة، وميمه الثاني: ميم المدد، وداله: دال الدلالة.

[الإشارة إلى طلاقة الاسم الشريف (محمد ﷺ) وعجز العوالم عن الإحاطة بأسراره ومعانيه]

وهذا الاسم الشريف الكنز المغلق، والرصد المطلق، والفيض الممدود، والحيطة العظمى، والجوهر الأغلى، والسر الأعلى، والمعنى المطلسم، والهزة المتصلة، والموجة الكبرى، والزبدة العليا، والقبضة الأولى، والحياة الخالصة.

اسم (محمد) ﷺ نفحة إلهية، ولقمة عطرة، عذوبة قدوسية، تحلو بفم من وفقه الله السداد، وأتحفه بالإرشاد، هو الدليل، هو الباب، هو الواسطة، هو الوسيلة، هو السر الأوفى، هو الحظ الأعظم، هو المدد الأقرب، هو الحضرة الوسيعة، هو المنزلة الرفيعة.

بعقدة ميمه: عقود الحِكَم.

وبِلية حائه: طيات الأسرار.

وبدائرة ميمه: دوائر الأكوان.

وبذيل داله: أكف الكبار والصغار.

لا قدرة لعارف على تعريف قدر حقيقته، وبيان طلاسم أنواع رقيقته.

كيف لا؟! وقد قال العزيز الجبار: «وعزتي وجلالي من كان اسمه محمدًا لا أعذبه في

النار»[١]، آهٍ آهٍ تحيّر درك العقلاء، وفهم البلغاء، في حل رمز حقيقته المعظمة، وفك رصد جلاله، صلى الله عليه وعلى آله.

هُو الاسْمُ وَالرُّوْحُ الّتِي بَرَقَ نُوْرُهَا ... تَلَجْلَجَ فِي غَيْبِ الحَيَاْةِ بِهِ الجِسْمُ

مَعَانِيه جَلَّتْ عَنِ إِشَارَاْتِ عَارِفٍ ... فَفِي اسْمِه جِسْمٌ وَفِي جِسْمِه اسْمُ

حَقِيْقَةُ أَسْرَاْرٍ بِمَكْنُوْنِه انْطَوتْ ... عَن الطّرْفِ قَدْ غَابَتْ وَحَاْرَ بِهَا الفَهْمُ

وَآثَارُهَا جَهْرًا عَلَى هَاْمَةِ العُلا ... تَجلَّتْ بِلا غَيْمٍ وَضَيَّعَهَا الوَهْمُ

هَي الطورُ وَالبُرْهَاْنُ وَالسِّرُّ وَالخَفَا ... وَرَوْحُ المَعْنَى وَالبِدَاْيَةُ وَالخَتْمُ

اسم سيدنا محمد ﷺ اسم عظيم:

عقدة ميمه: تشير لدولة الملك.

وطية حائه: لحضرة الحضرات.

وعقدة ميمه: للعلو بميدان دولة الملكوت.

وداله: لديمومته برهان شأنه[٢].

---

(١) لم أقف على من خرَّجه، وقد ورد في الكتب الصوفية لدى السادة.

(٢) تتمة مباركة: **فأقول**: حروف هذا الاسم وهو (محمد) خمسةٌ باعتبار اللفظ، فيؤخذ منه:

١-أركان الإسلام الخمس، «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ البيت لمن استطاع إليه سبيلا».

٢- والصلوات الخمس.

٣-وعدد أولي العزم الخمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى بن عمران، وعيسى ابن مريم، عليهم السلام أجمعين، ومحمد ﷺ.

٤-والحواس الخمس الظاهرة والباطنة بناءً على ثبوتها.

٥- وكذلك الأسماء الخمسة التي تقدَّمت في الرواية.

=

٦-وكل يدٍ فيها خمس أصابع، وكل رجلٍ كذلك.

٧-وأوَّل نصاب الإبل.

وأما حروفه الرسمية فهي أربعةٌ: فيؤخذ منها عدد:

١-الخلفاء الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم أجمعين.

٢-ويؤخذ منها أيضًا عدد الأئمة الأربعة المجتهدين: الإمام الشافعي، والإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام أحمد، رضي الله عنهم أجمعين.

ويؤخذ أيضًا عددهم من الدال؛ فهي بأربعةٍ، وهم أربعةٌ، وفيه إشارةٌ لطيفةٌ، ومنقبةٌ شريفةٌ، وهي أن ختام هذا الاسم العظيم الدال، وهي بأربعةٍ، كذلك ختم أمر هذه الأمة بأربعة أئمةٍ أعلام، جعل الله عليهم مدار الإسلام، وعليهم الناس تعول في الأحكام، ولم يأتِ إمامٌ زائدٌ عليهم بحيث يصير له كما صار لها وللأئمة، لعله للإشارة إلى ذلك، كما أن الدال مدار الاسم وعليه حلُّها؛ إذ عليها يقف القارئ، كذلك هؤلاء الأئمة عليهم مدار الأمة، وعليهم يقفون بحيث لا ترى واحدًا من الأمة يتجاوزهم إلى غيرهم.

وأيضًا على الأول يؤخذ فائدتان جليلتان:

الأولى: أن كلَّ إمامٍ لم يخلُ اسمه من حرفٍ من هذه الكلمة؛ فالإمام الشافعي حوى جميع الحروف، والإمام أبو حنيفة أخذ الحاء في الكنية والميم الأولى في الاسم، والإمام مالك أخذ الميم الثانية، والإمام أحمد أخذ الدال، وهو ختام الاسم كما أنه ختام الأئمة، ولعل الله جعل في ذلك إشارةً إلى تمام الأئمة، وأنه لا يزاد عليهم، فقسِّمت هذه الكلمة عليهم قسمةً عادلةً، ولا يضرُّ في وجه المناسبة أن بعضهم زاد على بعضٍ في الحروف، فكما فازوا بالقيام بشريعته ودوَّنوها وقرَّروها ونقلوها إلى الناس فجزاهم الله خيرًا على فعلهم، جعل الله لهم زيادة خيرٍ. فكان عنوانًا لما ظهر لنا من السرِّ من حروف هذه الكلمة العظيمة التي لا توجد لأحدٍ قبله ﷺ، وتَمَّ له هذا الأمر على هذا الوجه، فكمَّل الله لهم الشرف والرفعة في جميع الوجود، فلله الحمد والمنَّة؛ حيث أنعم عليهم بأتمِّ النعمة، ونسأل الله أن يديمنا على اتِّباعهم ومحبَّتهم إلى يوم القيامة إدامة لزوم الدال إلى هذه الكلمة.

الثانية: هي أن أبا حنيفة خُصَّ من هذا الاسم بالحاء والميم، فالميم في الاسم، والحاء في الكنية، ومالكًا بالميم الأولى من الميمين المشدَّدتين، والشافعي بالميم الثانية منهما، وفيهما مناسبةٌ أخرى يدركها ذو البصيرة.

وأحمد بالدال، وقد وجدوا في الدنيا على هذا الترتيب، فأبو حنيفة أوَّل الأئمة وجود أوله الحرفان الأوَّلان منها، ومالك بعده وله الحرف الثالث منها، والشافعي بعده وله الميم الرابعة من الأحرف، وأحمد بعده وله الدال، وختم به اسمه إشارةً إلى أنه خاتم الأئمة.

=

ويؤخذ من ذلك عدد الجهات الأربع.

ويؤخذ منه عدد أئمة الطريق المعوَّل عليهم بميلهم في التحقيق وهم:

سيدي عبد القادر الجيليُّ، وسيدي أحمد البدويُّ، وسيدي إبراهيم الدسوقيُّ، وسيدي أحمد الرفاعيُّ، وأيضًا هم لم يخلوا من بركة الاسم بما وجد في أسمائهم منه.

ويؤخذ من ذلك عدد الأقطاب الذين يدور عليهم العالم؛ فإنهم أربعة: فهو ﷺ قطب الأقطاب وغوث الأنجاب، وعليه مدار العوالم والأسرار، ومنه أيضًا أضاءت إلى الخلق الأنوار، وهذه التي هو أصلٌ لها عليها مدار الليل والنهار، فانظر إن كنت ذا بصيرةٍ الفرق بين المدارين؟.

[في حاصل حروف محمد ﷺ الرسميَّة واللفظيَّة]: إذا ضممت حروفه الرسميَّة إلى اللفظيَّة كان الحاصل تسعةً، فيؤخذ منه عدد:

١-السماوات السبع والعرش والكرسي؛ فهي تسعةٌ.

٢-وعدد الأرضين السبعة والماء والظلمة؛ فهي تسعةٌ.

٣-وعدد أصول المسائل في الفرائض على ما هو المشهور.

٤-وعدد أصول الأعداد والآحاد والعشرات والمئات.

٥-وكذلك الأعداد الفرعيَّة التي هي الألوف وعشراتها ومئاتها؛ ففي كلٍّ منها تسعة أعدادٍ.

٦-وعدد الأعراض التسعة، وهي: الكم، والكيف، والفعل، والانفعال، والإضافة، والملك، والأين، والمتى، والوصف.

٧- ويؤخذ منه مقدار مدة مكث المولود في بطن أمه بناءً على الغالب.

وإذا أزدت على ذلك التنوين اللاحق للكلمة عند الإعراب كان ذلك عشرةً، وهي المقولات العشرة، وهي التسعة المتقدِّمة والجسم، وهي لا يخرج عنها، فهو ﷺ أهل الموجودات، وسيِّد الكائنات، وخلاصة أهل الأرض والسماوات، ويُؤخذ منه عدد أصحابه العشرة، والعشر ليال، التي أَتَمَّ الله بها ميقات موسى عليه السلام، وبزيادة هذا الواحد تنقل الأعداد إلى مرتبةٍ أخرى، وفي مرتبة عشرات على قدر هذه العدة، وإذا أخذت الحروف اللفظيَّة مع التنوين فهي ستَّةٌ، فيؤخذ من ذلك:

١-الجهات الستة.

٢-وعدد الأيام التي خُلقت فيها السماوات والأرض.

٣-وعدد مدة مكث المولود في بطن أمه بناءً على غير الغالب.

٤-وعدد أركان الوضوء.

٥-وعدد أركان الحجِّ عند الشافعي.

[في حساب حرف الميم]: إذا أخذت الميم فهي بأربعين، فيؤخذ منها:

=

١-مقدار مدة النبوة.

٢-وميقات موسى عليه السلام.

٣-وعدد الجمعة عند الإمام الشافعي.

٤-وعدد ما قيل أن في كلِّ أربعين رجلاً رجلٌ يكون وليًا لله تعالى.

٥-وعدد النجباء، وهم أربعون.

٦-وعدد مدَّة تقدُّم البيت الحرام على بيت المقدس؛ فإنه تقدَّم عليه بأربعين سنةً.

٧-وعدد أول نصاب الغنم في الزكاة.

٨-وعدد نصاب البقرة الثاني.

[في حساب الكلمة اللفظيَّة والرسميَّة]: في الكلمة اللفظية والرسمية إذا ضربت الحروف الرسميَّة وهي أربعةٌ في الستة اللفظيَّة السابقة كان ذلك أربعةً وعشرين، وهي عدد ساعات اليوم والليلة، وإذا اعتبرت السماوات السبع والعرش والكرسي والأرضين السبع والماء والظلمة والإنس والجن والملائكة والهوام والحيوانات والنبات فهي أربعةٌ وعشرون. وهي أجلُّ المخلوقات، فهو ﷺ أصلٌ لها، ففيه إشارةٌ إلى ذلك.

وهنا فائدة أولى: في هذا الاسم الشريف، وهي أنه لا إعجام في حرفٍ من حروفه، كما في لفظ الجلالة، إشارةً إلى خلوصه ﷺ، وإلى أن كلَّ من تبعه لا بدَّ أن يكون خالصًا، ففيه إشارةٌ لذوي الأبصار من أوَّل اعتبارٍ.

وثانية: وهي أنه قد اجتمع في اسمه الشريف الميم الشفويَّة والدال اللِّسانيَّة والحاء الحلقيَّة، فهي نعمة سنيَّةٌ، هي ألا يخلو مخرجٌ من المخارج بالكليَّة من ذكر خير البريَّة، وما أحسن هذه الحروف صورةً ونطقًا؛ إذ هي حروف المحبوب لكلِّ أحدٍ، الذي هو الثناء بالجميع، فسبحان الواضع لهذا الاسم الشريف، كيف ركَّب حروفه من حروف الحمد المحبوب لكلِّ أحدٍ، وحجب أن يسمَّى به أحدٌ، ويظهر له ما ظهر له ﷺ! فحقيقٌ على كلِّ أحدٍ أن يحبَّه، فمن شكَّ أو عاند أو خالف فذلك لسوء المزاج، وقبح الطبع؛ لعدم قبول طبعه للحمد أو للحسد، فإن ذلك في الكتاب مسطورًا.

[في حساب بعض العلماء للاسم]: فيما وجدته منقولاً عن بعض العلماء وهو اعتمادنا ودليلنا مع الرواية السابقة، فيما قلنا مع زيادةٍ نثني عليه، فإذا أخذت حروف الكلمة ونطقت بها كل واحدٍ على حدته ففي كل ميمٍ ميمان وياءٌ، وذلك تسعون، وفيه ثلاث ميماتٍ؛ لأن الحرف المشدَّد بحرفين، فجملتها مائتان وسبعون، والدال بخمسةٍ وثلاثين، ولفظ حاء بتسعةٍ، فذلك ثلاثمائةٌ وأربعة عشر، وهي عدد الرسل على قولٍ، فإن اعتبرت الحاء مجردةً سقطت الألف، وذلك عددهم على قول أنهم ثلاثمائة وخمسة عشر، فبيانه أن تمدَّ الحاء في النطق يتولد ألفٌ، وأما عدد الأنبياء مطلقًا فهم مائة

=

ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا، على ما ذكره ابن حبَّان، وعدد أصحابه وهم كذلك على ما ذكره الغزالي، فبيانه أن الاسم المذكور مشتملٌ على ميمين من غير اعتبار تضعيفٍ وحاءٍ ودالٍ، فتحسب ذلك بالجمل الصغير من غير بسطٍ، فالميم الأولى بأربعةٍ، والثانية بأربعةٍ، والحاء بثمانيةٍ، والدال بأربعةٍ، وذلك عشرون، فاضربها في مثل ما يحصل أربعمائة، وقد حصل من استخراج الأول عدد الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر على الاستخراج الأخير رد الجميع إلى عدَّة عقوده؛ فالأربعمائة عقودها أربعةٌ، فالثلاثمائة ثلاثةٌ، وعقد العشرة واحدٌ، فتضرب العقود الأربعة في العقود الثلاثة فالخارج اثني عشر، وهي من ضرب المائة في مثلها، فالخارج عشرات الألوف، يحصل مائة ألفٍ وعشرون ألفًا، واضرب واحدًا عقد العشر في عقود الأربعمائة يحصل أربعةٌ، وهي من ضرب العشرات في المائة، فالخارج آحاد ألوفٍ، وذلك أربعة آلافٍ، ضمها إلى المائة والعشرين يحصل مائة ألفٍ وأربعةٌ وعشرون، والخمسة الباقية يجعلها لشيءٍ ما تقدَّم في الخمسات، أو تجعل أربعةً للخلفاء الراشدين وواحدًا للقطب.

[في حساب الاسم على حساب الجُمَّل الصغير]: إذا اعتبرت حروف الاسم بالجمل الصغير كانت الميم الأولى بأربعةٍ والثانية بأربعةٍ، فذلك ثمانيةٌ، والحاء بثمانيةٍ، فإذا ضربت ثمانية الميمين في ثمانية الحاء كان الحاصل أربعةٌ وستين، وهي مدة حياة النبي ﷺ؛ فإنه مات في السنة الرابعة والستين، ويُؤخذ منه عدد سور القرآن؛ وذلك أنك إذا ضممت إلى الأربعة والستين السابقة عدد النون التي هي التنوين اللاحق له عند الإعراب ذلك مائةٌ وأربعة عشر، وهي عدد سور القرآن، وعدد الكتب المنـزَّلة من السماء؛ فإنه ورد في بعض الروايات أنها مائةٌ وأربعةٌ عشر، وأما على رواية أنها مائةٌ وأربعةٌ المشهورة فبيانه أنك إذا جمعت حروفه الرسميَّة وهي أربعةٌ إلى حروفه اللفظيَّة وهي ستةٌ باعتبار التنوين كان ذلك عشرةً، فإذا ضربتها في نفسها كان ذلك مائةٌ، زدْ عليها عدد الدال بأربعةٍ يحصل مائةٌ وأربعةٌ، وهي عدد الكتب المنـزَّلة، فصحف شيث خمسون على روايتها تُؤخذ من التنوين، وصحف إبراهيم عليه السلام ثلاثون تؤخذ من ضرب حروفه الخمسة من غير التنوين في الستة باعتبار التنوين يحصل ثلاثون، هذا على رواية أنه نـزل عليه ثلاثون صحيفةً، ويُؤخذ عدد أيام رمضان، وأما على رواية أنه نـزل عليه عشرون فيؤخذ من حروف الاسم بالجمل الصغير، وصحف موسى عليه السلام عشرةٌ غير التوراة، وصحف آدم عليه السلام على رواية أنها نـزلت عليه عشرةٌ، فتُؤخذ من الدال أو من الميم باعتبار الجمل الصغير، ويؤخذ منه أسماء الله الحسنى التسعة وتسعون، وذلك بأن تأخذ ميمًا واحدةً وتنطق بها تجد عدد حروفه الرسميَّة إلى عدد اللفظيَّة يحصل تسعةٌ، فضمَّها إلى التسعين يحصل ما ذكر: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنَّة»، وهي مشهورةٌ فلا نطيل بذكرها.

=

ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا، على ما ذكره ابن حبَّان، وعدد أصحابه وهم كذلك على ما ذكره الغزالي، فبيانه أن الاسم المذكور مشتملٌ على ميمين من غير اعتبار تضعيفٍ وحاءٍ ودالٍ، فتحسب ذلك بالجمل الصغير من غير بسطٍ، فالميم الأولى بأربعةٍ، والثانية بأربعةٍ، والحاء بثمانيةٍ، والدال بأربعةٍ، وذلك عشرون، فاضربها في مثل ما يحصل أربعمائة، وقد حصل من استخراج الأول عدد الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر على الاستخراج الأخير رد الجميع إلى عدَّة عقوده؛ فالأربعمائة عقودها أربعةٌ، فالثلاثمائة ثلاثةٌ، وعقد العشرة واحدٌ، فتضرب العقود الأربعة في العقود الثلاثة فالخارج اثني عشر، وهي من ضرب المائة في مثلها، فالخارج عشرات الألوف، يحصل مائة ألفٍ وعشرون ألفًا، واضرب واحدًا عقد العشر في عقود الأربعمائة يحصل أربعةٌ، وهي من ضرب العشرات في المائة، فالخارج آحاد ألوفٍ، وذلك أربعة آلافٍ، ضمها إلى المائة والعشرين يحصل مائة ألفٍ وأربعةٌ وعشرون، والخمسة الباقية يجعلها لشيءٍ ما تقدَّم في الخمسات، أو تجعل أربعةً للخلفاء الراشدين وواحدًا للقطب.

[في حساب الاسم على حساب الجُمَّل الصغير]: إذا اعتبرت حروف الاسم بالجمل الصغير كانت الميم الأولى بأربعةٍ والثانية بأربعةٍ، فذلك ثمانيةٌ، والحاء بثمانيةٍ، فإذا ضربت ثمانية الميمين في ثمانية الحاء كان الحاصل أربعةٌ وستين، وهي مدة حياة النبي ﷺ؛ فإنه مات في السنة الرابعة والستين، ويُؤخذ منه عدد سور القرآن؛ وذلك أنك إذا ضممت إلى الأربعة والستين السابقة عدد النون التي هي التنوين اللاحق له عند الإعراب ذلك مائةٌ وأربعة عشر، وهي عدد سور القرآن، وعدد الكتب المنـزَّلة من السماء؛ فإنه ورد في بعض الروايات أنها مائةٌ وأربعةٌ عشر، وأما على رواية أنها مائةٌ وأربعةٌ المشهورة فبيانه أنك إذا جمعت حروفه الرسميَّة وهي أربعةٌ إلى حروفه اللفظيَّة وهي ستةٌ باعتبار التنوين كان ذلك عشرةً، فإذا ضربتها في نفسها كان ذلك مائةٌ، زدْ عليها عدد الدال بأربعةٍ يحصل مائةٌ وأربعةٌ، وهي عدد الكتب المنـزَّلة، فصحف شيث خمسون على روايتها تُؤخذ من التنوين، وصحف إبراهيم عليه السلام ثلاثون تؤخذ من ضرب حروفه الخمسة من غير التنوين في الستة باعتبار التنوين يحصل ثلاثون، هذا على رواية أنه نـزل عليه ثلاثون صحيفةً، ويُؤخذ عدد أيام رمضان، وأما على رواية أنه نـزل عليه عشرون فيؤخذ من حروف الاسم بالجمل الصغير، وصحف موسى عليه السلام عشرةٌ غير التوراة، وصحف آدم عليه السلام على رواية أنها نـزلت عليه عشرةٌ، فتُؤخذ من الدال أو من الميم باعتبار الجمل الصغير، ويؤخذ منه أسماء الله الحسنى التسعة وتسعون، وذلك بأن تأخذ ميمًا واحدةً وتنطق بها تجد عدد حروفه الرسميَّة إلى عدد اللفظيَّة يحصل تسعةٌ، فضمَّها إلى التسعين يحصل ما ذكر: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنَّة»، وهي مشهورةٌ فلا نطيل بذكرها.

=

وأما أسماؤه تعالى على ما حكاه ابن العربي من أنها ألف اسمٍ فبيانه أنك تأخذ ميمًا فيها تسعون كما تقدَّم، والحاء فيها عشرةٌ، وذلك أنك إذا نطقت بها ومددت الحاء قلت: حـاء، فالحاء بثمانيةٍ، والألف الأولى بواحدٍ، والهمزة بواحدٍ، وذلك عشرةٌ، فإذا ضممتها إلى التسعين كان ذلك مائةٌ، فإذا ضربت فيها عدد حروفه الرسميَّة الأربعة مع حروفه النطقيَّة الستة باعتبار التنوين فهي عشرةٌ كان الحاصل ألفًا.

ومثل ذلك يأتي في أسمائه الشريفة ﷺ؛ فإنها ألفٌ، ويؤخذ من ذلك مقدار يوم القيامة: «إنَّ يوم القيامة عند ربِّك كألف سنةٍ مما تعدُّون».

ويُؤخذ من الاسم عدد أركان الصلاة عند الإمام الشافعيِّ، وذلك أن الحاء بثمانيةٍ، والحروف الرسمية أربعةٌ، والحروف النطقية ستَّةٌ، فذلك ثمانية عشر، وهي عدد أركانها في قولٍ لبعض أصحابه. وإذا نطقت بالحاء كانت بتسعةٍ، وإذا ضممت إليها الدال ذلك ثلاثة عشر، وهي عدد أركانها عند المحققين من أصحابه، وإذا مددت الحاء كانت بعشرةٍ كما تقدَّم، فإذا زدت عليها الدال كانت أربعة عشر، وهي عدَّتها على قولٍ لبعض أصحابه، وإذا اعتبرت الحروف بالجمل الصغير: فالميم الأولى بأربعةٍ، والحاء بثمانيةٍ، والميم الثانية بأربعةٍ، وذلك عشرون، وهي عدَّتها على قولٍ لبعض أصحابه.

ويُؤخذ من ذلك عدد الصفات الواجبة له تعالى؛ فهي عشرون صفةً، وهي: الوجود، والقِدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانيَّة، والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وكونه قادرًا، ومريدًا، وعالمًا، وسميعًا، وبصيرًا، ومتكلِّمًا، فالصفة الأولى من العشرين نفسيةٌ، والخمسة بعدها سلبيَّةٌ، والسبعة بعدها معاني، والسبعة الباقية معنويَّةٌ.

ويؤخذ منه أيضًا عدد المستحيلات العشرين، وهي: أضداد لتلك، وهي: العدم، والحدوث، وطروء العدم، والمماثلة للحوادث، وألا يكون قائمًا بنفسه، وألا يكون واحدًا، والعجز، وإيجاد شيءٍ من العالم مع كراهيته لوجوده: أي عدم إرادته له، والجهل، والموت، والصمم، والعمى، والبكم، وكونه عاجزًا. ويُؤخذ منه أيضًا عدد السنن التابعة للفرائض؛ فإنها عشرون، وعدد ركعات التراويح، وعدد صلاة الأوَّابين؛ فإن أقصاها عشرون، وإذا ضربت الحروف الرسميَّة في النطقيَّة باعتبار التنوين كان الحاصل ثلاثين، أسقط الثلاثة عشر السابقة يبقى سبعة عشر، وهي عددها على ما في الروضة، وإذا سقطت من الثلاثين التسعة السابقة بقي أحد وعشرون، وهي عدَّتها على قولٍ حكاه أصحابه.

فإن قلت: هل يمكن أخذ كلٍّ واحدٍ من الخمس وعدد الأركان جملةً؟

قلت: يمكن؛ وذلك أن الميم الأولى بأربعةٍ، وهي الظهر، وفيه مناسبةٌ أخرى، وهي أن الظهر أول صلاةٍ ظهرت، كما أن الميم أول حرفٍ عند النطق، والميم الثانية بأربعةٍ، وهي العصر، وفيه مناسبةٌ أخرى،

=

وهي أن العصر الصلاة الوسطى على الراجح، كذلك الميم وسط الحروف لا باعتبار التنوين، والدال بأربعةٍ، وهي العشاء، وفيه مناسبةٌ أخرى، وهي أن العشاء آخر الصلوات المفروضة في اليوم والليلة، كذلك الدال آخر حروف الكلمة، وبقي المغرب والصبح، فأما الصبح فتُؤخذ من قسمة الحاء بثمانيةٍ على الدال مثلاً يخرج اثنان، وهما عدد ركعتيها، وكذا كل صلاةٍ هي ركعتان من سائر السنن، وأما المغرب فبأن تأخذ من الاسم الحاء يبقى فيه ثلاثة أحرفٍ باعتبار الرسم، تنطق بالحاء يحصل تسعةٌ، اقسمها على ما بقي من حروف الاسم يخرج ثلاثةٌ، وهي عدد ركعات المغرب، وقد عُلم من ذلك عدد الركعات تفصيلاً.

فأما إجمالاً فهو على وزان ما تقدَّم في أركان الصلاة عند الشافعيِّ على قول أنها سبعة عشر.

وهاهنا فائدةٌ جليلةٌ، وهي أن حروف الاسم خمسةٌ، وهي عدد الصلوات الخمس، وغيرها كما مرَّ، وليس هذا هو المراد هنا، إنما المراد أن التنوين اللاحق لهذا الاسم بخمسين، وهي عدد أصل الصلوات؛ فإنها فُرضت خمسين، فكما أن التنوين غير لازمٍ لهذا الاسم كذلك الصلوات الخمسون لم تكن لازمةً لنا، وإنما اللازم لنا الخمس، كما أن حروف الاسم الخمسة لازمةٌ له. وأيضًا هنا فائدةٌ أخرى، وهي أن حروف الاسم إما خمسةٌ بلا تنوينٍ، أو ستَّةٌ به؛ ولهذا أجري خلافٌ في أن الأحكام التكليفيَّة هي خمسةٌ بإسقاط خلاف الأولى، أو ستَّةٌ به؛ فهي مأخوذةٌ من الاسم على الرائين، وهي: الواجب، والمندوب، والحرام، والمكروه، والمباح، أو يُزاد عليها خلاف الأولى.

ويُؤخذ منه أيضًا الأحكام الوضعيَّة، وهي: السبب، والشرط، والمانع، والصحة، والفساد، وإذا تتبعت غالب أبواب الفقه عندنا وجدت أركان الباب إما خمسةٌ أو ستةٌ أو أربعةٌ، والباب يدور على أركانه، وبالله التوفيق.

وإذا ضممت الحاء مع الدال كان الحاصل اثني عشر، وهي عدد شهور السنة وعدد ساعات اليوم أو الليلة غير مستويَّةٍ، وعدد بروج السماء؛ فإنها اثني عشر برجًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر:١٦]، والدال بأربعةٍ، وهي عدد الأشهر الحُرم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦]. وكذلك مدة مرضه ﷺ؛ فإنها كانت اثني عشر يومًا على قولٍ، وكذلك عدد ما مضى من الشهر الذي مات فيه؛ فإنه ﷺ مات في ربيع الأول لاثنتي عشر ليلةً خلت منه، وإذا أخذت الحاء وهي بثمانيةٍ وهي أعداد أبواب الجنَّة وعدد حملة العرش؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]. وعدد ما تجب فيه الزكاة من الأموال؛ فإنها ثمانيةٌ: الإبل، والبقر، والغنم، والذهب، والفضة، والزرع، والثمار وهي شيئان: التمر، والزبيب، وعدد أصناف المستحقين لها؛ فإنهم ثمانيةٌ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ

=

عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة:٦٠]. وعدد ركعات الضحى؛ فإنها ثمانيةٌ على ما هو الراجح عند الشافعيَّة، وأما الوتر يُتَّخذ منه بأن تأخذ الحاء بثمانيةٍ، يبقى معكَ في الكلمة ثلاثة أحرفٍ باعتبار الرسم، زدها عليها تحصل إحدى عشر، هي عدد ركعات الوتر.

[في حسابه باعتبار التركيب من الكلمات]: فيما يُؤخذ منه باعتبار التركيب من الكلمات المستجارات، وذلك إذا أخذت حروف (محمدٍ) وحللتها ونطقت بها هكذا: م ي م ح ا م ي م د ا ل ن و ن باعتبار التنوين، وركَّبت منها أسماءً وأفعالاً تجدها كلَّها دالةٌ على الشرف والحمد والرفعة والمجد، منها أحمد وحامد ومحمود.

وفيه بحثٌ، وهو أن محمدًا أبلغ من محمود كما لا يخفى، فهلا كان الأمر بالعكس؟!

الجواب عن ذلك أن المبالغة في أسمائه تعالى لا تقع مرادًا منها المعنى الأصليّ لها؛ لاستحالته؛ إذ هي إثبات زيادةٍ على ما يستحقُّه الموصوف، ولهذا إذا وقعت في أسمائه تعالى احتاج الأئمة في صرفها عن ظاهرها إلى الجواب.

فإن قلت: فما وجه المبالغة في محمدٍ؟ قلت: وجوهٌ:

منها: أنه تعالى أتى بهذا الاسم على صيغة المبالغة فيه؛ طلبًا منه تعالى لنا زيادة إذعانٍ ومحبَّةٍ له ﷺ؛ ففي الحديث: «لنْ يُؤمنَ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه ومالِه وولدِه والنَّاسِ أجمعين».

ومنها: أن المبالغة من الله تعالى في إكرامه ﷺ؛ ففيه إشارةٌ لطيفةٌ إلى أني بالغت في اسمه الدال عليه، كما أني بالغت في أوصافه الحميدة الفائقة.

ومنها: أن العرب للمبالغة عندهم وقعٌ عظيمٌ وماح: أي دين الشرك وعبادة الأصنام، وما كان عليه الجاهلية من الخيالات والأوهام، وحليم: أي بالمؤمنين، وحامي: أي دين الإسلام وأهله، من أن تلحق الإسلام شبهة معاندٍ أو مخالفٍ، أو يلحق أهله بلاءٌ أو خسفٌ أو محقٌ أو غير ذلك مما كان يصيب الأمم السابقة، وأُحيي: أي الأرض ومن عليها بالتوحيد، والعدل والماحي فيه ما تقدَّم، والمحيي: أي دين الإسلام وأهله، وداحي: أي الأرض منه دحيت؛ إذ هو أصلها، ودامي: أي أهل الشرك بسفك دمائهم، وحامل: أي لواء العزِّ والمجد والشرف والرفعة، وإمام: أي مقدَّمٌ على كلِّ مخلوقٍ؛ فهو أفضل الخلق حتى من الملائكة وذلك بإجماعٍ، ولا ننظر إلى ما ذكر الزمخشري من المقالة الشنيعة، بل قال بعضهم: إن ذلك جهلٌ منه بمذهبه؛ لأن رأي المعتزلة تفضيل الملائكة على الأنبياء: أي غير نبينا كما هو المنقول عنهم، ودالٍ: أي على كل خيرٍ، وبيده زمام كلِّ خيرٍ، فهو قطب العالم، وعليه مداره، وميمون ويمن ويمون إما من اليمن: أي البركة، أو من المؤنة: فعل الخير في ساحة جوده وطلعة سعوده، وممنون: أي ممنون به على الخلق، فهو المنَّة العظمى، وهذا مما يدل على شرفه

=

ﷺ. ويُؤخذ من ذلك أسماء الله تعالى: حيٌّ، ومحيي، ودائم، والدائم، والحيُّ، والمحيي، ويا دائم، ولو أمعنا النظر لأخذنا أكثر من ذلك، هذا بالنظر إلى تلك الحروف.

وأما حروف (محمد) فقط فهي أنك إذا أخذت الحاء مع الميم صار ذلك (حما)، وفيه ما تقدَّم، وإذا أخذت الميم الثانية مع الدال صار (مد) مع التضعيف، ومعناه مد دين الإسلام وأظهره، ومد كل خيرٍ، وإذا أخذت الحاء مع الدال صار ذلك (حد)، ومعناه حدَّ حدود الله تعالى وأظهرها، وإذا أخذت الحاء مع الميم والدال وركَّبت منها كلمةً كانت (حمد)، ويكون معناه حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وإذا أخذت الميم والدال والحاء وركَّبت كلمةً كانت (مدحًا)، وإذا أخذت الميم الوسطى مع الحاء والميم والدال وركَّبت منها كلمةً كانت (محمد): أي مكانًا للحمد، فأنعم بهذا الاسم ما أحسنه وألذَّه في قلوب عباده المؤمنين؛ فكلُّ ما تصرفت فيه لا تجده إلا دالا على الكمال.

إلهنا لك الحمد على ما أوليتنا وخصصتنا به من بين كريمٍ ونبيٍّ وسيِّدٍ عظيمٍ، كيف لا وهو خيارٌ من خيارٍ من خيارٍ. ويؤخذ منه أيضًا أسماء بعض الأنبياء، فمن ذلك آدم ﷺ.

فائدة: إذا قلت: آدم حمد محمدًا كان مقلوبه عين الأول، وهذا نوعٌ من الجناس المسمَّى عندهم بجناس العكس والقلب، نحو قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء:٣٣]، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر:٣]، فآدم يحمده، وهذا معنى قول بعض العارفين: أنا كنت مع آدمَ في كذا، أنا كنت مع نوحٍ في السفينة، أنا كنت مع إبراهيمَ، فحيث وقعت هذه العبارة للعارفين في كلامهم إنما هي حكاية عن لسانه ﷺ.

فائدة ثانية: اعلم أن محمدًا صالحٌ لأن يكون اسم مفعولٍ، أو اسم زمانٍ، أو اسم مكانٍ، أو مصدرًا ميميًّا، قبل جعله علمًا، وأما بعده فهو علمٌ على الذات الشريفة، أما كونه اسم مفعولٍ فهو باعتبار وقوع المحامد كلِّها عليه، وأما اسم الزمان فهو اسمٌ لزمان الحمد، وأما اسم المكان فهو اسمٌ لمكان الحمد، وأما كونه مصدرًا فيحتمل أن يكون علمًا على ماهية الحمد المطلقة، أو لملاحظة الوجود في الذهن، فيكون اسم جنسٍ أو علم جنسٍ، ويكون من المصادر التي جاءت أعلامًا، ويحتمل أن يكون باقيًا على معناه المصدريِّ، ففي ذلك إشارةٌ إلى أن كلَّ عبدٍ هو دالٌّ عليه.

[في أن أسماءه الشريفة مأخوذةٌ من هذا الاسم]: في أخذ أسمائه الشريفة من هذا الاسم ممكنٌ، لكن نقتصر على بعضها؛ لقياس عليه غيره، وإنما لم ننصّ على كلِّ واحدٍ بخصوصه خوفًا من التطويل، فإني لما شرعت في تأليفها اطَّلع عليها بعض الإخوان فطلب مني الاختصار ما أمكن، وإلا كان مرادي فيها التطويل. فمن ذلك (أحمد) هو بثلاثةٍ وخمسين، يُؤخذ منه باعتبار الحروف كما مرَّ وباعتبار الجمل، فيُؤخذ منه الميم والحاء والدال وذلك اثنان وخمسون، يبقى واحدٌ، وبقي معك ميمٌ، زدها باعتبار ذاتها يحصل ما ذكر.

و(آمين) يؤخذ منه باعتبار الحروف السابقة، وباعتبار الجمل هو مائةٌ وواحدٌ، يُؤخذ من ضرب الحاء عند

=

النطق بها وهي تسعةٌ في نفسها يحصل واحدٌ وثمانون، وحروف الاسم بالجمل الصغير عشرون، يحصل مائةٌ وواحدٌ وهي عدد آمين، و(هادي) بعشرين، هي عدد الحروف بالجمل الصغير، و(مهدي) سبعة وخمسين، يُؤخذ من التنوين، فهو بخمسين، والحاء بتسعةٍ إذا نطقت بها، فهذه تسعةٌ وخمسون، وحليم بثمانيةٍ وثمانين، فيُؤخذ من الميمين والحاء. وقسْ على ذلك ما كان من الأوصاف الحميدة مثل (حياء) بعشرين باعتبار الهمزة، يؤخذ من حروف الاسم بالجمل الصغير، و(عليم) بمائةٍ وأربعين، يُؤخذ منه ميمٌ بأربعين، يبقى معنا من الاسم ميمٌ ودالٌ وحاءٌ، هي بثمانيةٍ، ردَّ عليها الميم والدال يحصل عشرةٌ، اضربها في نفسها تحصل مائةٌ، ردّها على الأربعين يحصل ما ذكر، ومثل (حلم)، وهكذا باقي الأوصاف الحميدة.

[في أخذ أسماء الله تعالى منه]: في أخذ أسماء الله تعالى منه يؤخذ أسماء الله كل واحدٍ على انفراده متى ستة وستين يؤخذ من ضرب الدال والميم باعتبار الجمل الصغير، وهما بثمانية في نفسها بأربعة وستين، زد على ذلك الحرفين الباقيين وهما الحاء والميم يحصل ما ذكر. وأما إجمالا بأن تجمع اسمين أو ثلاثة أو أربعة فيمكن أيضًا مثلا محمد بتمامه باثنين وتسعين، ونحو أول دائم، وكذلك حي وهاب واجد ولي.

فائدة: نقل بعضهم عن الشيخ ابن العربي أنه قال: من أخذ حروف اسمه بالجُمَّل ونظر في أسمائه تعالى في أي اسمٍ يوافقه في العدد فإن وجده في واحدٍ فذاك وإلا نظر في اثنين أو ثلاثة أو أربعة كما في اسم محمد، فإن عدده يوجد في اسمين أو في أربعة كما مر، ثم يأخذ ما وجد من أسمائه تعالى ويقرأ (الفاتحة) بقدر عدد اسمه، و(ألم نشرح) كذلك، وبعد ذلك يقرأ ما وجده من أسمائه تعالى موافقًا لاسمه في العدد المذكور؛ فهو اسم الله الأعظم، فمن اسمه (محمد) يقرأ (الفاتحة) اثنين وتسعين، و(ألم نشرح) كذلك، والأسماء الأربعة وهي: (حيٌّ، وهَّابٌ، واجدٌ، وليٌّ) كذلك، ويتَّخذ ذلك رياضةً، ويقول في آخر الذكر عند انقضاء العدد: يا حيُّ أحي كربي وقلبي ورزقي أو ما شاء، يا وهَّابُ هب لي كذا، يا واجدُ أوجد لي كذا، يا وليُّ تولَّني؛ فهو اسم الله الأعظم.

فانظر يا أخي بعين العناية إن كنت ممن خالط قلبك محبَّة المسمى، وإلا فإن تُليت عليك التوراة والإنجيل فما تزيدك إلا عمًى عن السبيل، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره الإسلام، ومن يُرد أن يضلَّه يجعل صدره ضيقًا حرجًا، إلى ما في هذا الاسم الكريم من المناسبات: فإن من له قلبٌ سليمٌ وعقلٌ مستقيمٌ يفهم من هذه الأمور أسرارٌ، ويزداد إيمانه ومحبَّته له ﷺ، وهذا السبب الباعث على تأليف هذه الرسالة؛ فإن العاقل إذا نظر هذا الاسم وما فيه من الأسرار قال لنفسه: إذا كان هذا الاسم اشتمل على هذه المناسبات المناسبة لذاته الشريفة ولشريعته الطاهرة فكيف بالمسمَّى؟! فجلَّ أن يسمَّى وسبحان من سَمَّى.

=

ومما يدلُّك على عظيم رفع الاسم أن جدَّه عبد المطلب لما سماه به تعجب منه الحاضرون، وأخذوا يسألونه: لِمَ سميت ابنك به وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟! فأجابهم بجوابٍ بديع الشأن صادرٍ منه بإلهام من الرحيم الرحمن: رجوت أن يُحمد في السماء والأرض، ولله الحمد والمنَّة حيث حَقَّق رجائه، وزاده ﷺ ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ، وانظر كيف تعجبوا منه بمجرد أن سمعوه، ولاسيما أنه لم يكن مألوفًا، ولم يسمَّ به أحدٌ قبله، وتمَّ له هذا الأمر، وإنما سَمَّى جماعةٌ أولادهم به رجاء النبوة، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فما تَمَّ لهم شيءٌ من ذلك، ولا ادَّعوا النبوة، ولا أحدٌ ادَّعاها لهم، وإنما صان الله تعالى ذلك الاسم إلى أن وُضع عليه ﷺ، وطابق الله بين اللفظ والمعنى، فلما أراد الله إنجاز ما كان وإظهار ما تسرُّ الآذان ألهم الله تعالى جدَّه عبد المطلب أن يسميه ﷺ به، أو أرسل إلى أمه أن تسميه به، ولعلَّ الله جعل عليه هذا الاسم إشارةً إلى أهل الكشف، حتى أن الواحد منهم إذا سمعه أخذ منه جميع ما يحتاج إليه، ولا يدع في ذلك.

قال سيدي إبراهيم المتبولي: لا يكون الرجل من الرجال حتى يستنبط جميع الشريعة من حرفٍ واحدٍ من القرآن، فلا مانع أن يكون الله تعالى جعل فيه جميع ما يحتاج أولياؤه كما أن مسمَّاه كذلك، فمن رأى المسمَّى كالصحابة أخذ عنه جميع ما احتاج إليه، ومن لم يره اكتفى بالاسم، ألا ترى أن الناس اختلفوا قديمًا وحديثًا بقولهم: هل الاسم عين المسمَّى أو غيره؟ كما هو مشهورٌ بأدلَّته وتفصيله، فعلى هذا معنى السؤال عند أهل الكشف أن جميع ما أجد من المسمى، ودلَّ عليه بأقواله وأفعاله، هل يدل عليه هذا الاسم أو لا؟ فمن أطلعه الله تعالى عليه وفهم منه ما فهم قال: الاسم عين المسمَّى: أي أن ما استفيد من المسمَّى من شرائع ومكارم أخلاق مستفادٌ من الاسم، ومن لم يفهم منه شيئًا قال: هو غيره، وإلا فلا يشكُّ عاقلٌ في أن الاسم ليس هو المسمَّى، وقد وقع لي واقعة حالٍ أني زرت الإمام الشافعيَّ، وقصدت السيدة نفيسة، فإذا برجلٍ من المجاذيب في منعطفٍ لا يراه إلا قليلٌ من الناس، فمرَّ به رجلان قال أحدهما للآخر: يا جاهل. فإذا الرجل المجذوب يقول لنفسه: وأنا أسمع كيف يكون هذا جاهلاً وهو ببلاد الإسلام؟! وقد سمع من القرآن ولو كلمةً واحدةً أخذ منها جميع ما يحتاج إليه، وإنما الجاهل الذي يكون بالجبل. هكذا سمعته منه بأذني، وإنما قال ذلك الرجل ما قال بحسب ما عنده، فهو يظنُّ أن الناس كلَّهم على هذه الطريقة، فمن كان له فهمٌ وذوقٌ فهم منه أمورًا لا يفهمها غيره، وإن لم يدلّ عليها اللفظ، ألا ترى أن أبا يوسف لما سأل الكسائيَّ عن مسألةٍ في الفقه ولم يكن له فيه يدٌ وكانت له في النحو، فخرَّجها على قواعد النحو، وإن لم يكن في النحو ما يدلّ عليها، وإنما أخذ ذلك بفهمه، فكيف ينكر على أهل الكشف ما هو أعظم من ذلك؟! فعلى فرض أن واحدًا منهم لم يبلغه شيءٌ من الشرائع وبلغه هذا الاسم اكتفى به وأخذ منه ما احتاج إليه في جميع أموره: دنيا ودينًا ويمنًا وبركةً، بل ربما ظهر لهم كالمشاهدة، ودلَّ عليه

=

اللفظ دلالةً صريحةً أقوى من دلالة المطابقة. فكما أن الواحد منهم إذا سمع: (قام زيد) فهم منه ثبوت القيام، فكذلك الواحد منهم إذا سمع هذا الاسم الكريم يفهم منه جميع الأحكام فهمًا يدلُّ على اللفظ، باعتبار ما يطلعهم الله عليه ويلهمهم من الأسرار.

فإن قلت: هذا مشكلٌ، فإن اللفظ الواحد لا يمكن أن يدلَّ على معانٍ لا يحصُ، وهي في غاية الاختلاف، ومتفرقةٌ في سائر الوجوه، ومتباينةٌ غاية التباين. قلت: كلامنا مع أهل الكشف نفعنا الله بهم، وهم لا يُقاس بهم غيرهم، ألا ترى أن أرباب الحقيقة نفعنا الله بهم وحشرنا في زمرتهم عدُّوا من وجوه الكشف الاطِّلاع على صورة المعاني المعقولة في هيئة الأجسام المشخصة، وحكاياتهم في ذلك كثيرةٌ مشهورةٌ، فلا نطيل بذكرها، سلَّمنا أن ذلك ليس خاصًّا بهم.

قلنا: اللفظ الواحد قد يدلُّ على معانٍ مختلفةٍ، ألا ترى أن الفقهاء عرَّفوا الصلاة بأنها من الله رحمةٌ، ومن الملائكة استغفارٌ، ومن الآدميين تضرُّعٌ ودعاءٌ، فهذه الصلاة عندهم تدلُّ على معانٍ مختلفةٍ واللفظ واحدٌ، وأيضًا أن الإمام السنوسي استنبط جميع العقائد الواجبة من قول: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، كما أن كلمة التوحيد دلَّت على ما يجب لله وللرسل، كذلك اللفظ الدال على سيد الرسل لا مانع أن يكون دالاً على ما جاء به من الشرائع؛ فتأمَّل، وبالله التوفيق.

وأيضًا يمكن أن الله تعالى وضع هذا اللفظ بجميع تلك المعاني وغيرها، وأطلعهم عليها. ويكون ذلك من قبيل المشترك، بناءً على أن واضع اللغات هو الله تعالى، وهو الأصحُّ، ومما يدل على ذلك أن الله تعالى لم يظهر الخلق على هذا الاسم الكريم إلا لما قرب زمانه ﷺ، ولا سيما آدم رآه مكتوبًا على أبواب الجِنان، وعلى قصور الجنَّة، وعلى نحور الحور العين، وعلى كلِّ شجرةٍ، وقد علم آدم شرفه ومزيَّته؛ لأنه ببركته تاب الله على آدم ﷺ لما سأل الله، فلم يتجاسر آدم مع علمه بفضله أن يسمِّي أحدًا من بنيه به، أو أحدًا من بنيه أن يسمِّي به؛ لما علموا أن هذا لا يظهر إلا آخر الزمان، وفيه إشاراتٌ إلى أمته يفهمونها منه، وأيضًا لو أطلعهم الله عليه لربما سُمي به العامُّ والخاصُّ، فلما يأتي زمانه ﷺ لا يبقى له كبير وقعٍ عند من يسمعه، بخلاف عمًّا إذا لم يطَّلعوا عليه إلا وقت أبانه، فحينئذٍ فاجأهم الله به، فتعجَّبوا من شرفه، ومن عظيم وقعه، وإلا فلا ضرر أن يسمَّى أحدٌ بهذا اللفظ؛ لأن الألفاظ بمجردها لا تفيد شيئًا إلا بواسطة الوضع، إلا هذا اللفظ؛ فإنه دلَّ على أمرٍ عجيبٍ ومعنًى غريبٍ، ألا ترى أن عبد المطلب لما أراد أن يسميه ﷺ به تعجَّب الحاضرون لما فهموا من خصوص هذا اللفظ، فقد جعله الله دالاً على معانٍ لا تتناهى، فلو تسمَّى به أحدٌ قبله ﷺ لسبق إلى الأذهان منه ما سبق، وتُوُهِّم أنه هو، ووقعت الناس في حيرةٍ، فأخَّره الله تعالى بفجئهم به؛ لينهرهم بهذا الاسم بمجرده، كما أن المسمَّى كذلك.

فإن قلت: أما كون المسمى ينهرهم فهذا ظاهرٌ مألوفٌ، ووقع منه ﷺ؛ فقد نُصر بالرعب من مسيرة شهرين

=

من سائر الجهات، وأما اللفظ فمن أين ذلك؟ قلت: هو كذلك؛ ألا ترى أن عبد المطلب جدَّه ﷺ لما سماه به تعجبت الحاضرون من هذا الاسم؛ لما فهموه بمجرده، قالوا له: لِمَ سميت ابنك به وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟! قال لهم في الجواب: رجوت أن يُحمد في السماء والأرض، وقد حقَّق الله رجاءه، فإذا لم يكن في أسماء آبائه ولا قومه فلماذا تعجَّبوا منه؟! إنما هو لما أوقعه الله في قلوبهم من بركة هذا الاسم الكريم، ومن عظيم وقعه عندهم، فسؤالهم عن مجرد الاسم وجواب عبد المطلب لهم مسلِّمًا لهم صحة السؤال يدلان على أن هذا الاسم بمجرده يدلُّ على معنًى عجيبٍ وأمرٍ غريبٍ، أدَّاهم ذلك إلى التعجب، لاسيما وهم لا يعرفون له معنًى سابقًا، وإنما هو بمجرد أن فاجأهم اللفظ فتعجَّبوا منه.

فإن قلت: هل يصحُّ أن يكون الاستفهام لغير التعجب، بأن يكون استفهامًا حقيقيًّا، بأن يكون الحاضرون سألوا عبد المطلب سؤال استفهام على معنى أن هذا الاسم معناه عجيبٌ؟! فهل أنت قصدت المعنى أو وضعت اتفاقًا؟ قلت: نعم، يصحُّ؛ فجواب عبد المطلب إنما كان عن قصدٍ: لأني رجوت، وهاهنا بحثٌ، وهو أنهم صرَّحوا بأن شرط فهم المعنى من اللفظ العلم بتقديم الوضع، وإلا إذا لم يعلم الوضع من أين يفهم من اللفظ معنًى، وأنتم صرَّحتم بأن واضع اللغات هو الله تعالى، فمن أين لعبد المطلب أن هذا اللفظ يدلُّ على أن مسمَّاه (محمد) أو لا؟! ومن أين للحاضرين ذلك السؤال عن الاسم والتعجُّب لمن سمع لفظًا ولم يعلم له وضعًا سابقًا لا يسعه إلا التوقف فيه بخلاف هذا الاسم؛ لأن الحاضرين سألوه عنه وعبد المطلب قصد ما قصد؟!

قلت: يُجاب على القول بأن واضع اللغات هو الله تعالى بأن من جملة ما قالوه في الوضع بأن يكون بإلهام، ولا شكَّ أن هذا كذلك، أو أنه من جملة المعجزات بمعنى الإرهاصات التي تكون تأسيسًا للنبوة، فلا يُقاس عليها غيرها، أو أن العرب تعلم معاني أصول المشتقات، فهذا هو ثابتٌ عندهم لسائر المشتقات، و(محمدٌ) مأخوذٌ من حمد، فهو (محمدٌ)، فيعلمون أن مادته مما ينبئ عن الشرف، هذا وهم جاهلية، لم تخالط قلوبهم بشاشة الإيمان، ولم يطَّلعوا على شيءٍ من عجائب المسمَّى، فكيف بمن صدَّق به واطَّلع على معجزاته، وعلى مقداره وشرفه.

فإن قلت: قول عبد المطلب: رجوت أن يُحمد في السماء والأرض مشكلٌ، وذلك أن حمده ﷺ عند عبد المطلب في الأرض ظاهرٌ، وأمَّا حمده في السماء فمن أين لعبد المطلب أن في السماء من يحمد؟!

قلت: هذا أمرٌ إلهاميٌّ أنطق الله به عبد المطلب؛ إظهارًا لشرفه ﷺ بأنه يخبر عن خبر السماء، وأنه تأتيه الملائكة من السماء، فتكلَّم بما في نفس الأمر، وأولى من هذا أن عبد المطلب كان مؤمنًا على دين إبراهيم كما هو الراجح في أبويه وأجداده، وأنه كان عالمًا بأحوال السماء؛ فلهذا أخبر أن في السماء من يحمد هذا المولود، وفيه دليلٌ على أنه عالمٌ بنبوَّته ﷺ؛ إذ لم يعهد عندهم أن أهل السماء لا تحمد إلا

=

الأنبياء، وقد يدلُّ على أن عبد المطلب كان عالمًا بأنه يكون نبيًا مأمورًا، وأيضًا عنده بذلك علمٌ ممن أخبر به من أهل الكتاب، ومن الرهبان، ومن الوقائع التي وقعت قبل ولادته ﷺ.

فإن قلت: سلَّمنا هذا في عبد المطلب، وأما في الحاضرين فكيف أقرُّوه عليه وهم فصحاء أهل اللسان؟ فلِمَ لم ينكروا عليه ويقولون له: من أين لك أن هذا المولود يُحمد في السماء والأرض أو لا يُحمد؟

قلت: يُجاب باحتمال أنهم كانوا على دين إبراهيم كما كان عليه عبد المطلب، سلمنا أنهم ليسوا كذلك.

قلنا: يمكن أن الله صرفهم عن ذلك ببركة النبي ﷺ عن جدّه أن يقولوا قولاً موافقًا للحقّ فينازعه فيه أحدٌ؛ لاحتمال أن يُسأل عبد المطلب عن ذلك، فيعجز أو يخبرهم بما بلغه من أهل الكتاب، فيكيدون له كيدًا وهو ﷺ صغيرٌ لا قدرة له على دفعهم، وأن هذا ببركة عبد المطلب؛ حيث قال قولاً موافقًا لما في نفس الأمر، فليكذب أو يفخم، فصانه الله حيث سكتوا، ولم يسألوه عمّا قال، وإيَّاك أن تقول: من أين تؤخذ هذه الأمور من هذا الاسم الواحد؟

فإنَّا نقول: هو اسمٌ قليل المباني كثير المعاني، فهو مرآة البصائر يُتوصَّل به إلى الأول والآخر، فكما أن العين وإن كانت صغيرةً إلا أنها تدرك جهاتٍ كثيرةً وأجسامًا كذلك وعلوًّا وسفلاً، فهذا الاسم كذلك هو للبصيرة، تتوصل به إلى المعقولات كالباصرة تتوصَّل بها إلى المبصرات، بل هو أولى وأقوى في الإدراكات، كيف لا والكون في ظلماتٍ حتى أناره خير البرايا.

واعلم يا أخي ممن تأخر بنا الزمان ولسنا نصل إلى ما وصل إليه أهل العرفان، وإنما نحن متطفِّلون، وعلى باب جوده واقفون، ولا شيء يصل إلا بواسطته يكون، ألا ترى أن ابن سينا لما أراد أن يصل إلى الله بغير واسطته حُرم وقُصم، فرأى بعضهم النبي ﷺ في المنام، وقال له: كيف ابن سينا؟ قال: إنه رجلٌ ضالٌّ مضلٌّ أراد أن يصل إلى الله من غير بابنا فقصمناه، ومثلنا مثل قوم مسافرين جاءوا إلى بستانٍ فرأوه مشتملاً على سائر المحاسن، بحيث أن الله أودعه جميع المفاخر ولم يترك شيئًا يُستحسن حتى وضعه فيه، فدخلوا ذلك البستان وأكلوا منه ونظروا إليه، وثملوا حتى لم يبق لهم مرادٌ فيه إلا ونالوه، ثم جاء من بعدهم قومٌ فعملوا كذلك، ثم جاء قومٌ فعملوا كذلك. ومن المعلوم أن كلَّ متقدِّم فاز بشيءٍ لم يقربه من بعده وهكذا، ولذا اختلفت الأوائل في الفضائل، فمن تطاول به الزمان وصلَ له بالتأخُّر نوع حرمانٍ، وجاء إلى هذا البستان فلم يصل إلى ما كان من ذلك البستان إلا أن من رآه يصفه إلى من بعده بأوصافٍ حِسانٍ، والخبر ليس كالعِيان. فحُقّ لمن كان من أهل هذا الزمان أن يبكي حتى تدمي الأجفان على ما فاته من نعيم ذلك البستان: من مشاهداتٍ وأنوارٍ وعرفانٍ، ومع ذلك فلله الحمد والمنَّة؛ حيث وجدنا رياض الكرام. وسمعنا بخصال الأعلام، فنحن نتمرغ في تلك الرياض. ونردُ على تلك الحياض. ورضينا بالآثار. وقنعنا بالأخبار. وألهمنا أن نسلك طريق الهدى، وصددنا عن طريق الردّ، أو جعلنا من أتباع أفضل السعداء، فنسأله بفضله

=

الأنبياء، وقد يدلُّ على أن عبد المطلب كان عالمًا بأنه يكون نبيًا مأمورًا، وأيضًا عنده بذلك علمٌ ممن أخبر به من أهل الكتاب، ومن الرهبان، ومن الوقائع التي وقعت قبل ولادته ﷺ.

فإن قلت: سلَّمنا هذا في عبد المطلب، وأما في الحاضرين فكيف أقرُّوه عليه وهم فصحاء أهل اللسان؟ فلِمَ لم ينكروا عليه ويقولون له: من أين لك أن هذا المولود يُحمد في السماء والأرض أو لا يُحمد؟

قلت: يُجاب باحتمال أنهم كانوا على دين إبراهيم كما كان عليه عبد المطلب، سلمنا أنهم ليسوا كذلك.

قلنا: يمكن أن الله صرفهم عن ذلك ببركة النبي ﷺ عن جدِّه أن يقولوا قولاً موافقًا للحقِّ فينازعه فيه أحدٌ؛ لاحتمال أن يُسأل عبد المطلب عن ذلك، فيعجز أو يخبرهم بما بلغه من أهل الكتاب، فيكيدون له كيدًا وهو ﷺ صغيرٌ لا قدرة له على دفعهم، وأن هذا ببركة عبد المطلب؛ حيث قال قولاً موافقًا لما في نفس الأمر، فليكذب أو يفخم، فصانه الله حيث سكتوا، ولم يسألوه عمَّا قال، وإيَّاك أن تقول: من أين تؤخذ هذه الأمور من هذا الاسم الواحد؟

فإنَّا نقول: هو اسمٌ قليل المباني كثير المعاني، فهو مرآة البصائر يُتوصَّل به إلى الأول والآخر، فكما أن العين وإن كانت صغيرةً إلا أنها تدرك جهاتٍ كثيرةً وأجسامًا كذلك وعلوًّا وسفلاً، فهذا الاسم كذلك هو للبصيرة، تتوصل به إلى المعقولات كالباصرة تتوصَّل بها إلى المبصرات، بل هو أولى وأقوى في الإدراكات، كيف لا والكون في ظلماتٍ حتى أناره خير البرايا.

واعلم يا أخي ممن تأخر بنا الزمان ولسنا نصل إلى ما وصل إليه أهل العرفان، وإنما نحن متطفِّلون، وعلى باب جوده واقفون، ولا شيء يصل إلا بواسطته يكون، ألا ترى أن ابن سينا لما أراد أن يصل إلى الله بغير واسطته حُرم وقُصم، فرأى بعضهم النبي ﷺ في المنام، وقال له: كيف ابن سينا؟ قال: إنه رجلٌ ضالٌّ مضلٌّ أراد أن يصل إلى الله من غير بابنا فقصمناه، ومثلنا مثل قوم مسافرين جاءوا إلى بستانٍ فرأوه مشتملاً على سائر المحاسن، بحيث أن الله أودعه جميع المفاخر ولَم يترك شيئًا يُستحسن حتى وضعه فيه، فدخلوا ذلك البستان وأكلوا منه ونظروا إليه، وثملوا حتى لم يبق لهم مرادٌ فيه إلا ونالوه، ثم جاء من بعدهم قومٌ فعملوا كذلك، ثم جاء قومٌ فعملوا كذلك. ومن المعلوم أن كلَّ متقدِّم فاز بشيءٍ لم يقربه من بعده وهكذا، ولذا اختلفت الأوائل في الفضائل، فمن تطاول به الزمان وصل له بالتأخُّر نوع حرمانٍ، وجاء إلى هذا البستان فلم يصل إلى ما كان من ذلك البستان إلا أن من رآه يصفه إلى من بعده بأوصافٍ حِسانٍ، والخبر ليس كالعِيان. فحُقَّ لمن كان من أهل هذا الزمان أن يبكي حتى تدمي الأجفان على ما فاته من نعيم ذلك البستان: من مشاهداتٍ وأنوارٍ وعرفانٍ، ومع ذلك فلله الحمد والمنَّة؛ حيث وجدنا رياض الكرام. وسمعنا بخصال الأعلام، فنحن نتمرغ في تلك الرياض. ونردُ على تلك الحياض. ورضينا بالآثار. وقنعنا بالأخبار. وأفهمنا أن نسلك طريق الهدى، وصددنا عن طريق الردَّ، أو جعلنا من أتباع أفضل السعداء، فنسأله بفضله

=

ومنّه أن يُلحقنا بالسادة الشهداء، وأن يمنَّ علينا في غدٍ بالخلود في جنَّة السعداء، وأن يمنحنا النظر إلى وجهه أبدًا.

ولا ريب أن الإنسان احتوى على أوصافٍ حميدةٍ وخصالٍ عديدةٍ لا يكاد يمكن حصرها وضبطها.. فيمكن أن الله جعل هذا الاسم منطويًا على العالم بأسره، دالاًّ عليه دلالةً ظاهرةً، وجعل فيه من المزايا والأوصاف ما لا يوجد في غيره كمسمَّاه موافقة بين الاسم والمسمَّى، ولهذا ذهب بعضهم إلى اشتراط المناسبة بين اللفظ والمعنى، فقيل: إنها حاملةٌ على الوضع وقفها، فيحتاج إليه، وقيل: بل بمعنى أنها كافيةٌ في دلالة اللفظ على المعنى، فلا يحتاج إلى الوضع، يدرك ذلك من خصَّه الله به، كالقافة، وهم قومٌ خصَّهم الله بمعرفة الإنسان، ويعرفه غيره منه.

قال: حُكي أن بعضهم كان يدَّعي أنه يعلم المسميات من الأسماء، فقيل له: ما يسمى (اذغاغ) وهو من لغة البربر، فقال: أجد فيه يبسًا شديدًا، وأراه اسم الحجر، وهو كذلك. وأيضًا أن آحاد الناس إذا أراد وضع اسمٍ على المسمَّى لاحظ في وضعه ذلك المسمَّى، وقصد الموافقة بين الاسم والمسمَّى، فكيف والواضع لهذا الاسم ربُّ العالمين؟! إمَّا بإلهام عبد المطلب، وإما بوحيٍ إلى أمِّه، بأن جاءها ملكٌ، وقال لها: سمِّي ولدك، وأيضًا عبد المطلب لاحظ بهذا المعنى حيث وضعه، فقيل له: لِمَ سَمَّيت ابنك محمدًا، وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟! قال: رجوت أن يُحمد في السماء والأرض. فقوله (رجوت) فيه دليلٌ على قصد موافقة الاسم المسمَّى لما ظهر له من بركته ﷺ، وسؤال الحاضرين يدلُّ أيضًا على ذلك؛ حيث تعجَّبوا من مجرد سماع اللفظ، وذلك إنما كان منهم لما فهموه من خصوص هذا اللفظ، وإلا فهم لم يشاهدوا له ﷺ أمرًا يُتعجَّب منه، وإن كانت كلُّ أموره ﷺ على خلاف المعتاد فأنعم به من تعجبٍ وجوابٍ ما أحسنهما حيث أنبأ عن الشرف ابتداءً، وها هنا سؤالٌ كنت سألت عنه بعض المشايخ فتوقَّف، وهو أن الشائع أن جدَّه سماه محمدًا بإلهامٍ من الله تعالى، وكان السؤال مني: كل اسمٍ وُضع على مسمى فبإلهامٍ من الله تعالى، ولا بدَّ لكلِّ خاطرٍ يخطر في البال، فما وجه الخصوصية لهذا الاسم؟ ثم أني رأيت في كلام بعض المحققين من أئمتنا ما يشير إلى الجواب من أن الخصوصية هي إلهامٌ ما لم يكن معهودًا ولا مألوفًا، ولا فعله عبد المطلب رجاء موافقته لمن وضع له أولاً، وإنما اخترعه بإلهامٍ من الله تعالى، وذلك أن الاسم لم يكن مألوفًا لهم بأن كان موضوعًا أولاً على رجلٍ عظيمٍ من نبيٍّ أو ملكٍ، حتى يُظنَّ أن عبد المطلب إنما قصد التفاؤل رجاء أن يكون المولود مثل من سبق ممن وُضع له هذا الاسم، فتعجُّبهم من شيءٍ لم يعرفوه سابقًا إنما هو أمرٌ إلهاميٌّ أوقعه الله في قلوبهم؛ لمزيد رفعة هذا الاسم والمسمى، ولا شكَّ أن رجاء عبد المطلب إنما هو بمحض خلق الله تعالى، وإنما ألهمه الله تعالى ذلك لما سبق علمه، وتعلَّقت به إرادته، إن هذا الاسم عنوان المسمَّى؛ ففيه من الأسرار والعجائب ما هي دالَّةٌ على شرف المسمَّى، ويمكن أن يُقال: إن الله

=

تعالى جعل صورة الإنسان على صورة الاسم؛ لمزيد الألفة، فالدلالة على ذلك المسمى فكما أن اللفظ يدلُّ على معناه فكذلك يدلُّ عليه ما رادفه وساواه، أو أن الله لما أراد تشريف الإنسان على غيره جعل له نصيبًا من موافقة صورة لفظٍ دالٍّ على أكرم الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء:٧٠]. ولهذا قال ﷺ في الحديث المتقدِّم: «وجعلني في صُلب نوح في السفينة، وقذف بي في النَّار في صُلب إبراهيم»، فيكون إنما يخبأ مما هما فيه ببركته ﷺ.

فائدة في بيان ما كان في حركات الاسم من الأسرار، وهي أن الميم الأولى أعطيت حركة الضمِّ، وفيها فائدتان:

الأولى: أنها أشرف الحركات، ففي ذلك براعة استهلالٍ بشرف الاسم والمسمَّى، ولهذا لما وُلد ﷺ وُلد وهو رافعٌ رأسه.. ففي حديث عطاء وابن عباس: «أن آمنة قالت: لما فُصل منِّي: يعني النبي ﷺ خرج مني نورٌ أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمدًا على يديه، ثم أخذ قبضةً من التراب فقبضها، ورفع رأسه إلى السماء»، فكلُّ من تكلَّم بالاسم إنما يتكلَّم بالرَّفع، وفيه فائدتان: أشار إلى التقدُّم الذاتي وإلى علوِّ الرُّتبة؛ لأن الرفع يأخذ إلى العلوِّ.

فإن قلت: الخفض فيه مناسبةٌ وهي الإشارة إلى التواضع. قلت: يجاب بأن المخاطب به ابتداءً إنما هو الجاهلية المناسب لهم ذلك، وأيضًا هذا أمرٌ من الله تعالى، ولا يُعارض.

والحاصل: أن الكلام في مقامين الشرف الذاتي وهذا سابقٌ لما سبق في علم الله، والتواضع وهذا مطلوبٌ منه ﷺ؛ ليتألف به قلوب الناس إلى الإيمان، وأُعلن أن قريشًا لهم الشرف على سائر أهل الأرض، وذلك لما سبق في علم الله تعالى من وجوده.

الثانية: أنها تشابه الرفع التي هي إعراب العُمد، كالفاعل ونائبه، والمبتدأ وخبره، وفي ذلك إشارةٌ أيضًا إلى أن الاسم عمدةٌ لكلِّ شيءٍ، فكما أنه لا يوجد كلامٌ إلا وفيه حركة الرفع ظاهرةً أو مقدَّرةً، وفيه أيضًا فائدةٌ ثالثةٌ: وهي أن في تقديم الأشرف إشارةً إلى تقدُّم الشرف الذاتي له ﷺ، وأن الحاء أعطيت حركة الفتح إشارةً إلى فتح بلاد الله ﷺ: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:١٣]، فأيُّ بشارةٍ لهم أعظم من ذلك، وإن الميمين المتوسطين شددتا في ذلك إشارةً إلى التشديد في وسط أمره ﷺ، ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال:٦٧]، نزلت في أسرى بدر، حركات الدال المختلفة بحسب الإعراب وغيره فيها إشارةٌ إلى الأحكام الشرعيَّة التي جاء بها ﷺ، أما الواجب فمن حركته الرفع؛ لأنه أشرف، والواجب أشرف من غيره، وأما المندوب فمن النصب؛ لأنه يلي الرفع في الشرف؛ لأنه إعراب المفاعيل الناشئة عن الفاعل وعند حذفه، والمندوب كذلك: أي يلي الواجب في الشرف، وأما المكروه فمن الخفض؛ لانخفاضه وعدم اعتباره، وأما المباح فمن السكون، وأما الحرام فمن مخالفته صواب الإعراب؛ لأن الحرام منهيٌّ

=

عنه، كذلك مخالفة صواب الإعراب منهيٌّ عنه، ويمكن أيضًا أحدها من حروف الاسم الخمسة أو الستة، ولذلك جرى خلافٌ في الأحكام أهي خمسةٌ أم ستَّةٌ بعد خلاف الأولى، فمن كان ذا همَّةٍ عليَّةٍ ويريد المقابلة والمزيَّة فليأتِ باسمٍ غيره فيه ما فيه من الخصال المرضية، هيهات هيهات أن يجد في اسمٍ غيره خصلةً مرضيةً، فكيف بألوف من أوصافه المحمديَّة؟! وهذا من بعض ما فيه من الأوصاف المناسبة لذاته البهيَّة، وشريعته الطاهرة المصطفويَّة، فهل هذا الأشرف اختصَّ به خير البريَّة عليه منِّي الصلاة والسلام، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريَّته وأهل بيته الطيِّبين الطاهرين، ونسأله أن يميتنا ويحشرنا على محبَّتهم أجمعين، نحن وآباؤنا وأهلنا ومشايخنا ومن يلوذ بنا أجمعين، وهذا ما ألهمنيه ذو المنِّ والإحسان، وأطلعني عليه من مخبآت الزمان، وكنوز درر النبيِّ العدنان، وهذا ما قلناه بالفكر، ولم نجد له من قبله من ذكر انتهى. نقلاً عن «فخر الأبرار في بعض ما في اسم سيدنا محمدٍ من الأسرار» للشمس الخليلي (ص٣٦٣، ٣٨٤)، بتحقيقنا – طبع العلمية – بيروت.

[كتابة الاسم الشريف (محمد ﷺ) سبب لمغفرة الله تعالى]

وقال الأستاذ علي الحدادي ﷺ: كان لي في (الهينة) جار خطاط، كثير المعاصي واللهو واللعب، وكنت أنصحه كثيرًا فلم ينتصح؛ وبقي على حاله إلى أن توفاه الله فجأة؛ فصليت عليه وانصرفت مفكرًا في أمره، فلما جاء الليل ونمت رأيته في دار من الجنة لا يقدر اللسان على وصفها؛ فقلت له: بأي مزية وعمل نلت هذا يا جار؟!

فقال: كنت إذا كتبت اسم محمد ﷺ زينته وأتقنت كتابته، وصليت عليه ﷺ فبركة ذلك الاسم نلت ما ترى من النعم[1].

---

(١) يؤيد هذا ما رواه الإمام البخاري (٦٢٨٢) عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ: (عَبْدَ الله) وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله ﷺ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ؛ فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا؛ فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ فَوَالله مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ». فانظر ما أنتجته محبة مراد الله من الكون ﷺ، الذي التسبيحة الواحدة منه لا يوازيها عند الله الكون وأهله. فلا غرو أن يكون الأمر كما ذكر، والعجب ممن يعجب من مثل ذلك.

[دعاء من داعٍ مقبول، سأل الوصول، بجاه مولانا الرسول ﷺ]

اللهم بجاه نبيك عليك، وبصدق توجهه إليك، أوصل حبالنا لك، ودلنا عليك، وحققنا بمحبتك من طريق متابعته ﷺ وكفى بك يا رباه وليًّا ونصيرًا.

[فائدة عظيمة لمن كان في كرب وشدة]

سمعت وأنا في جامع الحبيب(١) ببغداد صوتًا يتنزل من الجهة الجنوبية من العلا يقول قائله:

«من كان في كرب وشدة فـأخلص النية، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم أودعت نفسي وأهلي ومالي وولدي ومن معي ومن تحويه شفقة قلبي في أرضٍ فياض المدد الإلهي فرشها، ومحمد رسول الله ﷺ سقفها، والصديق والفاروق وذو النورين وعلي المرتضي أبوابها، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والحجة المهدي بن الحسن، ورجال الله حيطانها، وملائكة الله حُراسها، ﴿وَٱللهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج:٢٠]، ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢١،٢٢]، الله لنا عدة، في كل مهمة وشدة، حسبنا الله وحده ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]، بل كفاه وأعز جنده، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة الطيبين الطاهرين أجمعين آمين».

فرّج الله تعالى كربه، وطيَّب بالمسرة قلبه.

---

(١) يقصد جامع العارف بالله الولي الكبير حبيب العجمي ﷺ الموجود ببغداد، والمحتوي لقبره الشريف.

[مطلب: الحياء من الله تعالى يسرع بترقي السالك إلى باب القرار]

رأيت في عالم المثال الإمام الكرَّار عليًّا أبا السبطين ﷺ وكرم الله وجهه:

فقلت: أي سيدي، قل لي أي مقام يسرع لترقي السالك إلى باب القرار؟

فقال: «الحياء من الله تعالى».

قلت: قال رسول الله ﷺ إلى أصحابه: «**اسْتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ**، قالوا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لله، قَالَ: **لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَى مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ، فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَلْيَذْكُرِ الْموتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَى مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ**»[1].

قلت: وقد جاء في الخبر عن النبي الأطهر ﷺ: «**إِذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمؤمِنِ تَكْذِبُ**»[2].

فعلى هذا فمقام الحياء من الله أقرب الأبواب إلى الله، والجراءة على الله ـ هي والعياذ بالله ـ أعظم الأسباب للرد عن الله، وعلامة الجراءة على الله إيذاء المسلمين، وهدم ما جاء به سيد المخلوقين، عليه صلوات رب العالمين، فإن القرب من الله مشروط باتباعه ﷺ والتحلي بحاله، والعمل بأعماله، صلى الله عليه وعلى آله.

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٨٧)، والترمذي (٤/ ٦٣٧).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٤٧).

[انسلاخ الأحوال عن قلب المؤمن عند أدنى مخالفة شرعية أو إقرارها]

كنت في حضرة من حضرات القرب، أطوف بهمة القلب، وهناك وقد دخلت بيتًا لبعض المحبين، فانسلخ مني ما أنا فيه في الحال؛ فعجبت لذلك، وتعمقت باستكشاف فقه ما حصل؛ فرأيت في البيت صورة على الحائط، فعلمت أن الأخذ من هنالك، فكلفت صاحب البيت بإخراج الصورة من البيت فعاد إليّ حالي.

[النهي عن اتخاذ الكلب والصورة]

فائدة: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الصُّورَةِ»[1] رواه الترمذي عن جابر ﷺ بإسناد حسن.

وجاء أيضًا: «لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ»[2] رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي طلحة ﷺ.

وجاء أيضًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»[3] رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس.

وورد أيضًا: «أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ تَمَاثِيلُ أَوْ صُورَةٌ»[4] رواه أحمد وابن حبان والترمذي عن أبي سعيد ﷺ.

وجاء: «إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ»[5] رواه ابن ماجه عن الإمام علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه.

---

(١) رواه الترمذي (٧/ ٧٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢/ ١٥٧).

(٢) رواه البخاري (١١/ ٣٧٠) ومسلم (١٤/ ١٥٣)، والترمذي (١٠/ ٤٢٠)، والنسائي (١٣/ ٣١٧).

(٣) رواه البخاري (٢٠/ ٣٧)، ومسلم (١٤/ ١٨٠)، وأحمد (٥/ ٢٢٥) والنسائي (١٦/ ٢٩٢).

(٤) رواه أحمد (٢٥/ ٢١٢)، والترمذي (٥/ ١١٥)، وابن حبان (١٣/ ١٦٠).

(٥) رواه أحمد (٣٥/ ١٢٦)، وابن ماجه (١١/ ١٨١).

[مطلب في أن الملك لا يهبط بسر إلهي إلى قلب فيه غش أو حسد أو شيء مما نهى عنه مولانا رسول الله ﷺ]

قلت: ولا يهبط الملك بسر إلهي إلى قلب من قلوب المخلوقين، وفيه غشٌّ أو حسد أو قصد أذى لأحد من خلق الله تعالى، فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ»(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وروي عن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا أخاف على أمتي إلا أن يكثر لهم من الدنيا فيتحاسدون»(٢) رواه الطبراني في «الكبير».

[التحذير من النميمة والكهانة وتتبع عورات المسلمين وإيذائهم وعن سوء ذات البين]

ورُوي عن عبد الله بن بسر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَّا ذُو حَسَدٍ وَلَا نَمِيمَةٍ وَلَا كِهَانَةٍ وَلَا أَنَا مِنْهُ» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨] رواه الطبراني(٣).

وعن ضمرة بن ثعلبة ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا»(٤) رواه الطبراني، ورواته ثقات.

وعن أبي هريرة ﷺ رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ

---

(١) رواه الترمذي (١٠/ ١٩٧).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٩٣).

(٣) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٨/ ٩١) وقال الهيثمي: فيه سليمان بن سلمة الخبائري، وهو متروك. وابن عساكر (٢١/ ٣٣٤).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (٧/ ٣٦٠).

كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»[1] أو قال: (الْعُشْبَ)، رواه أبو داود والبيهقي.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَفَيْحُ جَهَنَّمَ، وَلا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ مُؤْمِنٍ الإِيمَانُ وَالْحَسَدُ»[2] رواه ابن حبان في صحيحه.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما- قال: «صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» رواه الترمذي[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ»[4] رواه الترمذي.

وعن الزبير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»[5] رواه أحمد والترمذي، فالحسد يمنع القلب عن مطالعات صحف الحضرات.

---

(١) رواه أبو داود (١٤/ ٢٠٢)، والبيهقي في «الآداب» (١/ ٦٦).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ٤١٩).

(٣) والحديث فيه مصيبتان عظيمتان لمن خالف هذا النهج النبوي:

الأولى: نفي الإيمان عمن يفعل ما نهى عنه الحديث الشريف، ففاعل ذلك ليس بمؤمن، ولا نتحرج في نفي الإيمان عنه، حيث نفاه عنه رسول الله ﷺ بقوله: «أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه».

الثانية: أن الله تعالى يفضح من يتتبع عورات المسلمين، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله، وأمثلته ﷺ كلها واقعة، وقد رأينا من يتتبع عورات المسلمين وفضحه الله في رحله.

وإذا أردت الوقوف على ما هو أجل وأشد بيانًا فانظر شرح هذا الحديث في كتاب «الوصايا الكتانية»، للإمام حجة الإسلام مُحَمَّد بن عبد الكبير الكتاني الحسني ﷺ [طبع ضمن «رسائل الإمام المجدد في السلوك والآداب»، دار الرازي- الأردن]. والحديث رواه الترمذي (٤/ ٣٧٨).

(٤) رواه الترمذي (٩/ ٤١٨).

(٥) رواه أحمد (٣/ ٤٥٤)، والترمذي (٩/ ٤٢٠).

[صفة قلوب المتقين ﷺ]

وفراغ القلب من الحسد يرفعه إلى حضرة اليقين، هذا إذا كان من قلوب المتقين، فإن المتقين علموا أن الكل من الله فإن طابوا طابوا لله، وإن غضبوا غضبوا لله، ولم يصرفوا عملهم إلا لله، ولا إله إلا الله.

ورد على لسان القطب الكبير السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي - طاب مرقده- أبيات بهذه المعنى خمّستها من طرازها، فخذها وكن من الشاكرين، إن الله مع المتقين:

عَلَوْنَـا فَطَـرَفَ فِي حِمَـا الحَـقِّ جَائِـلُ ... وَبَـاعُ بِطَـهَ ذُرْوَةَ العَـرْشِ طَائِـلُ

وَقَبـلَ سُـؤَالٍ مَنْـكَ يَـا مَـن يُـسَائِلُ ... بِنَا عَن مَـسَاعِينَا مِـن الـذَّاتِ سَـائِلُ

وَمَنَا إِلَيْنَا حَيْثُ غِبْنَا رَسَائِلُ

لَجحْفَلْنَـا فِي حَوْمَـة الحَـرْبِ فَـزَّة ... لَـدَيْهَا حِـرَابٌ لَلأعَـادِي وَغَـزَّةُ

وَإِنَّـا إِذَا مَـا هَــزَّ بِالـدَّهْرِ هِـزَّةٌ ... لَنَـا بِرَسُـوْلِ الله فَخْـرٌ وَعِـزَّةُ

أَتَانَا بِها الصِّيَّدُ الجُدُوْدُ الأَوَائِلُ

فَأَطْوارُنَـا فِيْهَـا المَعَـانِي وَجِيْـزَةٌ ... وَآثَارُنَـا للـصَّالحَاتِ مُجِيْـزَةُ

وَأَسْرَارُنَـا بِالبَاقِيَـاتِ مُجِيْـزَةٌ ... لِـذَلِكَ مَـا الـدُّنْيَا لَـدَيْنَا عَزِيْـزَةُ

وَلا عِنْدَنَا لَلرَّهْطِ وَالمَالُ طَائِلُ

عَلَوْنَـا فَأُعْلِيْنَـا بِمَجْـدِ صِـحَابِنَا ... وَلازَمَـتْ الأَفْـلاكَ قِـدمًا رِكَابنَـا

نَعَـمْ مُـذْ لَوِينَـا لَلكَـرِيْمِ رِقَابَنَـا ... يَعِـزُّ عَلَيْنَـا أَنْ نَـذلَّ جَنَابَنَـا

لِغَيْرٍ وَإِنْ قَامَتْ لَدَيْهِ الوسَائِلُ

تَعَلّـــقَ بَـــالرّحْمَنِ آمَـــالُ قَلْبِنَـــا عَـــلَى بُعْـــدِنَا فِي الحَـــالَتَيْنِ وَقُرْبِنَـــا

وَإِنّـــا لَنَـــدْرِي أَنّ مَنْـــهُ الّـــذِي بِنَـــا وَنَعْلَـــمُ أَنّ الكُـــلّ مِـــن بَـــابِ رَبِّنَـــا

وَلَيْسَ عَنِ الْمَكْتُوبِ لِلعَبْدِ حَائِلُ

فَهَـــذا ابْـــتَلاه ثُـــمّ أَوْلاه أَنْعُـــما وَهَـــذَا عَلَيْـــه مِـــن عَطَايَـــاه أَنْعَـــما

هُو السّيْد البَـاقِي كَـما كَـانَ فِي العَـما وَيَـشْهدُ عَقْـلُ المَـرْء أَن جَميـعَ مَـا

يُرى ضِمْن ذِي الدُّنْيا حَقِيْرٌ وَزَائِلُ

فَلَـــذاتها مِـــن تَحْـــتهن الغَـــوائِـــل وَأَيّامهـــا مِـــن فَـــوقِهن المَـــشَاكِلُ

صِحاف يَرى فِيْهَا الّـذِي هُـو عَاْقِـلُ أَلا كُـل شَيءٍ مَـا خَـلا اللهُ بَاْطِـلُ

وَإِن غَشّ بِالدّعْوى مَقُول وَقَائِلُ

[بعض الأسرار الجفرية من الحضرة البتولية - عليها السلام- يعرفها أهلها رضي الله تعالى عنهم]

وهنا سر رباني، وفتح صمداني، ومعنى محمدي، وشأن بتولي، «بسم الله وحده:

بِنُقْطَـةِ البَـاءِ مِـن سِرِّ العُـلا الـسّارِي ... إِشَـارَةٌ رَمْزُهَـا فَـتْح مِـن البَـارِي

وَسَلّ مِن غِمْدِ سِرِّ السِّينِ عَضْبَ هُدَى ... فَجَـاءَ يَفْلـقُ أَسْرارًا بِـأَسْرَارِ

رأيت في الصحيفة البتولية المورثة لأهل هذا المقام رموزًا مفهوم مضمونها ينقسم إلى نشر وطي، فتدبر أنت سر النشر والطي، وخذ من أساليب رقائق حقائقه المقصود، ودوِّر هيكل الحبل من الآخرِ ورده إلى الأول، وفرِّق بين سر الحبلين، وقف على (سيناء) المشاهدة، وتدقق سرّ المكالمة، وانتظر لمعة قبس السر الإلهي، وانسلخ من شهود كلياتك كليها وجزئيها، واعمل بلازمة سريرتك وتدبر حكمة السير في العمل، وإياك والنَّفس الغريب في مسراك، واجتنب دنس الوسواس الخناس القائم معك، واسلك سبيل: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [الجن:١٦]، ﴿وَٱسْتَقِم كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الشورى:١٥].

وسُلّ يد قلبك من صندوق السلوان، وافتح كنز صدرك لوارد سحاب الحق، واسحب ذيل الاستحياء من السلام السرمدي، وتسربل بسربال الطمأنينة السالمة، وانتسب للسُّدة السرمدية بالسريرة السليمة، وهناك وليسبح قلم فكرك في بحر سر صحائفنا هذه، واستجمع الأسرار على بعضها بالدرجات التسع تسعد وتُسر وتُحمد، والسلام عليك؛ فافهم.

[وصل في الكلام على أسرار السين السرياني من الحضرة البتولية]

ولهذه الشئونات سين سرياني:

وإن من شدة السِّين السرياني وأسنانه الثلاث يحصل رمز تفرقة تعليل الأسرار الكلية، وهي التي بها جمعية الحقائق التي بعينها النقطة الجامعة كما صح الخبر، فافهم.

واعلم: أن رقائق السين الثلاث تفيد دقائق الطوايا المربوطة بالنوايا، ولها أيضًا سر آخر:

قال المولى السيد: سر السين الأول سبك التدبير، والثاني سبك التدوير، والثالث سبك التغير، ولهذا سر عظيم، وفيه نشأت الرمز الكلي المفصح عن عبارة مجمل معنى سلك التدبير والتدوير والتغيير.

وهذا الأسلوب هو عين دقيقة التعليق بعينها، وبهذا الدور الأسلوبي المتسلسل بدائع معان، أصل كل فرع: (كوني نظمته يد الإرادة في شجرة الإبداع الأصلي القديم)؛ فافهم.

ولذلك النظم حبال أحوال، فمن عقد الحبال انحلال حِكَمة كل حادثة زمانية، ولذلك نظام مطوي يفيد سر الرمز أن سلك التدبير حبله طويل، وأصله أصيل، وأمره قديم، وصراطه قويم، وهو قبل كل سلك أنشأنه اليد القوية الفاعلة، ومن بطنه دور دولاب التدوير في الساحة المدبرة، ومن هيكل التدوير لدى الدوران معنى يغير الحقائق عن موضوعها المفهوم ظاهرًا، ويواصلها إلى أصلها المدبر باطنًا.

[وصل في الكلام على بعض أسرار النون المجزوم]

وسر دقيقة النون المجزوم دورة الخطاب لحال الوجود: أنت لي؛ فأنت لا أنت، وأنا أنا، والمنون حقيقة تنكير للتعريف جاء بمعنى: كلٌّ فانٍ وأنا باقٍ.

والمفتوح: إشارة التظاهر بذلك سرًّا وعلنًا خاصًا وعامًا.

والمكسور: نوع النداء الكلي لكل حقيقة كلية وجزئية، خفية وجليلة، غيبية وعيانية، منشورة ومطوية، بسر هو مفاد اللوح الأعظم، المترجم عبارة لسان القدم، لكل طرز حقيقي على مقتضى حقيقته عينًا؛ فافهم.

ولسر التمييز بين سرير التدبير والتدوير والتغيير رمز، وهو المعبر عنه بين إخواننا بـ«**المفتاح الثابت**» فتدبر سره ترشد، ولا يصح هذا الفتح بهذا المفتاح، إلا لمن اختصه الفتاح، فافهم أبواب الخصوصية وسلوكها، وهنا سلوك أبواب الخصوصية.

قلت: والسلوك للأبواب لفتة عن الأغيار، ووقفة في الدار، ولهفة في الديار، واتباع الآثار، والاستقامة الكاملة من غير فرار، فتصرف أنت بهيكل سر الطي والنشر وحواصله، وكشف رباطاته، وعد بكل عدد إلى الحبل، وميز دقيقة الأصل، فإن النقطة الجامعة قائمة بسر ذاتها، ومنها سر ذرات الوجود كليها وجزئيها، واختلاف مواقع رقائقها، يكون بحسب فهم الفاهم، وترقيه في طريق الوصلة الذي هو طريق الحق وسُلَّم السُّدة الصمدانية العامرة التي لا تنقلب.

واختلال دقائق النقطة المباركة مع المستحصل يكون بثلاثة موانع أو بأحد الثلاثة:

فالمانع الأول: الخاطر المتقلب.

والثاني: الفكر المختلج.

والثالث: الغيبة عند العمل عن الباب الإلهي.

وفي هذه الكلمة معانٍ وحقائق، وإن غاية درجات المواقع الشريفة من السر النقطي

إلى الدرجة التاسعة والعاشرة: هي الدرجة المخصوصة بباب الله، ومدينة علم الله، مولى كل نبي وولي ﷺ.

[الحاصل من نقطة الباء هو سر الجمعية الكبرى]

وإن الحاصل من نقطة الباء سر الجمعية الكبرى، البادية بكل معنى خفي أو جلي، ومنها تصريف رابطة الفرق، فخذ من هيكل نقطة الباء بوارق معاني الجمع الجامع تفهم المقصود من كل طي مطوي، هذا إذا طويت حروف هذه النقطة بأول كل طي وآخره وصرفته على متنيه، فإن وافقه الطي الروشني على دورته فقد دلَّ على المنهج الحسن وإلا فقبيح(١).

(١) **فائدة نورانية**: قال السلمي -قدَّس الله سره- في تفسير الباء: إشارة إلى أنه: بالله ظهرت الأشياء، وبه فنيت وبتجليه حسنت، وباستتاره فتحت، فمن كان بالحق خالصًا كان الحق له حقيقة، وقيل: الباء تشير إلى أبد العبودية على الظاهر، والباطن فتبدي على الظاهر اتباع الأوامر، والقيام على حدود الشروط على حد النشاط، وتبدي على الباطن الرضا بالموارد، والصبر على المحن، وقيل: أنه يشير في الباء إلى تصحيح البداية على السنة لتصحح له النهاية في الأحوال على الكشف والمشاهدة، انتهى.

وقال سيدي محيي الدين -قدس الله سره- أبد الآبدين في كتاب «الباء»: وذلك أن الباء أول موجود، وهي في المرتبة الثانية من الوجود، وهو حرف شريف، فإنه العدل والحق الذي قامت به السموات والأرض وما بينهما، وأنه من شرفه وتمكنه من طريق مرتبته: أن أفتح لك الحق كتابه العزيز به، فقال: بسم الله فبدأ بالباء، وهكذا في كل سورة، ولما أراد الله سبحانه وتعالى: أن يترك سورة «برآة» بغير بسم الله ابتدأ فيها: بالباء، فقال: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١] فبدأ بالباء دون غيرها من الحروف. وكان شيخنا وإمامنا أبو مدين ﷺ يقول: «ما رأيت شيئًا إلا رأيت الباء عليه مكتوبة»، كأنه يقول كل شيء بي قام، فكانت الباء في إذا كل شيء. وقيل للعارف الشبلي ﷺ: أنت الشبلي، فقال: «أنا النقطة التي تحت الباء»، يشير إلى أنه: كما تدل النقطة على الباء، وتميزها عن التاء، والثاء، وغير ذلك؛ كذلك أنا أدل على السبب الذي عنه وجدت، ومنه ولدت، وبه ظهرت وبه بطنت، انتهى.

وقال في الباب الثاني من «فتوحاته»: اعلم أيها الولي: أن الباء من عالم الملك والشهادة، والقهر مخرجه من

=

الشفتين عدده اثنان بسائطه الألف، والهمزة، واللام، والفاء، والهاء، والميم، والزاي له الفلك الأول، له الحركة المذكورة بتميز في صفاء الخاصة، وفي خاصة الخاصة له بداية الطريق، وغايته مرتبة السابعة سلطانه في الجماد طبعه الحرارة واليبوسة، عنصره النار يوجد عندما يشاكل طبعه. حركته ممتزجة له الحقائق، والمقامات، والمنازلات خالص كامل مربع مؤنس له الذات، ومن الحروف الألف والهمزة، ومن الأسماء ما تقدم، انتهى.

وقال في كتاب «العبادلة»: بالباء عرفه العارفون، وبزوالها صح لهم الدوام في المعرفة، وقال في كتاب «الإسراء»: خلعت نعلي بوادي العلى، وجئت بالباء لميعاد ذلك الشيخ إسماعيل بن سودكين تلميذه ذو القدر المكين في الشرح الذي تلقاه عنه قوله جئت بالباء يعني: بالله تعالى، والتحقيق عند شيخنا وإمامنا: أن الباء مقام العبودية؛ لكون الباء في المرتبة الثانية، وكذلك رتبة العبودية، انتهى.

وفي نفس النسخ قيل: الكتب المنزلة من السماء إلى الدنيا مائة وأربعة صحف شيث ستون، وصحف إبراهيم وهي ثلاثون، وصحف موسى قبل النوراة وهي عشرة، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ومعاني الكتب مجموعة في القرآن، ومعاني كل القرآن مجموعة في الفاتحة، ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة، ومعاني البسملة مجموعة في بائها، ومعناها بي كان ما كان، وبي يكون ما يكون، وزاد بعضهم، ومعاني الباء في نقطتها، انتهى. قال سيدي عمر بن الفارض قدس الله سره:

ولو كنتَ بي مِن نُقطَةِ الباء خَفضةً رُفِعتَ إلى ما لم تَنَلهُ بِحيلَةِ

فإن الخفض يقابل الرفع فمن خفض الطرق إلى ذل عبوديته رفعه إلى مشاهدة عز سيده، ورفعت ربوبيته، ولا ينال هذا الرفع بحيلة؛ لأنه بالوهب الإلهي ذي الآثار الجميلة، ومن تنزل ليرتفع فنزله معلول مخفوض غير مرتفع، وقوله في الحديث القدسي: «فبي عرفوني»[1] أي: بمحمد ﷺ عرفوني؛ لأن عدد نبي بالجُمَّل هو عدد اسم محمد ﷺ السيد الأكمل.

واعلم: أن الباء أول رتبة في العدد؛ لأن الواحد ليس بعدد على الأصح المعتمد؛ لأنك إذا ضربت واحدًا في واحد لا يظهر إلا واحد، وهو عدد بالنظر إلى نفسه؛ لأنك أول ما تعد الواحد، فما ثمَّ إلا الواحد، فإن كل عدد إذا قطعت النظر عما قبله كان أولاً فتعد منه، وإذا قطعت النظر عما بعده كان آخرا، ورأيت وحدة الواحد ظاهرة في كل فرد من أفراد العدد بقطع النظر عما قبله، وما بعده باطنة بالنظر إليها؛ ولما كان عن الباء ظهور العدد، وكان لها من هذه الحيثية ما لذات المحمود المحمد؛ فإن وجوده في ثاني رتبة، وعنه ومنه وبه ظهر كل ما ظهر وبطن كل ما بطن، وقد اجتمع وجود الباء من سبعة نقط؛ فنقطتها الأولى تشير للجمال، وهو: الرحمة التي سبقت الغضب، ونقطتها الأخيرة تشير للجلال، وهو القهر، والخمسة ما بينهما تشير إلى الروح الحسابي، والخيالي، والعقلي،

[جملة من أسرار الحركات الإعرابية اللغوية والأسرار الجَفرية]

وإن الحاصل من الفتح: باب كل حقيقة ودقيقة غامضة وومضة.

والحاصل من المد: حبل الأيام الدوارة على مقتضى هياكلها.

والحاصل من الهمزة: الإشارة الثابتة مع كل أول وآخر.

فالفتح: إشارة المثنى من كل عدد.

والمد: إشارة كل ماضٍ وآتٍ.

والهمزة - مع أنها الإشارة الكلية - فهي كذلك: إشارة المفرد الخاص بالعدد الحاصل من الفتح بسر الفاء الفرد، والتاء الثابت، والحاء الحقيقي.

=

والفكري، والقدس النبوي، فهذه الأرواح الخمسة البشرية النورانية بها تعرف أمثلة القرآن.

وتشير أيضًا: إلى أركان الدين الخمسة، وتشير من حيث مجموع نقتطها إلى الصفات السبع، والنقطة التي بأسفلها تشير إلى الصفة الوجودية، فهي ثمانية نقط، وتحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، فهي في الحقيقة حاملة عرش ربك الظهور العياني، والمنزل الفرقاني، وقد ظهر في أوائل ثمانية أسماء: بر، باقي، بديع، بارئ، باعث، باسط، باطن، بصير، وهذا الحرف: هوائي ظلماني سفلي جمالي جسماني ناطق متواخي.

قال السيد مصطفى البكري في «الحِكم الإلهية»: «العارفون بائيون، والجاهلون بائنون»؛ أي: أن العارف بالله تعالى يرى قيام الكل بالله؛ إذ هو القيوم على كل شيء؛ ولما كان الوجود على الحقيقة له تعالى، والأشياء وجودها منه وبه آب العارفون إلى شهود وجوده، وأن وجودهم عدم بالنظر إليهم وجود بالنسبة إليه؛ ولهذا قيل فيهم بائيون لتحققهم في سر الباء، وبحديث «بي يسمع، وبي يبصر» ومعنى قولنا والجاهلون بائيون؛ أي: الجاهلون بربهم لحملهم بنفوسهم بائيون؛ أي: ينسبون الوجود لهم حقيقة، فيقول أحدهم: وجودي وروحي، وهو لهم من حيث المجاز، ودعوى الوجود عند أهل الشهود ذنب كبير لا يقاس به ذنبه، ومشاهدة الدعوى الغفلة عن شهود الوجود الخفي، والالتهاء بالتكاثر الخلقي، ومعلوم أن الوجود المستفاد من الغير هالك والهالك لا يلتهي به السالك، سيما من زال عنه الاشتباه، وعلم أن الأمر كله لله، ومرجعه إلى الله، وقيامه بالله الله، وهذا الاسم الكريم علم الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد.

فإن كان المثنى المفتوح مضمومًا لحرف النقطة الأولى وافق العدد فقد أشار إلى كلب تفرد في أمر والنظر بحصوله لمندرجات رأس التاء والحاء، فإن انفردت تمَّ؛ وإلا فلا، وإن صادفت الدرجة العاشرة التي عرفناها بمقام المد؛ فذاك يحتاج لأيام طويلة، فافهم هذه القاعدة الديوانية لا سواها.

وإن وافق مندرجات رأس التاء فالنظر لمندرجات الحاء، فإن وافقت فذاك طلب ترقّ وحصوله بموافقات مندرجات الحاء، وإن وافق مندرجات الحاء فارجع لأول سر الحبل، فإن الحاصل من سر مد حبل الأيام سر الميم المطلق والدال المقيد لا غير، والحكمة في كشف سر الإطلاق والقيد رمز الجمع في طرفي العددين، يعني:

إذ وافق عدد الميم من طرفه لعدد اليوم من طرفه مثنى أو مفردًا فالأمر مطلق، وإن كان الدال فهو مقيد، وإن زاد فارجع إلى الحبل، وإن أردت فهم القيد فاقسم العدد الموافق قسمين، واربطه باسمك أو باسم المريد أو باسم الحاجة وخذ طرف العدد، فإن الحاصل من سر الهمزة الثابتة التي هي آخر رمز من حرف النقطة هاء الهيبة، وميم الملك، وزين الزيادة، وتاء التصرف الكلي.

فرابطة الهاء هاشمية، وهي حجازية ويمانية.

ورابطة الميم مشرقية ومغربية، وهي مصرية مبصرية وبصرية، مكناسية وهندية، ملفوفة الطرفين القبلي والشمالي، المغربي والمشرقي، وفي ذلك رموز.

ورابطة الزين زمانية تفيد المدة الزمانية، ولذلك دقائق.

ورابطة التاء توريدية تفيد إجراء شأن الوارد والتصرف فيه كما هو جار، فان تصاريف المنازل على مقتضى قواعدها راجع إلى إشارة النشر الموافق للعدد، فاستطلع لسان حال النشر تفهم هذا.

وإن سر الإشارة يرجع معنا للنقطة، فالحاصل من سرها:

نون النازلات السماويات، وقاف القابلات الأرضيات، وطاء طلب الحاجات، وتاء التوصل إلى المقصودات.

فإذا أردت فهم سر النون فخذ مقطوعات طرفه واربطهن بسلسلة الوقت كاملاً، ونزل الجميع بتنزيلة التثنية والفردية، فعلى أي سر وقعت خذ حاصله من النشر ترشد.

وسر القابلات يؤخذ من القاف على هذا المنوال، والطاء والتاء كذلك.

قلت: وإن ربط هذا السر بالحبل خاص بمن علمه الله، أو أذن له أو تلقي سر الربط عن المرشد.

وخد سر ربط السر مرة ثانية بعد عدده بالحبل ولا يمكن إلا لمن مكَّنه الله وعلَّمه، وأذن له المرشد العارف بعد أن رأى فيه الأهلية المشروطة بين القوم، وإن النشر الشريف فيه دقائق سابقة، ورقائق لاحقة، وحالات حالية، وإشارات كلية، وكلها مقررة في جوف التسعة ولا تتعدى التسعة، وفي تلك الإشارة معانٍ لمن علم، وإن دقائق رموز النشر تعرف بالقاعدة، والغرض فيها بحسب التقوى، وإن النشر لوح الحق فكن من أهل الحق ترشد.

ولتعلم: أن الاتصال قد يجلي به طي سر الدقائق والرقائق من ألف الأصل لألف الوصل، لحبل السر، لسر الكل، لفرق الجمع، لجمع الفرق، لدائرة الذات، لهيكل المعنى، لدقيقة الطريق، لأول التجليات، لآخر التنزلات، للوح الفهم، لقلم الدائرة، لعين الإشارة، لبساط الأمر، لنهضة الإرادة، لذات المريد، ومنه مهبط السر، علم طريق العلم إلى حضرة الأمانة، إلى أمناء الباب، إلى ذوات النواب، إلى أول بواب، إلى باقي الحجاب، إلى جميع الأحباب، إلى كافة الأصحاب، إلى من هم داخل الحجاب، إلى الأقرب للأعتاب، وهكذا إلى آخر الدور.

ومن ذلك تفريق النشء الأعم إلى المصلحة الساكنة، إلى السرير الدوّار، إلى الصحيفة الكلية، إلى العالم العلوي، إلى العالم السفلي؛ إلى الذرة الجمعية، إلى مفرق الطرق،

إلى كل كل، إلى كل جزء، إلى عيلم الهيكل العمومي[1]، إلى خاصة عامة كل هيكل، إلى سلسلة الأدوار، إلى طنطنة سنون سر السين، المنزل بالمنديل القدسي على عاتق الحرمة الأزلية، بصندوق الرعاية الأبدية، كما هو الآن محظوظًا عن الأبصار الغيرية، محجوبًا عن أرباب الهفوات الدنية بالكلية، مكشوف القناع لأهل البصائر المحمدية، والهمم العلوية، والترقيات الروحية، وما هو إلا الطية الثانية الملوحة وراء حبل الإبداع البديع الأول الأطول، الذي عليه المعوّل.

فتدارَك سر ذلك من الصحف المطهرة، والحقائق المبشرة، التي تبدو من كنه لباب السر للعيان، وتنجلي محفوفة برقائق أسرار القرآن، مؤيدة بسنة سيد ولد عدنان، عليه أتم الصلاة والسلام في كل آن وزمان، إلى انتهاء الدوران، آمين.

---

(١) يقال: بئر عيلم: أي: كثير الماء، وهو هنا إشارة إلى شمولية ووسع الفيض الإلهي، والله أعلم.

[أمر سيدنا الإمام علي عليه السلام السيد الرواس رضي الله عنه

بمدح الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه وقدس سره]

لما نظمت هذا الدر المنثور، بهذا السلك المسطور، أخذتني غيبة من شمة الحال المحمدي الصادق، فانكشف لي من سر المقام حجاب شهود، ورأيت هنالك سلطان دوائر الأولياء، ألا وهو السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه وعنا به، وقد قام في حلقة ذكر وهناك سرير منصوب عليه الإمام الكرار أمير المؤمنين سيدنا علي المرتضى - سلام الله ورضوانه عليه - فأشار لي فأقدمت إليه، فقال: «**بحياتي عليك امدح جدك ولدي السيد أحمد، وصرْ حادي القوم**»؛ فأخذت مني، وقلت في الحلقة:

جَـرِّدْ لِـبَرِ الـشَّرْقِ هِمَّـةَ زَائِـرِ ... وَافْـرِغْ عَزِيْمَتَهَـا بِـسُرْعَةِ طَـائِرِ

وَإِذَا رَأَيْـتَ رِوَاقَ (أَمْ عُبَيْـدَةَ) ... يُجْـلَى كَـشَمْسٍ فِي ظَـلامِ دَيَـاجِرِ

فَـالْثَمْ ثَـرَى تِلْـكَ البِقَـاعِ ... وَقُـلْ الـسَّلامَ عَـلَى الـشَّرِيْفِ الطَّـاهِرِ

شَيْخِ الطَّرِيْـقِ الـسَّيْدِ الأَسَـدِ الَّـذِي ... سَـبَقَ الرِّجَـالَ بِبَـاطِنٍ وَبِظَـاهِرِ

مَـوْلاي أَحْمَـد أَوْحَـد الأَقْطَـاب مَـن ... يَنْمِـى لِخَـيْرِ ذَوائِـبٍ وَعَنَـاصِرِ

مَحْبُـوْب حَيْـدَرَة حَبِيْـب مُحَمَّـد ... أَسَـدُ المَعَـامَعِ ذِي الفِخَـارِ البَـاهِرِ

سُـلْطَان أَفْـرَاد الأَسَـاتذةِ الأُلَى ... حَـامِي حِمَـاهُم كَـابِرًا عَـنْ كَـابِرِ

غَـوثٌ مَـشَتْ سَـادَاتُهم بِرِكَابِـه ... مَـا بَـيْنَ وَارِدِ جَيْـشِهُم وَالـصَّادِرِ

وَلَـه عَلَـيْهم بَيْعَـةٌ مَوْثُوقَـةٌ ... دَارَتْ بِغَائِـبِ حِـزْبِهم وَالحَـاضِرِ

جَبَـلُ الكَـمَالِ مُقَبَّـلُ اليَـدِ الَّتِـي ... فَاضَـتْ أَنَامِلُهَـا بِبَحْـرٍ زَاخِـرِ

العَارِفُ الجَحْجَاحُ شِبْلُ ذَوي العَبَا ... خَطـر العَزِيْمَـةِ ذُو الفُـؤادِ العَـامِرِ

لَحَظَتْـهُ عَـيْنُ الْمُـصْطَفَى بِعِنَايَـةٍ فَـسَما بِهـا رَغْـمًا لِكُـلِّ مُكَـابِرِ
وَقَـد انْطَوَيْنَـا ضِـمْن ذَيْـلِ جَنَابِـهِ فَلَنـا مِـن الكِـرَارِ غَـارَة نَـاصِرِ
بِهـا الوَسِـيْلَةُ لِلرَّسُـولِ وَفَـاطِمٍ فِي اليَـوْمِ وَاليَـوْمِ الخَطِـيْرِ الآخِـرِ
وَعَلَيْهَـا مَنِّـي تَحِيَّـةُ عَاشِـقٍ مَـا طَـابَ فِي حَـذْو قَـصِيْدَةٍ شَـاعِرِ

فظهر الطرب على الإمام الكرار الأعظم - سلام الله عليه - واهتز يمينًا وشمالاً، وقال: «**نعمت الطينة والعجينة، أهل بيتي ذرية بعضها من بعض**».

وأفاض لي مددًا من بركته السيارة، أخذت منه حصة القبول، من جانب جناب الرسول ﷺ والحمد لله رب العالمين.

وهناك قلت - حاضرًا بطراز غائب، وأحوال أهل الأحوال عجائب -:

سَكِرْتُ وَسَكْرَةُ الرَّاحِ القَدِيْمِ تَطَيَّبُ لِكُلِّ ذِي قَلْبٍ سَلِيْمِ
وَزُمْزِمَتْ الكُئوسُ بِكَفِ سَاقٍ رَوى عَن حَانَةِ الكَرْمِ الكَرِيْمِ
أَدَارَ بِهَا مَعَ الأَقْدَاحِ مَعْنَى تَـلا: (لَتُسْأَلُنَّ عَنِ النَّعِيمِ)
رَقَصن لَهُ القُلُوْبُ عَلَى بُسَاطِ حَواشِيه أَرَق مِن النَّسِيْمِ
وَقَد طَاشَ السَّمَاعُ وَغَابَ دَرْكُ الرِّجَالِ عَن المُدَامَةِ وَالنَّدِيْمِ
وَسَارَ بِهِم مَقَامُ العَزْمِ حَتَّى تَرفع بِالدُّنو إِلَى المُقِيْمِ
شُئونٌ مِن يَدِ الكرارِ فَاضَتْ بِهِمَّةِ صَاحِبِ الخُلقِ العَظِيْمِ

[شهادة سيدنا الإمام الكرار للسيد الرواس ﷺ
بأنه من أهل بيته]

قلت: وقد سمعتُ في ذلك المشهد الأسعد سيدنا الإمام الكَرَّار الأعظم - عليه سلام الله ورضوانه - يقول لرجل أمامه، ويشير إليّ: «**هذا رجل من رجال بيتي**» أو قال: «**من رجال بيتنا**»؛ فحمدت الله تعالى، إذ هذه الإضافة إضافة تشريف، كما في كتاب الله تعالى بشأن الخضر عليه السلام[1] ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ الآية [الكهف:٦٥].

[استمداد الشيط الرواس ﷺ من الحقيقة المحمدية
بواسطة سيدنا علي عليه سلام الله ورضوانه
ومنه بواسطة الإمام أحمد الرفاعي ﷺ]

ولم تزل بركة الحال المرتضوي العلوي تنفح عليّ مسك المدد إلى آننا هذا، وإلى يوم الدين إن شاء الله تعالى، فإني والحمد لله لم أزل آكل من مائدة المدد المحمدي، بيد سيدي ومولاي الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وآكل من مائدة الجناب العلوي بيد سيدي الإمام السيد أحمد الرفاعي ﷺ وعن آبائه الطاهرين، ونفعنا بهم والمسلمين.

نص ديواني محمدي

---

(١) قال الشيخ أبو الهدى: إن الخضر عليه السلام اجتمع بنبينا ﷺ اجتماعًا متعارفًا فهو صحابيٌّ أيضًا، ومن اجتمع به كذلك فهو تابعيٌّ.

واسم الخضر: يَلْيا بن مَلْكان، بفتح الياء وسكون اللام بعدها مثناة تحتية، و(ملكان) بفتح الميم وسكون اللام وآخره نون، وإنما لُقِّب بالخضر لأنه ما جلس على أرضٍ إلا اخضرَّت.

قيل: مَنْ عرف اسمه واسم أبيه دخل الجنة. واختُلف في نبوته فقيل: هو نبيٌّ، وقيل: هو وليٌّ.

وهو المراد بالعبد في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف:٦٥]. والمراد بالعلم الذي علَّمه الله إياه المعبر عنه بالعلم اللدني: هو علم الحقيقة.

ومن ذلك ما وقع له مع موسى عليه السلام من قصة السفينة والغلام والجدار، وما فيها من اللطائف والأسرار. [قلائد الزبرجد ص ٢٧] بتحقيقنا.

«كل ما سبر في كلام القوم أهل الحق منزّه عن أن يشاب بغرض دنيوي، أو قصد نفسي يتعلق بهذه الجيفة، أو ينازع طلابها لعرض من أعرضها، فقد ورد في الخبر الشريف: «**الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله**»[١].

قلت: وقد عَلَّم رسول الله ﷺ أصحابه الزاهدين الالتحاق بأهل الدثور من الأغنياء أرباب الخير، قال أبو هريرة ﷺ: «**إنَّ فُقَرَاءَ المُهاجِرينَ أَتَوْا رسولَ الله ﷺ فقالوا: قَد ذَهبَ أهلُ الدُّثورِ بالدَّرَجَاتِ العُلى، والنعيم المُقِيم، فقال: ومَا ذَاكَ؟ قالوا: يُصَلُّونَ كما نُصَلي، ويصومونَ كما نَصومُ، ويَتَصَدَّقُونَ ولا نَتَصَدَّقُ، ويعتِقونَ ولا نَعتق، فقال رسولُ الله ﷺ: أفَلا أُعَلِّمُكم شيئًا تُدرِكونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكم، وتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكم، ولا يكونُ أَحَدٌ أفضَلَ مِنكم إلا مَنْ صَنَعَ مِثلَ مَا صَنَعتُم؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: تُسبحونَ وتُكَبِّرونَ وتَحْمَدونَ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ ثلاثا وثلاثينَ مَرَّة، قال أبو صالح: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ المُهَاجِرينَ إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا: سَمِعَ إخوَانُنا أهْلُ الأمْوالِ بِما فَعَلْنَا، فَفعَلوا مِثْلَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: ذلك فَضلُ الله يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**»[٢] متفق عليه.

فإن أعمال القوم أهل الله وأقوالهم كلها الله تعالى، إن ألانوا القول ألانوهُ لله، وإن أغلظوا أغلظوا الله، وقصدهم الله، ولا يضرهم تأويل أرباب الفرية والبهتان، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، وينشرون الشيء على غير ما طوي عليه[٣].

[مدار الدين مبني على قوله ﷺ «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»

---

(١) رواه الديلمي (٢/ ٢٣٠). وذكره المناوي (٣/ ٥٤٤).

(٢) رواه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٤/ ١٣٤)، والبيهقي (٢/ ١٨٦).

(٣) وهذا – ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى- كثيرٌ في عصرنا الحاضر، فتجد من لا خلاق لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، يفترون على أهل الله - رضي الله تعالى عنهم- الافتراءات، ويحرفون كلامهم، ويتهافتون على انتقاص حُرمهم بأدنى شبهة، وهم لا يعلمون أنهم بذلك يسارعون إلى حرب الله ورسوله ﷺ، حتى رأينا من لا يحفظ كتاب الله تعالى فضلاً عن الصحيحان، فضلاً عن باقي الكتب الستة يعترض على من مارس الكتب الستة وشروحها، حتى صار أعرف بالسنة وطرقها من معرفته بأهله وأصحابه، فضلاً عن الكتب العزيز وما حام حول حماه الأعز من التفاسير قديمها وحديثها؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإسناده من طريق مشيخة المصنف قدس سره]

والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «لاَ عَمَلَ لِمَنْ لاَ نِيَّةَ لَهُ»[1] رواه البيهقي.

وأخبرنا شيخنا العلامة الجليل، الولي الأصيل، السيد إبراهيم الرفاعي. البصري مفتي البصرة ونقيبها، قال: أنبأنا شيخنا السيد أحمد بن عبد المنعم وشيخنا الشيخ أبو البركات عبد الله العابسي البصري قالا: أخبرانا السيد نور الدين حبيب الله الحديثي الرفاعي، قال: أنبأنا سيدنا السيد حسين برهان الدين آل خزام الرفاعي نقيب البصرة، قال: أنبأنا الشهاب حسام الدين بن خزام، قال: أنبأنا السيد شعبان الرفاعي نقيب البصرة، قال: أنبأنا السيد تاج الدين النقيب، قال: أنبأنا شيخنا شيخ الإسلام القطب السيد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي دفين صدرية بغداد، قال: أنبأنا السيد قطب الدين ابن الرفاعي، قال: أنبأنا الشيخ عمر الصغير الفاروثي، قال: أنبأنا والدي شيخ الشيوخ عز الدين أحمد الفاروثي، قال: أنبأنا والدي أبو الفضل محيي الدين إبراهيم المصطفوي الفاروثي، قال: أنبأنا الإمام شرف الدين أبو طالب ابن عبد السميع العباسي الهاشمي، والشيخ الفقية العارف بالله أبو شجاع بن منجح الشافعي الأحمدي، قالا:

أخبرنا شيخنا قطب الوجود إمام الطوائف أبو العباس السيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني ﷺ ونحن نسمع منه في جم غفير في رواقه؛ بـ«أم عبيدة» قال: أخبرنا الشيخ أبو الفضل علي المقري القرشي الواسطي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة- قال: أنبأنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي، قال: أنبـأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ محمد بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْعَمَلُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ

(١) رواه البيهقي (١/ ٤١).

وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

ومن هذا الطريق روى هذا الحديث الشريف سيدنا عمر الفاروق الجليل ﷺ بنص: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ** ..»[1] إلى آخر الحديث.

وهو نص عليه مدار الدين، وأحكام العلم والعرفان واليقين، وبه عروج قلوب العارفين، إلى حضرة قدس رب العالمين.

---

(١) رواه البخاري (١/ ٤)، ومسلم (٥/ ١٥١٥).

[مطلب في بعض صفات العارفين ساداتنا أولياء الله تعالى وأنواعهم ﷺ]

القوم أهل الله أخلصوا النيات، وتجردوا من علائق الكائنات، وانسلخوا من طلب الحادثات، وقاموا الله بهمم صادقة، وعزائم للعادات خارقة.

فمن كان منهم من أهل الخفاء؛ فشأنه وربه، لا يطلع عليه سواه، ولا يعرفه أحد إلاّه.

ومن كان منهم من أهل الظهور؛ فهو محجوب عن عيون أرباب القلوب المظلمة بحجاب ظهوره، واقف بباب ربه في طي خبايا ستوره، وهم المرادون بقول القائل:

لله تَحْــتَ بُـسَاْطِ الغَيْـبِ طَائِفَــةٌ ... أَخْفَاهُمُو عَن عُيـونِ النَّاسِ إِجْـلَالا

هُـم الـسّلاطِيْنُ فِي أَطْـمَارِ مَـسْكَنَةٍ ... جَـرُّوا عَـلَى فلـك الخَـضْرَاءِ أَذْيَـالا

وهم المعنيون بالحديث القدسي، بإشارة: «**أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري**»[1] أي: لا يعرفهم على ما هم عليه معي سواي، قلوبهم بعيدة إلا عنه، وأسرارهم مصونة إلا منه، رضوا بالله تعالى ربًّا، وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبيًّا ورسولاً، ووقفوا عند هذا الحد، وذروا الدموع على الخد، وذاقوا طعم الإيمان، بصدق الانحراف عن الأكوان، إخلاصًا للديّان.

---

(١) ذكره الغزالي في «الإحياء» (٣/ ٤٤٧).

[مطلب في: حديث «ذاق طعم الإيمان...» الحديث.

وإسناده من طريق مشيخة المصنف قدس سره]

أخبرنا شيخنا العلامة الجليل، الولي الأصيل، السيد إبراهيم الرفاعي البصري مفتي البصرة ونقيبها، قال: أنبأنا شيخنا السيد إبراهيم أحمد بن عبد المنعم، وشيخنا الشيخ أبو البركات عبد الله العباسي البصري قال: أخبرنا السيد نور الدين حبيب الله الحديثي الرفاعي، قال: أنبأنا سيدنا السيد حسين برهان الدين آل خزام الرفاعي نقيب البصرة، قال: أنبأنا الشهاب حسام الدين بن خزام، قال: أنبأنا السيد تاج الدين النقيب، قال أنبأنا شيخنا شيخ الإسلام القطب السيد سراج الدين الرفاعي، ثم المخزومي دفين صدرية بغداد قال: أنبأنا السيد قطب الدين ابن الرفاعي قال: أنبأنا الشيخ عمر الصغير الفاروثي، قال أنبأنا والدي شيخ الشيوخ عز الدين أحمد الفاروثي قال: أنبأنا والدي أبو الفضل محيي الدين إبراهيم المصطفوي الفاروثي قال: أنبأنا الإمام شرف الدين أبو طالب بن عبد السميع العباسي الهاشمي، والشيخ الفقيه العارف بالله أبو شجاع ابن منجح الشافعي الأحمدي، قالا:

أخبرنا شيخنا قطب الوجود إمام الطوائف أبو العباس السيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني ﷺ، ونحن نسمع منه في جم غفير في رواقه الأنور؛ بـ«أم عبيدة»، قال: ﷺ عنه حدثنا الشيخ الإمام المقري القاضي الثقة علي أبو الفضل الواسطي بمدرسته في واسط، قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن علي بن المهذب، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي، قال أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ الْهَادِ عَنْ محمد بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا**»[1].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١٦٨٣)، والترمذي (٥/ ١٤)، والبيهقي في الشعب (١/ ٢١٨).

وهذا الذوق المنبعث عن هذا الرضا[1] هو: المعرفة بالله تعالى، والمعرفة نور أسكنه الله تعالى قلب من أحبه من عباده، ولا شيء أجل وأعظم من ذلك النور، وحقيقة المعرفة حياة القلب بالمحيي: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢]، وقال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس:٧٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧]، وقال سبحانه: ﴿ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، فمن ماتت نفسه بَعُدَت عنه دنياه، ومن مات قلبه بعد عنه مولاه.

فالقوم ﷺ لما ماتت نفوسهم بعدت عنهم الدنيا وبعدوا عنها، ولما قامت بحكم الحياة الدائمة بالله قلوبهم الطاهرة قَرُبت من الله، وقرّب سبحانه سره المقدس منها.

فهم ودائع مدد الله، وخزائن أسراره، إليه يرجعون، وبه يهيمون، وعليه يتوكلون، وإلى غيره لا يلتفون، وكل ما يُحَمَل على أكابرهم وأصاغرهم، خفيهم وظاهرهم - من

---

(١) قال صاحب «آداب الأقطاب»: قد أكثر المتصوفة في ذكر الرضا واختلفوا فيه. فمنهم من قال: حال. ومنهم من قال: مكتسب، فالراضي بالله لا يعترض على مقاديره. قال أبو علي الدّقاق: الرضا: ألا تعترض على الحكم والقضاء. قال المشايخ: الرضا باب الله الأعظم- يعني من لزم الرضا- فقد لقي بالترحيب الأوفى وألزم بالتقريب الأعلى، فالرضا لا يقع من العبد إلا بعد الرضا عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿رَضِيَ الله عَنهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢]. وقد جاء أن موسى ﵇ قال: «إلهي دلني على عمل إذا عملته رضيت عني، فقال: إنك لا تطيق ذلك، فخرَّ موسى ﵇ ساجدًا متضرعًا فأوحى الله تعالى إليه: يا ابن عمران رضائي في رضاك بقضائي».

وقد سُئلت رابعة متي يكون العبد راضيًا؟ فقالت: إذا سرَّته المصيبة كما تسرُّه النعمة. وقيل للحسين بن علي رضى الله عنهما إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إليّ من الغنى والسقم أحب إليّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتّكل على حسن اختيار الله تعالى لم يتمنَّ غير ما اختاره الله ﷻ له. وسُئل أبو عثمان عن قول النبي ﷺ: «أسألك الرِّضا بعد القضاء»؟ فقال: لأن الرِّضا بعد القضاء هو الرِّضا. وقال أبو سليمان الداراني: أرجو أن أكون عرفت طرفًا من الرِّضا لو أنه أدخلني النار لكنت راضيًا بذلك. قال المحاسبي: الرِّضا: سكون القلب تحت مجاري الأحكام.

وقال الجريري: من رضي بدون قدره رفعه فوق غايته. وقال أبو عثمان: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته، وما نقلني إلى غيره فسخطته انتهى. [قلائد الزبرجد ص ٢٢٢].

الشئون التي تمس زفرة هذه الدنيا الفانية - فحقيقتها خلاف ما حملها عليهم الكذابون، وأضافها إليهم الباغون.

[مشارب وأطوار أهل الله ﷺ]

وهم رضي الله تعالى عنهم على مشارب وأطوار:

فمنهم: رب المظهر القهار.

ومنهم: المتحلي بالتجرد عن الآثار.

ومنهم: الملتحف برداء التعزز والوقار.

ومنهم: المتطيلس بطيلسان الذل لله والانكسار.

ومنهم: المغلوب، **ومنهم**: المجذوب.

ومنهم: المتمكن الجامع، **ومنهم**: السيف القاطع.

ومنهم: الشرعي الانبلاج، **ومنهم**: البحر العجاج.

[أهل الله ﷺ ثقلين على أرباب النفوس المظلمة]

وكلهم ثقيلون على أهل النفوس الملوثة بأغراضها، والقلوب المقوَّمة بأمراضها، وهم غرباء عن جنس أولئك، ولذلك فهم كما قال فيهم رسول الله ﷺ: **«من يبغضهم أكثر ممن يحبهم»**[1] لمخالفتهم لما عليه النفوس وأربابها، والمقاصد الفاسدة وأصحابها، وقد روي: **«من أحب الله فليتخذ للبلاء جلبابًا»**[2]؛ فالابتلاء لأحباب الله تعالى لابد منه، ولكن لهم الغلبة على من عاداهم، والنصرة على من ناوأهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

---

(١) رواه ابن وضاح في «البدع» (١٦٦).

(٢) أورده السمرقندي في «تنبيه الغافلين» (ص٩٢).

[كل أهل زمان لهم من الله حظهم بقدر احترامهم لأهل الوقت من أهل الله ﷺ]

وكل أهل زمان لهم من الله حظهم بقدر احترامهم لأهل الوقت من أهل الله، ومحبتهم لهم، وحسن ظنهم بهم، وصدق الموالاة لهم، وخالص الاتباع لمنهاجهم، وسلوك طريقهم، والتخلق بأخلاقهم وإعظام شأنهم، والعكس ـ والعياذ بالله ـ والعكس.

[ما أتيَ على المسلمين اليوم إلا من الاستهانة بالسنة

وأهلها السادة أولياء الله ﷺ وإهمال حقوقهم

وعدم سؤالهم والاقتداء بهديهم]

فإن إهانة أهل الله والكذب عليهم، وإهمال حقوقهم وهضم مقاديرهم، ينتج عن زيغ تزفر به القلوب، وخبث تنطوي عليه النفوس واستخفاف لأوامر الله تعالى، ومتى طمّت هذه الأوصاف القبيحة قومًا من المسلمين ترى أن الخزي يطمهم، والفشل يعمهم، والذل يكتنفهم، ويدعون فلا يستجاب لهم؛ لأن القوم أهل الله أمناء النبي ﷺ في الأمة، وهم العلماء بالله حقًّا، العارفون بسنة نبيه ﷺ، المتمسكون بها، الناصرون لها، المفرغون للأخلاق المحمدية في القلوب، الجاذبون لألباب الأمة إليه صلوات الله وتسليماته وتحياته عليه.

فهم نقطة الجمع للقلوب على أمر الله وسنة نبيه، وإعزاز كتابه وتعظيم أمره، وتوقير أحبابه، فمتى أهملهم أهل الزمان انفكت جامعتهم وصارت قلوبهم شتى، وهنالك فلا عزّ لهم ولا مُكنة، ويسلط الله عليهم عدوهم، وينزع المهابة منهم.

روينا بالسند من طريق الإمام أبي داود ﷺ: أن النبي ﷺ قال:

«يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا» قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ

السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ»، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوتِ»(١).

قلت: وهنالك ترى أن الأمر الإلهي يصير مجهولاً ويُهمل الشرع، ويؤخذ بالرأي، وتحصل الذبذبة في كل الأمور، وحينئذ فمتى جهل الأمر الإلهي تجرّأ المأمور، وقل العدل وكثر الجور، وذلّ المؤمن وعزّ الجاحد، وسد باب الهيبة، وتكلم الناس بغير ما في قلوبهم، وقبل قول العرف، واستقبح نص النقل، واستحسن رأي العقل واستجلب الناس من أقطارهم لأخذ الآراء، واجتمع الكل على غير أمر إلهي، وخاضوا في تشييد أركان قانون العقل، وقانون الأمر الرباني بين أظهرهم نراه متروكًا، وعَظُم على قلوب المسلمين - لضعف إيمانهم - خوف الكفار، وصادقوهم وصدّقوهم، وتقرّبوا منهم طبعًا وعملاً، وتقيدوا بقيود أفعالهم، وتلبسوا بلباسهم، وحسّنوا سيرتهم، وقلدوهم بحالاتهم اللاتي هم عليها، وانجر حبل الفساد لضمير الاعتقاد، وبُغِضَ المُتمسك في الدين لا لسبب، ونُصِرَ الفاجر لا لريبة ولا لأرب، ونبح كلب الفسق وأطلق القيد، فكلٌّ على ما يريد وإلى ما يحب.

ونُسِبَت الخيانة للمسلمين، وللكافرين الأمانة وحسن الطوية.

ومُنِعَ العارف الناصح، وقُرِّبَ الجاهل الطالح.

فهنالك تشتعل نار الأكدار، وينطوي بساط الألف من الإلف، وتتغير الأحوال وتختلف، ويمحى سطر الحق محوًا عينيًا، ويكتب على الصحاف سطر الزور والباطل خطًّا جليًا، وحينئذ: (الدين بلا عُمر(٢))، و«الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمرِ»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٤٩/ ٢٩)، وأبو داود (٢/ ٥١٤).

(٢) يقصد سيدنا ومولانا: أشد المسلمين صلابة في دين الله تعالى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ومعنى ذلك أنه لا يوجد من ينافح عن السنة وأهلها، قلت: وهذا مما يصيب القلوب من الوهن: من حب الدنيا وكراهية الموت، والغفلة عن مقتضيات قول جبّار السماوات والأرض: ﴿تَنصُرُوا

=

اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]، ولم يقل ويخذلكم؛ فلو نصرنا الله تعالى لنصرنا جلّ شأنه؛ اللهم ارزقنا إيمانًا يغلّب حب نصرتك في قلوبنا ويمحو حب الدنيا منه؛ فإن وجود حبها بدل حبك رأس كل خطيئة آمين.

(١) وحال جلّ الناس اليوم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- كما حكى المصنف ﷺ من إهمال حقوق وأوامر الله تعالى في خاصته من عباده، بل صار مَنْ يقوم بالحب في الله تعالى - الذي هو أوثق عرى الإيمان كما في الحديث- للآل والصحب الكرام ولأولياء الله تعالى- رضوان الله على الجميع- يشار إليه بأنه صوفي، وكأنهم يلمزونه بذلك، وكأنه أتى في الدين ما لم يأذن به الله؛ لكونه يراعى جناب الحق في مَن أمر الله تعالى بتوقيرهم والتعلم منهم؛ فهم الخبراء بالله وبالدين الذين أمرنا الحق بسؤالهم، والربانيين الذي ورثوا الكتاب رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم، وأماتنا على حبهم آمين، وهذا ما أنتج ما نحن عليه الآن من الضعف الظاهر لكلمتنا الإسلامية، واستهانة عدونا بنا، وترى ما قال المصنف ﷺ: «الأمر الإلهي يصير مجهولًا، ويُهمل الشرع، ويؤخذ بالرأي، وتحصل الذبذبة في كل الأمور، وحينئذ فمتى جهل الأمر الإلهي تجرّأ المأمور، وقلّ العدل وكثر الجور، وذلّ المؤمن وعزّ الجاحد، وسد باب الهيبة، وتكلم الناس بغير ما في قلوبهم، وقبل قول العرف، واستقبح نص النقل، واستحسن رأي العقل ويدعون فلا يستجاب لهم».

وكأن المصنف ﷺ عاصرنا ورأى ما نحن عليه؛ فلله دره من إمام، لم يخرج حالنا عن وصفه، فحيهلا بمن يجدد للأمة دينها؛ فحيهلا بالعض بالنواجذ على الكتاب السنة، فحيهلا بحفظ حرمة المسلم التي هي عند الله أعظم من حرمة الكعبة – كما في الحديث عند ابن ماجة وابن أبي شيبة- فكيف بحرمة الأولياء الصديقين؟ فكيف بحرمة الصحب والآل الكرام؟! فكيف بحرمة الأنبياء والرسل؛ فكيف بحرمة أولى العزم منهم؛ فكيف بحرمة أعظم الخلق حفظًا لحرمة ربه وامتثال أمره ﷺ وعلى آله وصحبه؟!! والحديث رواه الترمذي (٤/ ٥٢٦). فحيهلا بجمع كلمة المسلمين، فحيهلا بمن يلتمس الأعذار للمسلمين؛ فحيهلا بنشر محاسن بعضنا بعضًا والغض عن المساوئ وطيها؛ فحيهلا بتعظيم المسلمين بعضهم بعضًا، فإن الله لم يشرِّع صلاة الجماعة والجمعة والأعياد وغير ذلك من المناسبات الدينية إلا لجمع كلمة المسلمين وحصول التعاضد والتآخي والتآلف؛ فليتق الله مَن لا همَّ لهم إلا اختلاق الشبة وتكلفها للطعن في المسلمين عامتهم وخاصتهم، ويعكفون ليل نهار على الطعن في أهل القبلة، أهل (لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله). أفلا يهتمون بقمع العلمانية التي سرى خبثها في شباب الأمة، وصار صوتها يصل كل آذان للمسلمين وفي قعر دارهم عن طريق القنوات الفضائية الغربية وغيرها!! أفلا يعكفون على صد خطر التبشير المسيحي الذي يُخدم بكل أنواع الخدمة!! أفلا يعكفون على شرح السنة وإحياء العمل بها صرفًا!!

ولا يغرنك حال بعض الأدعياء في طريق الله تعالى ممن يزعم أنه على شيء، وهو مم فارق السنة والجماعة، واتخذ الزيغ والإلحاد والشطح الكاذب له رأس مال وزبدة بضاعة، فأولئك من الممقوتين المردودين، وإن الله لمع المتقين.

[اختلاف القوم ﷺ اجتهاد كله يئول على الله فإنهم أتباع الشرع، لا أتباع الطبع، مقصدهم واحد]

ولا يصدنك عن إعظام القوم ما تراه من الاختلاف في الشئون بينهم، فذلك اجتهاد في أمور يئول كلها إلى الله تعالى، ولا ينفك عن ظاهر الحكم اتباعًا لباطن اجتهاده وإن كان موافقًا للظاهر، إلا صغير المرتبة منهم - رضي الله تعالى عنهم - فإنهم أتباع الشرع، لا أتباع الطبع، ظاهرهم وباطنهم واحد، ومقصدهم واحد، وكلٌّ شأنهم إلى الله راجع وعائد.

وقد قال سيدنا الإمام الأشهر، الغوث الأكبر، السيد محيي الدين أحمد الرفاعي رضي الله عنه وعنا به: كدَّرَ صفو هذه الخرقة قائل قال: (إن الباطن غير الظاهر)، الطريق إلى الله ظاهره الشرع، وباطنه الشرع، وصغير المرتبة من القوم يخطفه اجتهاده لما قام عنده في باطن أمره من الدليل الموافق للظاهر في الحكم، فيقف معه فإذا وقف مع باطن اجتهاده أشكل على أهل الظاهر المحض، أعني الذين قصُرت هممهم عن الجمع بين الحكمين؛

=

وللأسف من يقوم بالطعن في سادات المسلمين - أولياء الله، أهل التصوف الحقيقي. أهل القرآن أهل الله وخاصته، رضي الله تعالى عنهم - يلقبون أنفسهم بالسلفية،وهم أبعد ما يكونوا عن منهجية الإمام أحمد والسلف الصالح- فحسبنا الله ونعم الوكيل. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤] اللهم أصلح حالنا وحال جميع إخواننا المسلمين، وتداركنا وإياهم بعفوك وامتثال أمرك بجاه الرءوف الرحيم خير من عبدك.

وخلاصة القول: الإسلام يا له من دين لو كان له رجل... فهناك علماء الإسلام في قلوبهم، والأكثرين جعلوه في جيوبهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فأنكروا عليه وخاضوا به، وكذلك أهل الجمع الكامل من كبار أهل الله القادرين على حقيقة التوحيد بين الباطن والظاهر[1]، فهم لا يقف واقفهم مع اجتهاد باطن يكون ظاهره مشكلاً عند أهل الظاهر المحض أدبًا مع الحكم، ولذلك فهم أيضًا يمقتون صغارهم الذين يقفون مع باطن اجتهاد موافق للظاهر في باطن الحكم، مخالف له في ظاهر الأمر، ويعدون ذلك نقصًا عظيمًا في المرتبة ويقولون لهم كما قال رسول الله ﷺ من حديث: **«أتريدون أن يكذب الله»**[2]، **«وكلموا الناس على قدر عقولهم»**[3].

ولما كان أهل الباطن خلاف أهل الظاهر، أعني بأهل الباطن القوم رضي الله تعالى عنهم، وبأهل الظاهر أرباب الحجاب، فكبارهم يعرفون صغارهم، وصغارهم لا يعرفون

---

(١) قلت: وهذا ما تصدعنا فيه مع أرباب الظاهر؛ فإنهم يظنون أن القوم رضي الله تعالى عنهم يقولون بأن الظاهر مخالف للباطن، لا، لا .. لم يقل بهذا أحد من العلماء بالله تعالى؛ بل إن القوم رضي الله تعالى عنهم عندهم الدين ذي الثلاث: (إسلام وإيمان وإحسان ... كما في حديث مولانا ﷺ)، أو (علم وعمل ومشاهدة)، أو (شريعة وطريقة وحقيقة)، أو (تخلي وتحلي وتجلي)، مجموعها عين الكتاب والسنة المحمدية، لا مخالفة بينها ألبتة، بل عندهم رضي الله تعالى عنهم: الإحسان ملزوم يلزمه الإيمان، والإيمان ملزوم يلزمه الإسلام.

والدين عند المنكرين عليهم هو بعض ما دلت عليه ظواهر الكتاب والسنة فقط، وباقي ما في الكتاب والسنة يعدون من يتكلم فيه باطنية أو إباحية - ومعاذ الله- ففاز القوم بالعمل بما هو زائد على ما فهم الناس ولم يبطلوا الظاهر، بل جمعوا بين الثلاث المذكورة؛ فإذا سمع المنكر القوم يتكلون في مقامات ومنازل (الإحسان)؛ ظنوا أن ذلك مخالف لحقائق (الإيمان) وأن القوم خالفوا ظواهر الشرع، وطالما وجدت المنكرين يحومون حول تلك المعاني ويشددون النكير وهم ما أنكروا إلا على ما توهموا وجوده واختلقوه من عندياتهم، لا على حقيقة ما عليه العلماء بالله رضي الله تعالى عنهم.

فليت علمي إن الله تعالى لا يقبل عمل إلا إذا كان مبني على التصوف الحقيقي المؤسس على وفق الشرع، والذي هو: «علم واسع بالكتاب والسنة، وعمل بمقتضي هذا الوسع العلمي، ومشاهدة حقيقية وإخلاص حقيقي».

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٦٣٠).

(٣) رواه الديلمي (١/ ٣٩٨، رقم ١٦١١).

كبارهم، عكس أبناء الدنيا المحجوبين، فلذلك يخطف صغارهم اجتهادهم، ولو كان مخالفًا لكبارهم، لعد علمهم بهم، وكل ذلك جهاد في الله لوجه الله لا لغرض من أغراض الأكوان، كلهم على هدى رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

[الميزان الحقيقي للجميع هو ظاهر الشرع]

وأما المبطلون المخالفون باجتهاداتهم وترهاتهم لظواهر النصوص فأولئك كذّابون، وعن البساط مبعدون، وفي الملاحدة معدودون، والميزان ظاهر الشرع للجميع.

[الذي يتجرأ على زنة أحوال القوم
لابد من تبحره بعلمي الشريعة والحقيقة]

وهنا دقائق وهي:

أن الذي يتجرأ على زنة أحوال القوم بميزان الشرع، يلزم أن يكون من أهل التبحر بعلمي الشريعة والحقيقة؛ ليميّز بين الحق والباطل، وليوضح الحكم بأصرح الدلائل، ولكيلا يهوي بمتابعة الهوى، «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

[استظهر ﷺ الحكمة على القلوب بالحقائق لا بالخوارق]

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] انجلى لي ببغداد سر حالي في طور مقامي، وأنا في صحو قديم، على صراط مستقيم، فرأيت:

أن الله أعطاني قدرة من لدنه؛ لو أردت أن أحوِّل جانبها الغربي إلى مكان الجانب الشرقي منها، وأن أجعل الشرقي مكانه لفعلت بإذن الله تعالى.

فهزني الحال للاستظهار بآيات الله على القلوب، فقال هاتف الإرشاد: «أين قوة حالك من قوة حال سيد الوجودات السر الأعظم البحر الصمداني المطمطم ﷺ؟!».

إن هي إلا أقل من ذرة في مقابلة السبع الأرضين، وهو عليه صلوات الله وسلامه لم

يستظهر على القلوب بالخوارق، بل استظهر عليها بالحقائق، وقال له ربه سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل:١٢٥]، فتمكَّنْ واصبر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]، فثَبتَ فيَّ حالي، ووقفت مع مقامي، ورحتُ أستظهر بالله في طي الحكم على القلوب - التي يفاض لها مني نهلة فتح - بواسطة من الوسائط، وها أنا أنتظر بروز هذا النور من سقف الغيب ليلمع على فيفاء القلوب و ﴿ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٣].

[وصول سيدنا الرواس ﷺ دمشق ومقابلته أرواح سكّانها من الأنبياء والآل والصحابة، والتابعين، والعارفين رضوان الله عليهم أجمعين]

وصلت دمشق سنة سبعين ومائتين وألف، ويد المدد الإلهي قد رفعت على رأسي لواء المحبوبية الكبرى، فنفخت في دمشق نفخة روحية سرية قدسية من واردات شأني الإلهي، فطال مدى انعكاس واردها فثَنَّيت وثلَّثت، فاختبط ذلك الوارد حتى عجبت لتلوي بوارق الوارد المذكور! وهنالك قابلتني أرواح سكَّان تلك الجهات المباركة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والآل والصحابة والتابعين والعارفين والواصلين، والمقبولين رضوان الله عليهم أجمعين.

وكل روح سعيدة من تلك الأرواح الطاهرة الطيبة عرَّفتني حكم شأنها الذي نالته من تلك الجهات وأهلها، وأفرغت فيَّ حِكَم أمزجة القوم وأسرار أخلاقهم وما هم عليه، وانجلى لي من بطن تلك الشئون ظهور حال غيبي مخبأ في طوايا الغيب، يميت الله به قلوبًا ويحي به آخرين: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٩].

فأول وفد كذا وكذا، وبعده الذي يليه ثم الذي يليه، والخيرية سهم أواسط الوفود لباب تلك العصائب، ويندرج في رجالنا الأبدال، ويثمر غصن الأمل بصالح العمل، ومنهم لنا عصابة عبدت، وأخرى حَمدت، وأخرى انتظمت بناسقة البركة والخير والكمال والعلم والحال، ويد الله مع الجماعة، وفيهم خطيب وأريب، ولبيب وأديب، وحسيب ونسيب.

[استمداد أهل دمشق من المصنف ﷺ وأخذهم عنه، ووصف أهلها]

وأناس رفعتهم همتهم بنخوة نفس، فوقفوا مع آبائهم وأجدادهم ومشاربهم ومذاهبهم وما هم عليه، حتى إذا لمعت لهم لامعة القدس من سماء الفتح انسلخوا بنا عن آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم وغاياتهم، فصفت لهم الحانة الروحية، فشربوا من قديم شرابها، وتأدبوا بآداب أصحابها، وإن دمشق لبلدة من بلاد الله المرقرقة بنشأة حال طرازي، فيه لهوٌ للنفوس، وحجاب للخواطر، ومنه نور القلوب وتبصرة، وذكرى لأولي الألباب.

غلب أهل الحجاب فيها الطيش، والذهاب مع كل ناعق، أقرب ما يخامرهم تقليد غيرهم فيما يلائم هواهم، ولا يثقل على نفوسهم، ويصعب على طباعهم.

ورنة حال الأبدال فيهم لها شأن في الخواطر؛ ولكن على غير علم من المحجوبين، فإن المحجوب تقع على قلبه النكتة الغيبية وتهزّه ولا يفهم منها ما يلائمها، بل يفهم منها ما يلائمه، وهذا الفرق بين المحجوب بنفسه، وبين المُنوَّر بنور أُنسه.

وإن أرض الشام لما كانت موطنًا للجفاء والغلظة - كما جاء في الخبر - أقام الله بها أبدال الرسل - عليهم الصلاة والسلام - من خاصة أوليائه، ليمحو الله بها قتام النفوس المتولد من ذين الوصفين المذكورين.

ولذلك فالولي هناك أتعب من غيره في غير تلك الأرض، فإن الغلظة من دواعي الانفضاض لا من دواعي الاجتماع على الله تعالى، قال ربي سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]؛ ولهذا ترى أن أهل الجفاء والغلظة تخطفهم دعاة الباطل، بسرعة إلى أية خطة أرادها، فإن جفوتهم تميل إلى ما يلائمها من شهوة بصر، أو خطاب، أو سماع، أو عمل. وغلظتهم تربو بماء الباطل فتأخذ حظها من دعوة الباطل ومادته، فدعوته إلى كل سهل على النفس طيب لها موافق الهوى مخالف للحق - اللهم غفرًا - فلولا أن أهل الحق بين أهل الباطل كالملح في الطعام لفسد أمرهم ولنُسِفَت

القاع بأهلها. ألا ترى أن أهل الحق على وجه الأرض هم قليلون بالنسبة إلى أهل الباطل، وبهم يدفع الله عن أهل الأرض البلاء: «ولا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله»[1] وقليل ما هم، أولئك أهل الله الذين لا يعرفون إلا الله.

[مبشرة بأن الشام سيكثر بها أهل الله ﷺ]

وستنبت الشام لنا منهم أمة إن شاء الله يدفع الله بهم حججه ويؤيد بهم كلماته[2].

[موجة من موجات الأمر جرت على لسان التصريف تتضمن:

نصائح بحسن صحبة أهل الله ﷺ]

قف عند حدك يا مبطل، يا خوّاض، يا محرِّف كلمات الله، يا من يريد إيهام الخواطر الفارغة بما لم يكن، لا تخض بنا فيما يلائم طبعك.

أتزعم أنك تنال منا بغيتك! تريد أن تطفئ نور الله بفمك! تندلع بكلك لسانك قوله الزور والبهتان، وكلماته الظلم والعدوان، تزبد بموج كذبك لتجعلنا رجال هذه الدنيا الجائفة الفانية!

نحن أئمة القلوب، نحن سُرُج الخواطر، نحن شموس الأسرار، نحن الدّالون على الله، المؤيِّدون لدين الله، الحارسون لشريعة رسول الله ﷺ، نحن أثبتتنا يد الله في ملك الله للهداية والإرشاد، لا للغواية والإفساد، لتحكم أنوار الفراسة المحمدية في المسلمين، لا لتوطيد زفرة الأمر والنهي الشابة من النفس في المخلوقين، نحن بعنا الدنيا والآخرة بيع

---

(١) ذكره المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٣٧٥).

(٢) حديث أنس: أخرجه أحمد (٣/ ٢٥٩، رقم ١٣٧٥٥)، ومسلم (١/ ١٣١، رقم ١٤٨)، وعبد ابن حميد (ص ٤١٤، رقم ١٤١٢)، والترمذى (٤/ ٤٩٢، رقم ٢٢٠٧) وقال: حسن. وأبو يعلى (٦/ ٢٣٤، رقم ٣٥٢٦)، وابن حبان (١٥/ ٢٦٣، رقم ٦٨٤٩)، والحاكم (٤/ ٥٤٠، رقم ٨٥١٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأبو عوانة (١/ ٩٤، رقم ٢٩٤). وحديث ابن مسعود: أخرجه الحاكم (٤/ ٥٣٩، رقم ٨٥١١) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

مودع ورجعنا إلى الله:﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، نحن آل أبي تراب[1]، وفلذ كبد ذلك الجناب المهاب، هو طلق الدنيا ثلاثًا.

أي جاحد تدبَّر، هي مُطلَّقة أبينا؛ فلا نواليها ولا توالينا.

صحح قلبك، واذكر ربك، وتعلق بأذيالنا؛ لتتعلم علم الدين، علم اليقين، علم الأدب الكامل، علم العرفان الشامل، نحن أعرف بالدنيا منك، وأعرف منها بك، فاهجرها بعزيمة قلبك، وإن طلبتها فاطلبها لا لصندوقك وكنزك، ولا لإشارتك ورمزك، اطلبها لإعزاز كلمة الله، ولتأييد دين الله، ولدوام نور أمر الله في ملك الله.

شيِّد شأن إخوانك المسلمين، أيِّد مجد الموحدين، اندرج بعباد الله الصالحين، تباعد عن المضلين: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف:٥٢].

نحن حجج الله عليك وعلى أمثالك، سُبَّارُ أسرارك التي تجري ببالك، سترى إن ترجع إلى ربك وتصلح شأن قلبك، من زلازل أطوارنا رجة تأخذ بك إلى أسفل سافلين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

هذه موجة من موجات الأمر، وردت من حضرة البلاغ، وجرت على لسان التصريف، وطارت في ملك الله ببطاقة العناية السارية، والإفاضة الجارية، تلك آيات الله﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:٣٤]، والكل يئول إلى الله ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٣].

---

(١) هذا من كُنى سيدنا علي ﷺ وكرم الله تعالى وجهه، وهي إشارة لكمال عبادته وعبوديته وعبودته، إذ التراب هو محل جبهة الإنسان في الوقت الذي يكون أقرب لربه حال السجود، وللقوم ﷺ على معناها أقوال.

[دخول المصنف ﷺ حمص، وزيارته سيدنا خالد بن الوليد ﷺ واستمداده من روحانية سيدنا خالد ﷺ]

وعلى بركة الله تعالى رحتُ أُزَجُ بنور الفتوح والإعانة الربانية، ولي في كل قدم شأن وحال ومقام، أبقيت كشف شئونها لله تعالت قدرته، ومنها بعض أسرار رُقِمَت في صحائف الغيب ستبرز في عالم الظهور إن شاء الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الرعد:٣١].

دخلت حمص وزرت فيها الهزبر المغوار، سيف الله سيدنا خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، ومنه نلت بركة القبول، ولي معه محاضرات روحانية انكشف لي فيها رداء البرزخ عن طالعه الأسعد، ومظهره الأوحد، وزفَّتني أياديه بخلعة السعادة، وبشَّرني بأن نور إرشادي سيلمع في جميع بلاد الله تعالى، وإن ذلك من محض نور الله المفاض لرسوله ﷺ.

[مطلب في وصوله ﷺ حماة، ووصفه لبعض أهلها الأحياء والأموات]

وخرجت من حمص، ولم أزل حتى دخلت حماة بلدة من قواعد بلاد الشام، فيها أناس من الأحمديين ذوي جلدتنا ورجال عصابتنا وعصبتنا، وفيها من ذوي رحمنا القادريين وغيرهم، ما بين حسني، وحسيني، وبكري، وعمري، وشيباني، ومن عصائب عديدة، وغلبة التجلي فيها لروح سيدنا نبي الله (حمويتاء) على نبينا العظيم وعليه السلام والتحية.

وفيها من الأحمدية قبر السيد محيي الدين الحريري الرفاعي، والسيد عثمان الحوراني، والسيد محمد الغزالي السبسبي، والسيد محمد الحاضري، وخلائق من ذوائبهم، وفيها قبر الشيخ الزاهد علوان بن عطية الحداد الحموي ثم الهيتي، وفيها جماعة من بيته شملتهم

بركته ولكن انحطوا عن سيرته، وقعدوا عن إحياء سنته.

وفيها من القادرية أناس أشهر معروفيهم المدفونين بها الشيخ الموله عفيف الدين حسين، وأظهر الأحياء من الأحمدية فيها شأنًا عمر بن الحريري، وأظهر القادرية محمد علي بن الكيلاني، وآل الرفاعي فيها أكثرهم مطويون من حيث المظهر الدنيوي، وآل الكيلاني للكثير منهم نشأة ظهور دنيوي بنسبة طراز بلدتهم.

وقد سبرتُ أحوال الجميع، فلم أجد في الفئتين من عَلَت بمنهاج السلف همَّته، وعظمت بطريقهم رتبته، أو من اتَّسع ميدانه، وعظم علمه وعرفانه، وطاب بيانه، وعذب بالذوق الروحاني لسانه، فذووا عصبتنا الأحمديون بهض هممهم طلب المعيشة، وذوو رحمنا من القادرية بهض همم بعضهم أيضًا طلب المعيشة، وبهض همم كبرائهم حجاب الدنيا، وفي الفئتين والحمد لله بركة النسب، فإن أولاد الصالحين منظورون بعين الرحمة على الغالب، كما أن أولاد الظالمين منظورون ـ والعياذ بالله ـ بعين السخط على الغالب.

[اجتماع المصنف ﷺ بروح ولي الله علوان الحموي ﷺ]

وقد كلفتني روح ولي الله علوان الحموي طاب مرقده بإرشاد بقيته الموجودة في حماة من ذريته، فسبرت غورهم وألفيت فيهم جذوة حال وهزتها، فأبطأت جدًّا، ثم سارت رويدًا، وستظهر إن الله بعد حين.

[اجتماع المصنف ﷺ في حماة بروح الإمام سيدي الرفاعي ﷺ]

وكلفتني روح سيدي السيد أحمد الرفاعي بإرشاد بيته أيضًا الموجودة هناك، فهززت هممهم، وألقيت فيهم جذوة الحال الأحمدي فأخذ يثور كما أريد، إلا أنه شِيب بغبار طوارئ أبقاها في النفوس حال بلدهم، ونسيج ما شبوا عليه في ديارهم، فسلطتُ عليهم جند الهمة لاستصفاء حالهم من ذلك الغبار، والعون بالله تعالى.

[اجتماع سيدن الرواس ﷺ في حماة بروح الإمام سيدي الجيلاني ﷺ]

وكلفتني روح القطب الكبير الجيلاني أيضًا بإرشاد بقيته الموجودة هناك، فهززت فيهم هزة الهمة، وأطفتها في صغارهم وكبارهم، فصادمها ما قام في نفوسهم من الحجاب الغالب عليهم، حتى قدح من ذلك زناد: (قيل وقال)، وعجائب أثقال، كدت أضجرُ لها، ثم كررت بالعزم والعزيمة بطالعة الهمة على شوائب نفوسهم فأودعت - بَعْد بُعْدِ أمد، وقوارع كدر ونكد - جذوة حال شريف في بعضهم، وسيبرز نوره فيهم، من شارقة مددي، وقابسة يدي، والتوفيق بيد الله تعالى.

[الصوفي الحقيقي طالب الحق: هو شديد التمسك بالكتاب والسنة علما وعملاً، لا من يعتمد على الفضائل]

أجمع أهل الله على أن أقل الناس حظًا من ثمرة الطريق أولاد المشايخ لانحجابهم بآبائهم وأجدادهم، سبحان الله! النبي ﷺ يقول: «**نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث**»(١)، وهذا الإرث يشمل المال والحال، ولا يعرض خبر: «**الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنبِيَاءِ**»(٢) على ما فيه، فإن العلماء لما عملوا بعلم الأنبياء ورَّثهم الله بركة علمهم، فالمورِّث هو الله تعالى لا الأنبياء؛ فافهم يا بني واعمل ولا تعتمد على أبيك وجدك، وقف مع الشرع عند حدك، واتبع منهاج آبائك الصالحين، بالتمسك بسنة سيد المرسلين - عليه صلوات الملك المعين - وهنالك تنفعك بركتهم، وتعمك نفحتهم، وإلا فمن انحرف عن منهاج السلف، يقال فيه: «بئس الخلف»، ويخشى عليه القطيعة والعياذ بالله.

والواجب على أخلاف الصالحين - رضي الله تعالى عنهم- شدة التمسك بأخلاقهم وتواضعهم وحلمهم واكتساب علمهم، والثبات على قدمهم، وتصفية السر بآدابهم وشيمهم، ليكون لهم من مشارق حالهم نور، ومن حانة مددهم شراب طهور، فالقوم أهل الله مع الحق حيث دار يدورون، وعند كلمة الحق يقفون، والصراط المستقيم ينهجون، وبغير دين الحق لا يدينون، وأبناؤهم فهم المقتدون بهم، المهتدون بهديهم، القائلون بأقوالهم، العاملون بأعمالهم، المتحلون بأحوالهم، وإن بعد بأولئك الأبناء النسب عنهم، فقد يقر بهم صدق الاتباع منهم، ورحم الله القائل:

تَمَسَّكْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَاتَّبِعْ الْهُدَى   وَلَا تَنْقَطِعْ بِالاعْتِمَادِ عَلَى النَّسَبْ

فَقَدْ وَصَلَ الإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ   وَقَدْ قَطَعَ الكُفْرُ النَّسِيْبَ أَبَا لَهَبْ

---

(١) ذكره السيوطي في «اللآلي المصنوعة» (٢/ ٣٦٧).

(٢) رواه والترمذي (١٠/ ٢٠٤)، والبيهقي (٤/ ٢١٨).

وخُذ سر كل ذلك من قول النبي ﷺ: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[١]، وفي الآثار: «دليل أصل المرء فعله»؛ فأوصل بعملك حبلك، وصحح بصحيح اتباعك لسلفك أصلك، ولا تكن من البطالين الذين دفعهم العظام، عن أخلاق أولئك الكرام، فإن الأدب الديني يقضي بالاتباع، وزفرة النفس المتحصلة من الشيطان تدفع للابتداع؛ وأزمة العناية، والتوفيق والهداية، بيد الله تعالى.

ويا للعجب! من طارقة حالنا التي تفاض في الأحمدية والقادرية سكَّان (حماة)، فإن الأحمدية ينبتون في نشء أخير من الطراز الأحمدي إنباتًا جديدًا، إذ كأنهم ما رأوا بوارق تلك الحضرة، ولا رفعتهم من حضيضهم قبل نظرتنا تلك النظرة، نعم لهم حال كمين، من أسد ذلك العرين.

وها نحن قد وشَّحنا ذلك الحال بعرفانه، وطرزنا ذلك المضمون برقيق بيانه، وسيبدو فيمن لله فيه عناية، فإن الفضائل تبدو على منوال القوابل، وأرى أن بيت ابن الحريري أقربهم لقبول هذه الإفاضة المواجة، وأكثرهم إثارة بطارقة هذه الثورة العجاجة، وقد يدور هذا الدور، وينجلي هذا الطور، فيؤسس أسلوبًا، ويصلح بعناية الله قلوبًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإن القادرية تمد فيهم مِنّا سدوة لتجدد لحمة، وكأني بخيوط تلك السدوة المربوطة، ولحمتها المنوطة، ينسجها حائك بِرِّنَا، وناسج سرنا، ويقوم بشق زيقها بعض ذوي الشُّقة فيا لشق عصي عصابة قدم التحام رحمها، وجد انتظام رقمها، فيكثر اللغط، ويبنى الغلط على الغلط، فبئس نفس هدمت المعروف وأتت بالمنكر، وزفرت عاجزة بقصبة النفس، وزعمت أن تطمس من طراز طالعتنا ما الله أظهر.

وأرى هناك مسامرة الأرواح الطاهرة، وتَداوُل أسرارها تقوم لها شئونات محاضرة، فتنجدل السدوة باللُّحمة جدلة ثانية، وتنسج شقة الاتصال الرحمي نسجة، هي إن شاء الله

---

(١) رواه مسلم (١٧/ ٣١٠)، وأحمد (١٦/ ١٦٥).

في كفكفة السعادة الأبدية والمودة السرمدية باقية سارية، وعند تناول الخيوط بيد السر المنوط، تحك قلوب فتظهر زيفها، وتعلن جيفها، ويوقفها الشأن الإلهي بحكم صائلته ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤].

[البشارة والإشادة بالسيد محمد أبو الهدى - ﵃ أجمعين - وبيان أسماء الكتب التي خاطبه المصنف ﵁ فيها بالمعارف، وما رسمه له من القواعد]

ويبدو نور الأنس بعد الوحشة، وينفجر ماء اللطف بعد الدهشة، ويعز الله بنا من اختاره لنا، كل ذلك وصاحبي الذي أضمرت له هذه الرقائق، وخصصته بالخطاب في ديباجة [**«البوارق»**] وهمست له سر الحال بـ [**«فصل الخطاب»**]، ونشرت له من [**«طي السجل»**] رقيقة ذلك التبر المذاب، ورفعت له [**«أعلام الوثائق»**][1].

ووضعت له هذه العلوم بمنثورٍ مَوَّاج ومنظومٍ رائق، وهو محراب هذه الإشارات، ومنبر هذه البشارات، وهو النكتة الطلسمية، في مضامينها ومعانيها، والشرافة القائمة في مناط مبانيها.

وسيجلو الله به إن شاء الله قتام قلوب قست، ويبرز بشوارق إخلاصه آثار مطالع انطمست، وها هو اليوم قد تدرج إلى السنة الثالثة من بروزه، وانشقَّت عن فلذة كنزه أرصاد كنوزه، يال بدويِّ الطرز، محمدي الكنز، مهدوي الإنابة، أحمدي العصابة، خزامي الفصيلة، خالدي الخؤولة والقبيلة، أبلج الجبين والجبهة والطالع، علوي المحاضرة في المهامه والمعامع، غالب المظهر في شئونه، مؤيد الشأن في مشوده ومكنونه، طُوِيت أسرار سيرته في «سورة إبراهيم»، وبدت عليه آثار نور صاحب الخُلُق العظيم.

سَيُعلِي طامسة هذا البيت حتى تبرز في قبة المجد بانجلاء رفيع، ويرفع علم هذا الشرف حتى يستجلي منار ظهوره من برجه المنيع، ويجدد نوبة الإمام أبي العلمين، ويكشف رداء الغين عن العين، ويحيي موات آل أحمد بعد الاندراس، ويُشيِّد حصون

---

(١) ما بين المعكوفات هي ثلاثة كتب للمصنف ﵁ الوثيقة الكبرى والوسطى والصغرى.

مجدهم على منوال ذلك الأساس، ويُنَازِع ويُنَازَع، ويُصَارِع ويُصَارَع، وتختلف فيه مفادات الألسن وحاصلات الأفكار، وتصادمه حواضر خواطر أمة من ذي غرور غرَّار، ورب سَفهٍ كَفَّار، وصاحب حقدٍ محتار، وفي الكل لا يمسه منهم ضرر، ولا يدهم ذيله من عوائق زورهم بؤس ولا خطر، مصون بمدد الله، محفوظ بعناية الله، مؤيد بكلمات الله.

أحبابه الصالحون، وخلّانه الموفقون، ومُوالوه المقبولون، ومُعادوه المردودون، وناصروه المنصورون، وخاذلوه المخذولون.

وطالعه المأمون، وشأنه المضمون، مكتنف بأنوار الذكر في الحركة والسكون، تتنزل عليه سكينة من قلب الغيب وكذلك المختارون المحبوبون، ويقول له واهب المدد: «نم قرير العين فإنك في سرادق الذكر محفوظ ومصون: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

يقوم ولا شبق لقلبه في هذه الدنيا ولا عبق، ولا نوم له عليها ولا أرق، ويَكذب عليه الحاسدون، ويَجهد بطمسه الجاحدون، ويقول منادي الأزل ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

[وافد غيبي في وجوب التمسك بالكتاب والسنة

واتباع السلف الصالح

من الآل والصحب والتابعين ﷺ أجمعين]

وفد وافد الغيب هابطًا من سرادق العلم، يتنزل بروح القدس إلى كل قلب فتحت يد العناية قفله، وربطت بحبل المدد الرباني حبله، يقول ناطق ذلك الوافد الكريم، والوارد العظيم:

حبل الله في الأرض كتابه، ونور الله نبيه، وسر النور مضمر في الحبل، وسر الحل مضمر في النور، فإن خلق النبي ﷺ القرآن، والقرآن نور، يهدي الله به من يشاء.

وسنة النبي الأعظم ﷺ حبل النجاة، من اعتصم بها نجا، وقد وافق اسمه عليه الصلاة والسلام اسم القرآن، فلا يصح الاعتصام بحبل سُنَّته المحمدية إلا بموافقة القرآن، ولا يصح الاعتصام بالقرآن إلا بموافقة سنته عليه الصلاة والسلام.

فالقرآن برهان الله الدائم، والنبي عليه الصلاة والسلام سيف القرآن المؤيد لبرهانه، والناصر ببيانه لأحكام تبيانه، فهما توأمان في أمر الهداية إلى الله تعالى.

[كل من يسلك منهجًا غير الكتاب والسنة الغراء فهو ممكور به وجميع آداب الصحابة والأهل الكرام مأخوذة من هذين الأصلين العظيمين]

وكل من يزعم كشف حجب القلب عن القلب بغير الكتاب والسنة فهو ممكور، ولا بدع؛ فان آداب الصديقين من الصحابة والأهل والقرابة كلها مأخوذة من هذين الأصلين العظيمين، والبحرين الخطيرين، فالنجاة في طريق الله بالتمسك كل التمسك بهما، وهما الجناحان لكل ذي همة تطير إلى الله، فمن أخذ بالقرآن، واعتصم بسنة سيد ولد عدنان، فقد وصل إلى الله بلا ريب.

[السلف الصالح الذين هم أعلم منه بأسرار كتاب الله تعالى وبحقائق سنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله]

ولا عبرة بزعم من يأخذ بهما معتمدًا على رأيه مفارقًا سيرة السلف الصالح الذين هم أعلم منه بأسرار كتاب الله تعالى، وبحقائق سنة نبيه ﷺ ومن ﴿يَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، والسلف الصالح أفرغ فيهم نبي الله عليه صلوات الله خلاله، وطبع بألواح أسرارهم خصاله، فتحققوا بحاله، وتطيلسوا برداء كماله، فألحقهم بخاصة رجاله، الناسجين على منواله صلى الله تعالى عليه وعلى آله.

[العمل بالسنة السنية هو السبب الأعظم لهبوط العلم اللدني؛ لأنها هي المفسرة لكتاب الله تعالى والمترجمة لأسراره]

وقد رأى العارفون في أقطار ملك الله أن العمل بالسنة هو السبب الأعظم لهبوط العلم اللدني إلى قلوبهم، وبه يعلمون أسرار الكتاب العزيز، فكأن السنة السنية بمنزلة المفتاح للكنز الفرقاني، بها يلهم الموفق موعظة وذكرى من حكم النص، ولا يصح له الأخذ بما يعظه به قلبه أو يذكره به إلا إذا عرض ذلك على السنة، إذ هي المفسرة لكتاب الله

تعالى والمترجمة لأسراره، ومنها جرت ينابيع الحكمة إلى قلوب أهل الصفاء الذين علمهم نبيهم ﷺ حكم الإخلاص، وحلاهم بحلية الإقبال على الله تعالى، وأصلتهم بيد قدرته لإعلاء كلمة الله سيوفًا مهندة قاضية بما قضى الله، مريدة لما أراده، حججًا على عباده، وما هم إلا العلماء به، العاملون بسنة نبيه ﷺ.

[صفات العلماء العارفين العاملين بالكتاب والسنة المطهرة]

عظمت مراتبهم، وعلت مناصبهم، وطافت في ملك الله وملكوته عزائمهم، وقام على منصة النيابة الجامعة قائمهم، ولا تزال تلك الطائفة على الحق حتى يأتي أمر الله، يندلس بهم الدخيل وليس منهم، فيروي عن نفسه الملوَّثة ويزعم أنه يروي عنهم، نزَّه الله مقامهم، وقدَّسَ بتأييده إلهامهم.

هم قوم أقوالهم وأفعالهم كلها موافقة للكتاب والسنة، لا يدخلون أحدًا في البين، ولا يحجبون بنقطة الغين باصرةَ العين، علمهم فرقاني، ومددهم محمدي، وحالهم نبوي، يدورون حول محور الشرع الشريف ولا يفارقونه قيد شعرة، طابت بمسك الشرع شيمهم، وعلت بنهضته هممهم، ألجمهم أدبه عن كل كلمة زائدة، وردهم زاجره عن كل عقيدة فاسدة، فعقيدتهم به طاهرة، وكلمتهم صادقة، وهمتهم عالية، وقلوبهم من غير نور الحق خالية، رقَّت طباعهم حتى شاكلت النسيم، ونشرت من نفحاتها العنبرية آدابًا هي أطيب من نشر الروض البسيم، أولئك أهل الله ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ورجال الله فبمواعظهم انتبه، وخذ منهاجهم معراجًا، وطريقهم في مسيرك سراجًا وهاجًا، وطب بشرابهم، وصِرْ من أحبابهم، ولا تبرح عن بابهم.

[شارقة أبرزتها بارقة، وتحفة قامت بها نفحة]

وإليك أقول: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١):

---

(١)حديث تميم الدارى: رواه أحمد (٤/ ١٠٢، رقم ١٦٩٨٢)، ومسلم (١/ ٧٤، رقم ٥٥)، وأبو داود (٤/ ٢٨٦، رقم ٤٩٤٤)، والنسائى (٧/ ١٥٦، رقم ٤١٩٧)، وأبو عوانة (١/ ٤٤، رقم ١٠١)، وابن خزيمة فى «السياسة» كما فى إتحاف المهرة (٣/ ٨، رقم ٢٤٥٦)، وابن حبان (١٠/ ٤٣٥، رقم ٤٥٧٤)، والبغوى فى الجعديات (١/ ٣٩٢، رقم ٢٦٨١) وابن قانع (١/ ١٠٩)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤/ ٣٢٣، رقم ٥٢٦٥)، وأبو نعيم فى المعرفة (١/ ٤٤٩، رقم ١٢٩١)، والطبراني (٢/ ٥٤، رقم ١٢٦٧)، وابن عساكر (١١/ ٥٤).

وحديث أبي هريرة: أخرجه الترمذي (٤/ ٣٢٤ رقم ١٩٢٦) وقال: حسن صحيح . والنسائي (٧/ ١٥٧ رقم ٤١٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٩٧، رقم ٧٩٤١)، والطبراني فى الأوسط (٤/ ١٢٢، رقم ٣٧٦٩)، والدارقطنى فى الأفراد كما أطرافه لابن طاهر (٥/ ٣٤٦، رقم ٥٦٩٩).

وقال سيدي أبي الهدى الصيادي: وقد أوضحت معنى هذا الحديث الشريف في رسالتي: «داع الرشاد»، حسبما قرره أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين، فقلت: النصح لله تعالى هو الإقرار والتصديق بوحدانيته، وكماله، وقدرته، وتنـزيهه عن كل نقصٍ، مع الخضوع له، والرِّضا منه في كل حالٍ، والائتمار بما أُمر به، والانتهاء عمَّا نُهي عنه، والنصيحة لكتابه تعالى حفظه من التحريف والتأويل الباطل. وتعظيم أحكامه الشريفة بالتأويلات الصحيحة، وقراءته وتلاوته بالأدب والتجويد، ورعاية معانيه وتعليمها لذي القدرة من عباد الله. والنصح لرسوله ﷺ، والتصديق بكافة الأحكام التي جاء بها ﷺ، مع حسن التخلق بأخلاقه الجميلة الشريفة، والعمل بطريقته وشريعته. والترغيب بالوسائل الممدوحة؛ للتأدب بآدابه ﷺ،، والنصح لأئمة المسلمين يعني من حاز الإمامة الكبرى والخلافة العظمى، هو أنه إذا غفل الأمير حسب البشرية عن قضيةٍ لازمةٍ في ملكه لإصلاح أمر الرعية وتشييد الأركان الدينية يعرض له الناصح حقيقة الحال بحسن التعبير بلا غرضٍ ولا آمالٍ، وأن يجمع له القلوب النافرة عنه، ويجلبها بالأساليب الممدوحة لمحبته، ويدفع عنه حركة الفساد، ويقطع بحسن نصيحته عنه ألسنة أهل البغي والعناد، ويشتغل بصالحه وقضاء مصالحه على مقتضى إمكانه. والنصح للمسلمين هو الشفقة عليهم والتعظيم لكبيرهم، والمرحمة لصغيرهم، والفرح لفرحهم، والحزن لحزنهم. وهذا هو المقصود من قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٧١]. وقد حذَّر ﷺ خليفته

اقتد بي؛ فأنا اليوم أحيد عصائبهم، وسيد ركائبهم، وكلمتهم الفريدة، ومادتهم السعيدة، بل أنا البارقة الطالعة في سماوات شئونهم، والنقطة المضيئة في بآبئ عيونهم، والنغمة المنطقة على لسانهم، والنكتة الصادرة عن تبيانهم، والرفرف القائم في سدرة عرفانهم، والسطر المنصوص بديباجة عنوانهم، وتلك هبة الكريم القديم، البر الرحيم ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٥]، هي هذه شارقة، أبرزتها بارقة، وتحفة قامت بها نفحة، والله المستعان.

=

الشيخ عبد السميع قُدِّس سرُّه من إيداع الحكمة غير أهلها؛ لأن الحكمة إذا استودعت عند غير أهلها الذين لا يعرفون قدرها، ولا يُدركون شرف النتيجة المقصودة منها يهملونها، فتضيع وتبقى في زوايا الكتمان محجوبة عن أهلها فتُظلم. [قلائد الزبرجد على حكم مولانا الغوث الرفاعي أحمد ص ٤١].

[مطلب في وصوله ﷺ قرية «متكين»[١]

وزيارته لجده السيد عز الدين وآله الغر الميامين ﷺ أجمعين]

(١) قال سيدنا الرواس: متكين هي قرية خربة فيها قبر سلطان العارفين بهجة الأقطاب المتمكنين صيّاد أفئدة السالكين قائدهم إلى حضرة القرب مولانا الأمين مولاناً الغوث السيد الكبير الصياد «أحمد عز الدين» رضي الله عنه وأرضاه، وبلَّغه النظر إلى وجهه الكريم كما يحبه ويرضاه، فوصلت ذلك الرحب الأنور والمقام الأزهر، ودخلت من باب تلك الدائرة الباهرة، والساحة الزاهرة، فاختبط ذلك المقام الجليل بمعامع الجلال، واختلط بمطارقاتها لوامع الجمال، ولمعت بوارق روح كانت كالسيف انسلّ من غمده، لا كالميت في لحده، فكدت لدهشة الجلال أن أسقط على الأرض، وكدت لما تبعها من بهجة الجمال أن أتيه بشطحي وزهوي عن أداء الفرض، ورنَّت نوبة البشارة، ودنت رموزات الإشارة، وقام من غابة ذلك الليث الفتاك وفد البركة مستقبلاً، فما عرفت أنا الموفود عليه، أم المستقبل إليه، وجذبني جاذب الأبوة من أطواق أفنان البنوة، وسمعت من من كل أطراف تلك الحضرة السهلة صوت - أهلاً وسهلاً فطرت لهذا عجلاً، وقد كنت أتخطى للهيبة مهلاً، وزجني نور القبول عند الوصول فزجيت به ووقفت بباب الحضرة وقوف الحاذق المنتبه، فارتفع السر الحجابي عن صندوق انكشف عن سيدين كعروسين على منصتين، أو ملكين على سريرين ما أشبههما في وجه ذلك الرحب بالمقلتين الكحيلتين! أو الدرتين المتوقدتين إذا رأيت شيخين عظيمين، أو غوثين جامعين، بل سيدين شريفين حسيبين نسيبين، أو قمرين في برجين أو سيفين أصلتا من غمدين، و علمين على العلمين، قرت بجمالهما العين، وزال البين من البين،ووقف العبد الواحد أمام الاثنين السيدين، ونشط عقال همه حضرة القلب حالة حلوله بالحضرتين، فأخذت في ذلك الموقف استكشف غطاء السرين عن شمائل الأمامين، فرأيتهما مثل ما نقل عنهما صحت الرواية وهي هي، وثبت الخبر وهو هو، ومرقد السيد «الصياد» هو المرقد الشرقي، ومرقد ولده السيد «صدر الدين علي» المرقد الغربي، زيتونة لا شرقية ولا غربية، بتولية فاطمية، سبطية محمدية، عابدية باقرية، جعفرية كاظمية، مرتضوية أحمدية، صديقية أنصارية، أخذت شرقاً وغرباً، وفعلت سلباً ووهباً، وطالت ولها أن تطاول في العرض والطول، واسترسلت وشأنها الاسترسال وشأنها فجدها الرسول، وتحدرت من الفلك الأطلس وهاتيك القباب، فأبرزت سابحة شعشاعية فوق هذا التراب، مدها حال أبي تراب، وضربت بخلخالها بساق المجد، فتصدرت في طرفي تهامة ونجد، واستقلت همة الطالعين في المطلعين بكبكبة سلطان سانحة الإمام أبي العلمين دوحة فنون الفتوة المغلغة بأفنان المروة وصحائف أسرار الكتاب المتلوة، بغرف مدارس النبوة، وسبحان الله! حنا عليّ السيد الكبير الصياد حنو فاقد علي فقيد، ووالد على وليد، وكدت لما شارفني به من نظر الحنان أن انطبع بعينه الكريمة، وأن تتحد ذاتي، لما جاذبني به من شفاف الرأفة، بذاته العظيمة. [البوارق ص ٣١].

دخلت بعد بريهة يسيرة (متكين) وهي قرية خربة من أعمال حماة كانت تحسب في أعمال المعرة، فيها مرقد سيدي الجد الأمجد القطب الكبير السيد عز الدين أحمد الصياد فتمليت بزيارته، وأخذت القبول من يد عنايته، وأتحفني بالبشر والبشارة، ونشر لي علم الإسعاف بكشف رموز الإشارة، وانجلت لي هناك بوارق الظهور في أبراج الخفاء. ودارت عليَّ كئوس المدد مترعة من شراب الصفاء، فانبلج صبح العيان، من فلك قبة ذلك الإيوان، ولاح لي والحمد له نور الإسعاف، وبسط لي بساط الإتحاف، ودارت دمدمة معان انطبعت في القلوب، كما هبطت من سماوات الغيوب:

«بسم الله إذا رفعت القاف، وجرَّدته في نصبه عن إدغام الاختلاف، وكسرته منتصبًا هناك على أقدام الاختصاص، ومددته بواجب الإخلاص، وشكلته بشكلة الاتصال، وصنته من إقلاب الانفصال، فهمت من نون تنوينه السر المصون، والعقد المكنون، وانجلى العتم بالنور، وقرأت صحائف السرور، وكمل مشهد الإشارة، بتحقيق البشارة، ولمعت من طوالع أبراج المنح الأزلي حقائق العبارة، وبدا لك طالع الفجر من قلب الليل البهيم، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢].

[مطلب في وصوله ﷺ بلدة (خان شيخون)]

ثم سريتُ منها إلى بليدة صغيرة هناك اسمها: «خان شيخون»، فيها لنا المنار اللامع، والبدر الذي سيملأ بتلألؤ ضوئه قباب المطالع، وارث حالنا، وكنز صنوف كمالنا، ونتيجة بيتنا المعمور، وطراز علمنا المنشور، ولهذا السر المصون والمعنى الذي هو في ضمائر الحكمة الأزلية مكنون: طرقت الدار المستودع بها هذا العقد الثمين، والنوع الكمين:

دار بأعلى البليدة بابها قبلي الوجهة وفي هذا معنى؛ فدخلتها وقد وجدت رحبًا وبرًا من صاحبها، حسن بن علي بن خزام بن علي آل خزام صاحب حيش، ابن حسين برهان الدين آل خزام البصري الأصل الصيادي الرفاعي النسب، نزيل بني خالد بديار حماة، ابن عبد العلام بن عبد الله شهاب الدين الربعي الكويتي البصري الأستاذ الكبير ابن محمود الصوفي بن محمد برهان ابن حسن(١) دفين الشام ابن محمد شاه الرندي ابن محمد خزام دفين الموصل ابن نور الدين بن عبد الواحد ابن محمود الأسمر ابن عبد الرحمن شمس الدين ابن حسين العراقي ابن ابراهيم العربي ابن محمود بن عبد الرحمن بن قاسم نجم الدين ابن محمد خزام السليم ابن عبد الرزاق ابن شمس الدين محمد بن صدر الدين علي بن القطب الغوث أحمد الصياد رضي الله تعالى عنه.

سبط مولانا الغوث الأكبر الأشهر سلطان العارفين مُقَبِّل يد سيد المرسلين سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه، وابن عبد الرحيم بن عثمان بن جسن بن عسلة بن حازم بن أحمد بن علي بن حسن بن محمد المهدي ابن محمد أبي القاسم ابن الحسن بن الحسين عبد الرحمن ابن أحمد الصالح الأكبر ابن أبي محمد موسى الثاني ابن إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين علي بن مولانا الإمام الحسين شهيد كربلاء ابن الإمام الأعظم سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه، رَزَقَهُ من سيدة نساء العالمين، بضعة سيد المرسلين السيدة فاطمة

---

(١) هو الملقب بالغواص ﷺ وضريحه بحي الميدان مشهور يُزار ويتبرك به.

الزهراء النبوية رضي الله تعالى عنها، بنت خاتم النبيين، وحبيب رب العالمين، سيدنا وسندنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، وفي الدار المنوَّه بذكرها لنا شئون، وسر مكنون، وهنا أقول مشيرًا لتلك الشئون، والأسرار التي تجيء من العنايات بفنون:

وَدارٍ بِها قومٌ كِرامٌ أَلِفْتُهُمْ ... وما عَلِموا منِّي الَّذي أنا أعلَمُ

ضَميرٌ ببطْنِ الغيبِ تجْلى نِظامِها ... سيَبْرُزُ منها للبَرِيَّاتِ أَنجُمُ

وتنبَلِجُ الشَّمسُ التي ضِمنَها انْطَوَتْ ... ويظهَرُ من هذا الطِّرازِ المُكَتَّمُ

وتنفَتِحُ الأَقْفالُ عن عَقْدِ كَنْزِها ... فيزْهو بسِلْكِ المَكْرُماتِ ويُنظَمُ

وتفرَحُ أَلبابٌ وتُبْهَجُ أعيُنٌ ... وتُبْهَتُ حُسَّادٌ وتُخْرَسُ لُوَّمُ

ويبْرُزُ للميدانِ كلُّ مُلَثَّمِ ... بسِبْقٍ ويُلْوَى بالعَجاجِ مُهَيَّمُ

ويُنْشَرُ مطويٌّ ويَنبُلُ خامِلٌ ... ويسكَرُ ذو جُحْدٍ ويطرَبُ مُغْرَمُ

ونُجْلى إذًا في فُسحَةِ الرَّمسِ نَجْتَلي الـ ... ـمَعاني سُكوتًا والهوَى يتكَلَّمُ

يُتَرْجِمُ عنَّا قائلُ الغيبِ سِرَّنا ... وينشُرُ ما نَطْوي ونِعمَ المُتَرْجِمُ

فيصْمُتُ منَّا ناطِقُ الجنسِ ظاهِرًا ... وباطِنُهُ في دَوْحِهِ يترَنَّمُ

يقومُ لنا من هذه الدَّارِ رَوْنَقٌ ... له من شُئونِ الله في الكَوْنِ طِلْسَمُ

يُرَقْرِقُ عنَّا الرَّاحَ من حانَةِ الهُدَى ... وكأسُ التَّجلِّي بالإشاراتِ مُفْعَمُ

ويسجُرُ بحرًا من فُنونِ عُلومِنا ... ويا نِعمَ بحرٌ بالمَعاني مُطَمْطَمُ

فسِرٌّ رَقيقٌ ناطَهُ الحُكمُ بالخَفا ... لَطيفٌ بسِتْرِ الغيبِ في العِلْمِ مُبْهَمُ

وشأنٌ أرادَ اللهُ إعلاءَ شأنِهِ ... لهُ الأمرُ جلَّ اللهُ يَقضي ويحكُمُ

كــأنّي بــذي الــدّارِ المُنـيرَةِ أخرَجَـتْ رِجـالاً تُـراعُ الأُسْـدُ في الغـابِ مـنهُمُ

كــأنّي بهــا تَخلــو وتمــلأُ قُبَّــةَ الــ ـوُجودِ هُدًى والسَّطْرُ في اللَّـوْحِ يُـرْقَمُ

كــأنّي وفي الــشَّهْباءِ منهــا بقيَّــةٌ لمـن مَـسَّهُ التَّوفيـقُ بالـسِّرِّ تُرْسَـمُ

كــأنّي ومــن تلــكَ البقيَّــةِ واحِــدٌ بأَوَّلِهــا للقــومِ في الــشَّأْوِ سُــلَّمُ

كــأنّي بــه والعــارِفونَ عَــصائِبٌ بألْفاظِــهِ كــأسَ القَبــولِ تُزَمْــزِمُ

كــأنّي وفي حِــيشَ المَقــامُ مُوَشَّــحٌ بحــالٍ إلهــيٍّ مــن الغَيْــبِ يُـسْجَمُ

كــأنّي وفي الــرُّومِ الرَقــائِقُ تُجْــتَلى لألبــابِ أقــوامٍ قَــسَتْ فتُقَــوَّمُ

فيــالَ الوَحــا يــا غــارَةَ اللهِ نفحَــةً بــإسْراجِ أَسرارٍ مــن الطَّمْــسِ تُظْلِـمُ

ليَعْلــو طَريــقَ القَــوْمِ بعــدَ انْحِطاطِــهِ ويــبلُجُ مــن نَهْــجِ الرِّجــالِ المُعَــتَّمُ

ويــا همَّــةَ المُخْتــارِ غَوْثًــا فــإنَّني شَـذا القُـرْبِ مـن هـذا الحِمى أتَنَسَّمُ

تُراقِبُــهُ منِّــي الــسَّريرَةُ علَّهــا تــرَى الوَعْــدَ فِعْــلاً والمُحِـبُّ مُتَـيَّمُ

بدَتْ طاعَـةُ الإقْبـالِ والعونُ قـد أتَـى وجــادَ كِــرامُ الحَــيِّ واللهُ أَكــرَمُ

ووافَى المُرَجَّـى بعـدَ بعـدٍ وأرْعَـدَتْ سَــحابُ الأَمــاني فــالرَّبيعُ مُنَمْــنَمُ

وهــا هــي جُنْــدُ اللهِ ثــارَتْ بجَذْبَــةٍ رِفاعِيَّــةٍ أنــفَ المُــوارِبِ تُــرْغِمُ

فقــلْ حيثُها الحُـسَّادُ يبـدو دُخـانُهُمْ هجَمْــتُمْ وحــزبُ اللهِ أَقــدَرُ مــنكُمُ

وصِــحْتُمْ لــدُنْياكُمْ ونحــنُ قُلوبُنــا تَحَــتْ غــيرَ حُــبِّ اللهِ واللهُ يعلَــمُ

أخــذْنا عــنِ الغـوثِ الرِّفـاعِيِّ حالَنـا وذي روحُــهُ في الــسِّرِّ منَّــا تُدَمْــدِمُ

وغايَتُنــا ذِكــرٌ صَــميمٌ وسُــنَّةٌ كــما أرشَــدَ الهــادي النَّبِـيُّ المُكَــرَّمُ

فنُـنهِضُ أسْرارًا إلى الله بالهُـدى ... ونـوقِظُ مـن هُـمْ عنـهُ بـالوَهْمِ نُـوَّمُ

ونـذكُرُ طَـهَ بـالوُلوهِ وإنَّنـا ... عَلَيْـهِ نُـصلِّي دائِـمًا ونُـسَلِّمُ

فلله من أبٍ عظم قلبه، وأقبل عليه بالقبول حِبُّه، وأيده بمحض المدد ربه، ورفعت أعلامه، وعظم مقامه، ولله من طلسم سَيَفُكُّ أغلاقه إبَّانه، ويحل أرصاده أزمانه، أحكم الله حكمه المبارك المأمون في هذا الصبي الذي درج يشب إلى الأربع من أعوام بروزه، من ضمائر كنوزه.

[مطلب في مبشرة نبوية بوارث المصنف ﷺ، واسمه وكنيته، وهو حمل في بطن أمه؛ فرضي الله عنه وعن أمه وأبيه، وعن شيخه ومحبيه]

وقد بُشِّرتُ من حبيبي ﷺ به وأنا في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وهو حمل في بطن أمه، وأمرني بتكنيته؛ فلما صدرت الإشارة كنّيته، فنوديت: «أنت بي كنَّيته، وأنا بي سميته»، وهو علم لا يطوى، ووجه لا يخزى، وعز لا يميل، وبيت لا يهدم، وسحاب خير لا ينقطع إن شاء الله، فألهمت تاليًا - بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:١-٣]، أغرف من ذلك البحر الإلهي المطمطم، وأفيض إلى عبد الحضرة الذي أتحفناه بهذا الطراز الروحي المعلم، فجرت الإفاضة سيّالة، وفاضة العناية هطّالة، وربك يفعل ما يشاء، عمَّنا الكرم المحمدي، وأغرقنا الفضل النبوي، فخشعنا إجلالاً لعزة قدره وسطان جلاله في منصة جماله، صلى الله عليه وعلى آله:

رقْـرَقَ الكَـأسُ حَبيبـي ... وروَى منَّـا الجُمـوعْ

فمَزَجْنـا الخمـرَ لَهْفَـا ... بأفـانينِ الـدُّموعْ

وتَـداعَيْنا سُـكارَى ... والهـوَى شيءٌ عَجيـبْ

وتمَايَلْنـا حَيـارَى ... ضـمنَ أثْـوابِ الوُلـوعْ

قـد صَـبَبْنا الـدَّمعَ صَبًّا وانْطَوَيْنـا بـالأنينْ
وجَعَلْنـا الكَـوْنَ سَـلبًا هكَـذا ديـنُ الخُـشوعْ
وثَمِلْنـا عـن غَـرامٍ ومَحَقْنـا الكائِنـاتْ
وانْطَمَـسْنا بِهُيـامٍ وسُـجودٍ ورُكـوعْ
زَمْـزَمَ الحـادي علينـا بِإشـاراتِ الحَبيـبْ
والْتَـوى لُطفًـا إلينـا ففَنِينـا بالخُـضوعْ
سـكَنَ الوجـدُ كَمينًـا ولـه فينـا قَـرارْ
ومـضَى الرَّكْـبُ أَمينًـا بالَّـذي تَطْـوي الـضُّلوعْ
دمـدَمَ الرُّكْبـانُ وجـدًا بـينَ فقـدٍ وحُـضورْ
وتَـلا الخِـلاَّنَ عهـدًا نَـصُّهُ لَهْـفٌ وجـوعْ
وبأَشْـجانٍ سَرَيْنـا وبِنـا ثـارَ الغَـرامْ
ونُـشِرْنا وانْطَوَيْنـا حـينَ حرِّمْنـا الرُّجـوعْ
بـرَزَ الـسَّاقي وحَيَّـى بعـد أن طـالَ الـسَّفرْ
وشَـذا نَـشْرِ الحُمَيَّـا مـا لنـا منـه هُجـوعْ
هـذه آثـارُ حِبِّـي عَرَفَتْهـا العـارِفونْ
بـينَ إيجـابٍ وسـلْبٍ فجرُهـا زاهـي الطُّلـوعْ

واعجب لسر الله؛ فإني أودَعتُ بعناية الله في هذا الغصن المورق، والهلال المشرق، حالاً من حال المدد، ونفحة من نفحات القدس! وسينتج الله منه إن شاء الله أشجارًا مثمرة، وبدورًا مقمرة، وسيطلعه في فلك العناية شمسًا طالعة، وبارقة سرمدية بالفتوح

لامعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران:٩]:

مـا خـابَ مـن أنـا بـالطَّريقِ بنـاؤُهُ أبـداً ولم يُعْكَـسْ عليـه لِـواؤُهُ

نبـأٌ بِبُـشْرى المُـصْطَفى لِيَ وارِدٌ صـدقَ الرَّسـولُ وصُـدِّقَتْ أنبـاؤُهُ

وبعد أن أخذ المدد مستقره، واستودع مجتذبنا الغيبي سرَّ المسرَّة، سرتُ على بركة الله إلى (حيش) قرية من أعمال المعرة فيها قبر السيد علي آل خزام الذي مر ذكره، في نسب ابن عمنا المولى الكبير القلب الطاهر السر، المعان من الله بآياته وعناياته حسن آل خزام صاحب (خان شيخون)، ووالد كنز سرنا المأمون، الذي نوَّهنا بإشاراتنا بشأنه وذكرناه، وبرموزنا عنيناه، وبحالنا الإلهي أعنَّاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[وصول الشيخ حبش وزيارته للسيد علي آل خزام ﷺ]

وقد وصلتُ «حبش» وأنا مجذوب السرِّ إلى ذلك القبر أعني: قبر السيد آل خزام، عليه وعلى أسلافه وإخوانه رضوان الملك العلام، لمعنى رباني أقامه الله تعالى فيه، ولطور نوراني، كَمُنَ به وسينشره الله ويبديه، فإن بيته بيت ينبت الله فيه شجرة المجد لبيتنا الأحمدي؛ فتبرز خلقًا جديدًا، وترفع لواء من قبة الغيب يرفع منصور الحال سعيدًا، لا تخبطه خوابط الأغراض الدنيوية، وإن لاحت منه للعيان، ولا تلويه عوارض الفتن في طيه ونشره - كيف زجرت - وظهرت للعيان، شُغِلَ أهله الله عمّن سواه، فيقوم قائمهم بالحق للحق، ويتعلق بالخالق منفكًا عن الخلق، ويقول الجاحدون والحاسدون: «إنه لمفتون»؛ فيقول له وارد الانتصار الرباني: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١].

لَمْ يَطْلُبْ قَلْبُ المُحِبِّ سِوَى بِالَّذِي أَلْقَى بِهِ عِلَلَه

حُبُّه شَغَلَ المُحِبَّ أَجَل كُلُّ قَلْبٍ فِيهِ مَا شَغَلَه

عقد وارد الحب، إذا قرَّ في القلب، أخرج غيره على أنه سكر تشمل به الروح فتغيب به عن كل ما سواه، تطيب به السريرة، وتعذب فيه الصيحة:

قِيْــلَ لِي صِــحْتَ لِــسُكْرٍ قُلْــتُ إِن صِــحْتُ صَــحَوتُ

طَــابَ لِي فِي الحُــبِّ مَــوْتِي وَوجُــــودِي إِذْ محــــوتُ

ولله صياح، من فؤاد ملتاح، تخطفه للحب لواعج الوله، فيكون أنينه عليه وله:

طَــارَ بِالْقَلْــبِ الْمُهَــيَّمِ مِــن كِنِّــه لَلحِــبِّ زفــر وَلَــهْ

أَنَــا وَالأَحْبَــابُ عَــن وَلَــعٍ كُلُّنَــا نَبْكِــي عَلَيْــهِ وَلَــهْ

هكذا طراز المحبين لله، لا يعولون في الشئون إلا على الله، يحييهم إحسانه، ويميتهم هجرانه، وهم في الحالين المحبون، وبعضهم المحبوبون، يقع لهم الهجر هجر امتنان، لا هجر حرمان، وتحصل لهم الملاطفة، تحت حجب المكاشفة، فيُنْشَرُ أحدهم ويُطوى، ويموت ويحيى:

عَجَبًــا مِــتُّ غَرَامًــا بِحَبِيْبِــي وَحَيِيــتُ

هَــذِه آيَــاتُ حَــيٍّ هُــو يُحيِــي وَيُمِيْــتُ

عَودٌ حسنٌ:

انجلى لي طراز قالب السيد على آل خزام - طاب مرقده - على ما كان عليه في الدنيا، فما أشبهه خلقًا بحفيد ابنه أخينا وادي المكارم أبي البركات حسن آل خزام الصيادي الخالدي - طيب الله وقته بنعيم المدد الإلهي، وأراه الفتح السرمدي حقائق الأشياء كما هي - فعطف عليَّ، وتوجه بكله إليَّ، عرفتُ أنه كان من أهل الهيام بالله تعالى، وله بارقة روح قوية الظهور، بيت حالها معمور، وهو من رجال الصف الأول المهيمين أهل اليقين.

وانفسح لي مشهد هناك: فرأيت أن الله سيرفع له رواقًا يطوف به الزائرون، وتقر به العيون، ويرجع إليه الموفقون، ويقوم له من طراز المدينة الطيبة حال فيكون كالكير ينفي الخبث، وما تلك بقاعدة مطردة بل هي ضابط.

فمن عرجت إلى الدنيا الدنية همته، وانصرفت إليها نيته، قطعه بأس حاله عنه، وأبعده منه، وإلا فمن طابت سريرته، وأضاءت بالصدق بصيرته، يروح ويغدو وصاعه مملوء الظرف من عنايته، ويمكث بنفحة الحال الرباني تحت رايتهِ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨].

لله في حيشَ عبدٌ في حَظيرَتِهِ ... طَوْرُ الجَمالِ تَجَلَّى غيرَ مَطْموسِ

أعْطى الهُيامُ لهُ نوراً فَسَرْبَلَهُ ... بِسِرِّ حالٍ جَميلِ الطَّرْزِ مأنوسِ

وهناك؛ فكلفتني روحه بإرشاد بقيته فبشرته وذكرته، وأسررته وسررته، فطاب جنابًا، وطاب رحابًا، وقال: «أنت شيخ الزمان تتنزل عليك العلوم المحمدية، إفاضة من لدن الحضرة الربانية»، فقلت: أنت أُمِيٌّ فمن أين لك هذا التعبير؟!

فقال: هذا لسان القلب الذي كان منعقدًا بحجاب القالب.

قلت: بلغني عنك بعض كلمات من الشعر ملحونة.

قال: خذ منها المعاني فهي صحيحة.

قلت: ما ظنك ببيتك؟

قال: بشرني الخضر عليه السلام ببروز البركة فياضة منه حتى تعم الأقطار بالنفحات المحمدية الأحمدية، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قلت: والأمر كذلك في صحف الإفاضة المورَّثة لأصحاب مقام الغوثية الكبرى؛ نصَّ عليها الأئمة رجال حضرة الحضور المحمدي عليهم رضوان الله وتحياته.

فقال: وما مفتاح هذه البركات الوافدة، والعنايات الواردة، إلا يدك؛ طبت محضرًا ومغيبًا، وعظمت مؤدبًا وأديبًا وألان الله لك حديد القلوب، وفتح لك بمفتاح المدد المحمدي أغلاق أسرار الغيوب، حتى يرضى لك جدك ﷺ. انتهى.

فكدت أطير سرورًا، وطال مطال تلك المكافحة في حظيرة المحاضرة وطاب المقام، وانطوى بساط ذلك المشهد بحسن الختام، وسيرينا الله إن شاء الله من عجائب المواهب التي تُنشَر عن ذلك المحضر، ما يسر خواطر المحبين، ويقهر الحاسدين، وإن الله مع الصابرين.

وانبجس لي من حظيرة الجمال هناك نور مشهد نبوي، أخذني مني، وصرفني عن الكون وعني، ثم توارى فكدت أموت، وقام لي من وراء طارق الحال قائم حُسَّاد من المنكرين المفتونين، فقلت بلسان الولوع، وكأني أكتبُ من مداد الدموع:

عَلَّمْتَنِي الحُبَّ يَا هَذَا الحَبِيْب وَلَمْ   تَرْفق وَطَالَ مِطالِي وَالهَوى قَلَقْ

وَمت فِيْكَ غَرَامًا وَالهُيَام كَوَى   قَلْبِي وَعَيْنِي أَضْنَى طَوْقَهَا الأَرَقْ

أُسَابِقُ الوَجْدَ بِالدّمْعِ الملحِ عَلَى   خَدْي وَدَمْعِي لَه فِي سَيْرِه سَبقْ

إِنِي مِن القَوْمِ أَصْحَاب الولُوه وَهُم   كَأَنَّهُم لِلبُكَاءِ المَحْضِ قَدْ خُلِقُوا

قَدْ أَنْكَرَتْ وَجْدِيَ العُذَّالُ عَن حَسَدٍ   وَحَامِلُ المَسْكِ قَد يشذ وَبِه العَبَقْ

ثم برز بعد ذلك نور المشهد الأول؛ فوق ما كان، وعليه حلل الرأفة والحنان فقلت:

لَاحَ الحَبِيْبُ وَلَا عَجَب   كَمْ مَنَّ كَمْ فَضْلاً وَهَبْ

وَلَقَدْ تَوَارَى بِالجَلَالِ   مِن الجَمَالِ وَمَا انْحَجَبْ

وَأَعَادَ مَظْهَرَ حُسْنِه   يَجْلى عَلَى أَعْلَى الرُّتَبْ

فَحَضَرْتُ فِيه وَغَبْتُ ثُمَ   حَضَرْتُ فِي طَيِّ السَبَبْ

وَبَكَيْتُ حَتّى قَالَ حُسَّادِي   السُّكُوْتُ مِن الأَدَبْ

فَلَوَيْتُ عَنْهُم هِمَّتِي   وَرَفَعْتُ عَزْمِيَ بِالطَّلَبْ

وَخَرَقْـــتُ عَـــادَاتِي فَـــلَا ... قَــــصْدٌ لَــــدَيَّ وَلَا أَرَبْ

كَتَـــبَ الإِلَـــهُ لِي الغَـــرَا ... مَ فَجُـــلَّ قِـــدمًا مَـــنْ كَتَـــبْ

جَلَّـــتْ العَجَائِـــبَ هِمَّتِـــي ... وَشُـــئونُ مَـــن يَهْـــوَى عَجَـــبْ

إِنَّ المُحِـــــــبَّ جَمِيْعُـــــــهُ ... فَـــانٍ أُخَـــيَّ بِمَـــنْ أَحَـــبْ

وَلِـــذَاكَ إِسْـــعَافُ المُحِـــــ ... ـــبِّ عَـــلَى أَحِبَّتِـــهِ وَجَـــبْ

[وصول الشيخ ﷺ قرية «كفر سجناء» واجتماعه بالسيد رجب المحمدي ﷺ]

وقد انتهى السير من «حبش» إلى قرية بمغربها تدعى: «كفر سجناء»، فيها أحد أحفاد عمنا العارف المكين، السيد حسين برهان الدين، آل خزام الصيادي الرفاعي الذي سبق ذكره - طاب ثراه، وتوالت عليه رحمات الله - ألا وهو الولي المَوَلَّه بربه، المستأنس بحبه، أبو الأحوال السيد رجب المحمدي الصيادي شيخ الخرقة الرفاعية، ومحبوب الحضرة الأحمدية، وما قَدمتُ القرية إلا واستقبلني مع جماعة من خُلَّص أشياعه، وصالحي أتباعه، وحين رآني ضمني إلى صدره، وباشرني بها في سره، ونوَّه بشأني لجماعته تنويهًا صريحًا، وتكلم على منزلتي بلسان كشفه كلامًا صحيحًا، فعجبت لما أبرزه الله تعالى فيه من الكشف والفتوح، وما جلاه بمظهره من لطف الطبع والروح، ونمتُ في رحبه تلك الليلة ريِّض السريرة، أستجلي من كشوفاته كواكب منيرة، وقد رددنا الخبر إلى منبعه، وأرجعناه إلى موضعه، وكتمنا ذخائر الأسرار في مكانها، وحفظناها إلى وقتها وزمانها.

[صفات أهل الحسد والنفوس التي أمرضها الغرض]

ويا لله منها من شئون تثير حسَّادًا، وتقهر أوغادًا، وتصلح أسلوبًا، وتفتح قلوبًا، وتطهر نفوسًا، وتمحق بساحة الغيب رءوسًا، وتظهر من أرصاد المدد المطلسم كنوزًا، وتحل من شكلة الحكم المضمر رموزًا، فما أعجب ذلك من شأن فيه يجلى نمط الوراثة المحمدية،

والنيابة الأحمدية، لا يجانس أرباب النفوس المنحطّة عن القرب، المبعدة عن الرب، يقوم بحملته الشريفة صاحبنا، الذي تحفل به مواكبنا، وتبرز في سماء عرفانه كواكبنا، وتنبلج به أيامنا، وتنشر بسببه في الأقطار أعلامنا، حتى تَئِزُّ حقدًا عليه قلوب مطموسة، وتتهاجم بغيظها عدوانًا عليه نفوس منكوسة: هذا يختلق زورًا، وهذا ينفخ طيشًا وغرورًا، وهذا يقيم لرأيه قائم علة، وهذا يوطد لأكاذيبه البراهين والأدلة.

[صفات أهل الحق]

وأهل الحق قلوبهم تعرف الحق؛ فهو معروف لديهم غير خاف عليهم، ولا يقيم الله للجاحدين وزنًا، ولا ينشر لهم في فضاء العقول معنى، ويأخذ حق صاحبنا بالترفع من حضيض الضعف إلى أوج يافوخ القوى، وكذلك سر الله المضمر في الحق، إذ الحق يبرز في كِنِّ الحِطَّة ضعيفًا، ثم يعلو ويصير قويًا.

[صفة الباطل]

والباطل يفجأ الأبصار هابطًا من العلاء الوهمي قويًا؛ ثم يسقط إلى الحضيض الأدنى ضعيفًا، ثم يصير ممحوقًا، ويقول له هنالك قائل العدل: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١].

[طريق أهل الله تعالى كله دين ويقين ووقوف على جادة السُّنة السَّنية المحمدية، ومعرفة قدر النبي ﷺ]

وسيأتي لنا كلام يتضمن نصًّا قاطعًا، ونورًا ساطعًا، يصرِّح بحكم طريقتنا، ويفصح بسر حقيقتنا، فإن طريقتنا هي طريقة المصطفى ﷺ وحقيقتنا العمل بأعماله والتحلي بأحواله صلوات الله عليه وعلى آله ورجاله.

وقد بَرَّأَ الله طريقنا هذا من لوث الدنيا الدنية، ودسائسها الخفية، وأخطارها الجليلة، وما هو إلا طريق يعرب عن حال محمدي، سواء فيه عندنا العربي والعجمي،

والأبيض والأسود، والرفيع والوضيع إلا في حدود الله وحقوقه.

ولم يُشَبْ منهاجنا هذا ـ والحمد لله ـ بطلب أمر أو نهي دنيوي، ولم يُدَنَّس بغرض من أغراض الأكوان، ولم يلحقه غبار تفرح به نفوس أهل الحجاب.

وإنما كله دين ويقين، ووقوف على جادة السُّنة السَّنية، واشتغال بتهذيب النفوس الفاسدة والنفوس السقيمة، من طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، والتباعد عن الإثم والعدوان، ومعرفة قدر النبي ﷺ، وإعظام ما كان عليه، والعمل بسنته؛ طلبًا لمرضاة الله تعالى، وفناء بمحبة رسوله عليه الصلاة والسلام، وهنا غاية الموفقين، وبغية الصادقين، وإن الله مع المتقين.

[وصول المصنف ﷺ «معرة النعمان» (١)

واجتماعه بالسيد أحمد بن مصطفى الجندي وثناؤه عليه ﷺ]

وقمتُ من «كفر سجناء» أحمل من نشر لطف السيد رجب وحسن حاله مسكًا شذيًا، وأنشر من رقائق أحواله نشرًا عبهريًا، ولم أزل حتى وصلتُ إلى بلدة: «معرة النعمان»، وهي بلدة صغيرة معروفة في الشام، والسلطان الروحاني فيها لحضرة سيدنا نبي الله يوشع بن نون عليه وعلى آبائه النبيين السلام وعلى نبينا الأعظم - في طرازي البدء والختام - أفضل صلوات الملك العلام.

وقد دخلتُ الجامع الكبير في البلدة وكان الوقت وقت الظُّهر، فهرع الناس للصلاة؛ فكان في الصف لجانبي رجل اجْتَذَبَتْهُ إليّ همتي بجاذبة السر، فوقف لديَّ وصلَّى وأتمَّ صلاته خاشعًا قانتًا خاضعًا لله، عالمًا بأركان صلاته وأحكامها، وأسرارها وآدابها، فلما أتم دعاءه وأراد الانصراف حَنَى من قلبه سرٌّ عليَّ؛ فحدَّق بصره بكليته إليَّ، فأخذني بيده ولم يتكلم، فقمتُ معه حتى إذا وصلنا إلى داره وهو في دهشة فجلسنا قليلاً وأتى بالطعام، وأكلنا وحمدنا الله تعالى.

ثم خرجنا، فأخذ بيدي وأتى بي إلى زاويته، فجلسنا هناك وقد طاب الخاطر، وانفسح المجلس؛ فرأيت فيه حالاً من حال الصدق، وشأنًا من الإخلاص، ومزيَّة من العمل الصالح، ونورًا لمّاعًا، ووجهًا مباركًا، وسرًّا طاهرًا، ألا وهو السيد أحمد بن مصطفى

---

(١) المعرّة أي: القديمة، والمعرّة اليوم محدثة، والنعمان هو النعمان بن بشير الصحابي اجتاز بها، فمات له بها ولد فدفنه وأقام عليه، فسميت به، وفي جانب سورها من قبل البلد قبر يوشع بن نون عليه السلام، في برية فيما قيل، والصحيح أن يوشع بأرض نابلس وبالمعرّة أيضاً قبر عبد الله بن عمار بن ياسر الصحابي، ذكر ذلك البلاذري في كتاب فتوح البلدان له، وهذا في رأيي سبب ضعيف، لا تسمى بمثله مدينة والذي أظنه أنها مسماة بالنعمان، وهو الملقب بالساطع ابن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة، وهي مدينة كبيرة قديمة ماؤهم من الآبار، وعندهم الزيتون الكثير والتين، وهي من بلاد الشام.

الجندي، ثم الصيادي شيخ السيد رجب؛ فأكملته بنفحة قدسية أُفيضت إليَّ، وتنزلت بيد العون من حضيرة الفتوح عليَّ، وأبقيته بطلسميته حفظًا للأمر، وكتمًا للسر، ولله الخلق والأمر، وإليه المصير.

وقد طفتُ على مراقد الصالحين الذين هم هناك، وتم أنسي بهم، وحصلت لي بركتهم، والحمد لله رب العالمين، وهنا عود حسن.

=

ويصير إلى الشرع الشريف أين صار، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

ملخص أصول الطريقة العليّة الرفاعية:

صحبة الشيخ الصالح الكامل العارف الذي ينهض بحاله ويرشد بمقاله قال تعالى: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] أي: الذين ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، وقال ﷺ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**».

وبعد الصحبة البيعة في الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]. وقال سيدنا عبادة بن الصامت ﷺ: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشَط والمكرَه، ونقول الحق حيث كنا، ولا نخاف في الله لومة لائم.

وقد ثبت أن المصطفى ﷺ كان يبايع أصحابه، وقد أمر الله الأمة بالقيام بحقوق العهد جلَّ من قائل: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤]. كل هذا مشير لترك الخيانة وللتحقق بالأمانة، والوقوف مع الصدق وأهله، ومن أصول هذه الطريقة لبس الخرقة.

صرح العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني أن الجلال السيوطي قدس الله سره صحح لبس الحسن البصري الخرقة من الإمام أمير المؤمنين سيدنا علي- كرم الله وجهه- ورضي عنه.

وقد سبق الكلام على خرقة الإمام الرفاعي وهي العمامة السوداء، وفيما سبق بلاغ كتابة سند سلسلتهم، وعلى ذلك أطبق المحدثون وعلماء الدين، وقالوا: الإسناد من الدين، وتقدم من هذا ما فيه الكفاية.

ومنها وهو لب أصول هذه الطريقة وذلك التمسك بالكتاب والسنة والذل لله، والانكسار لعظمة سلطانه، والحيرة فيه حيرة تعظيم لا حيرة شك، والافتقار إليه وأدب ذلك عدم نسيان الله سبحانه، والشفقة على خلق الله تعالى فإن خير الناس من ينفع الناس وفي الخبر الأصدق: «**الخلق كلهم عيال الله وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله**» والتجرد من دعوى الفعل والقطع والوصل فإنه لا يضر وينفع ويصل ويقطع ويعطي ويمنع ويفرق ويجمع إلا الله، ودوام الحضور في العبادات والمراقبات مع الله، وهو مقام الإحسان. قال رسول الله ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» وإبدال كل خلق سيئ بخلق سني، فإن الحلم بالتحلم، والعلم بالتعلم كذا أنبأنا رسول الله ﷺ فيقلب المريد نفسه، يقلب سوء الخلق إلى حسن الخلق والغضب إلى الحلم والبخل إلى السخاء، والكبر إلى التواضع، والخيانة إلى الأمانة والجفاء إلى الوفاء والغدر إلى الصفاء، والضرر إلى النفع والدعوى إلى الوقوف عند الحدود، والشطح إلى الأدب والخوض بالأقاويل المكفرة الكاذبة التي

=

اعتادها جماعة من أهل الزيغ والإلحاد كالقول بالوحدة المطلقة، وكنسبة تأثير الفعل إلى المخلوق، وأشباه ذلك إلى الخضوع لله تعالى، والانقهار تحت مرتبة العبدية ورد الآثار إلى المؤثر.

ومن أصول هذه الطريقة أن يخرج المريد من وهدّة الكسل إلى مساحة النشاط بالعمل مع تجنب الزلل، وأن يتجرد عن غرض نفسه ومرض طبعه، لا يريد فسادًا في الأرض ولا علوًّا ولا بغيًا على حق من حقوق الله، أو حقوق الخلق ولا عتوًّا، وأن يكون عاملاً بكتاب الله مقتفيًا آثار رسول الله ﷺ حافظًا للسانه من الكلمات التي تسلط عليه مؤاخذة ظاهر الشرع الشريف، دائرًا مع الحق لا مع الغرض، معتمدًا على الله متكلاً عليه منصرفًا على الأغيار، ناشرًا لواء العزم، شادًّا مئزر العزيمة فيما يئول إلى الله تعالى وإلى نصرة رسوله عليه الصلاة والسلام، قريبًا من أهل الحق بعيدًا من أهل الباطل، خاضعًا لله خاشعًا لكبريائه، لا يرى لنفسه على غيره مزية، ولا تأخذه في الله لومة لائم، محبًّا للعلماء العاملين، معرضًا عن السفهاء الفاجرين، غير متعزز بالطريق على الخلق، وقورًا بلا كبر لا طيَّاشًا في أحواله ولا فحَّاشًا في أقواله، ولا متعديًا أمر الله في أفعاله،غيورًا في الدين، صعبًا على الزائفين والظالمين لا ينحرف عن الحق اتباعًا لهوى نفسه. قال ﷺ: «**لا يكون أحدكم مؤمنًا حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**». دافعًا لغرور النفس متيقظًا لخدع الشيطان يترقب مع طرفة العين الموت كاتمًا لأعماله يتخذها ذريعة المحاضرة مع الله، قال تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا**﴾ [الكهف:١١٠]. ويستحيي في كل أحواله، وأفعاله من الله سبحانه وتعالى، يحب مشايخه ويعظمهم، ويعرف لهم منزلتهم ولا يجنح إلى غيرهم، ويعتقد كمالهم وفضلهم على غيرهم، ويحب أولياء الله كلهم جميعًا، ويحد المراتب فيود القرابة ويجل الصحابة، ولا يعلو ولا يغلو، ويحب لله ويبغض لله ويستمد مدد الله بواسطة رسول الله ﷺ علمًا بولايته عليه بشاهد قوله تعالى: ﴿**ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ [الأحزاب:٦].

ويتخذ مشايخه وسائط لروح رسول الله ﷺ ويجعل الصدق والجد والاستقامة والمكنة في الأطوار، والثبات في الحال والعزم في القصد الحسن، وسلامة الصدر وطهارة النية بضاعة في طريق الله تعالى لا يجحد برًّا، ولا يذيع سرًّا، ولا يهتك للحق سترًا، ولا يكفر معروفًا، ولا يقدم على الحق، مألوفًا يرحم الصغير ويوقر الكبير ويكرم ذا الشيبة، ويجلّ سادات الناس وقاداتها، يبعد عن شق العصا، ويجانب النفس والهوى، ولا ينازع أولي الأمر. يألف الطاعة ولا يفارق الجماعة ويكون على الهمة صبورًا في المهمة، غير ضرار للأمة يشكر الله على النعمة، ويسأله كشف الغمة، ينفر من الخائن ويوالي الأمين ويصدق الصادق ويكذب الكاذب، بارًّا للوالدين وصولاً للرحم، مراعيًا حق الجيران والأصحاب، ذا رفق بالفقراء. بذَّالاً للإحسان حسب الإمكان، طارحًا للحسد وسيئات الأخلاق مترفعًا عن الغي والشقاق، إذا غفل ذكر وإذا أذنب استغفر، غير مشاد للدين، حسن

أما طريقتنا السعيدة، ورقائق أحوالها الأحيدة، فقد نظمتها بهذه القصيدة، وقد ضمَّنتُهَا أسرارها، وطويتُ فيها أخبارها، وهي في ديواني الذي سميته - بالإذن المحمدي -: (معراج القلوب، إلى حضرات الغيوب)، وها هي بنصها، والله يتولى الصالحين:

طريقَتُنَـــا للخارِقـــاتِ وســـيلَةٌ	وللكفِّ عن كـلِّ الوُجـوداتِ سِـلَّمُ
طَريقَتُنَا من أَخلصَ القلـبَ ضـمنَها	غَـــدا بـــضمانِ الله يُحْيـــى ويُكـــرَمُ
طَريقَتُنَـا مـن راحَ يحكِـمُ حكمَهـا	بـصدْقٍ عـلى أَهـلِ القُلُـوبِ يُحَكَّـمُ
طَريقَتُنَـا تُنجـي الفُـؤادَ مـن الغَـوى	وتَحْفَظُـــهُ مـــن زَيْغِـــهِ وتُـــسَلِّمُ
طَريقَتُنَـــا مأمونَـــةُ الحـــالِ سُـــنَّةٌ	ومـــضمونُها في كـــلِّ نَقْـــلٍ مُـــسَلَّمُ

=

الظن بالمؤمنين داعيًا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، يحسن إلى من يسيء إليه، ويعفو عمن ظلمه غير جحود ولا حسود ولا حقود، إذا نازع أو نوزع رد الأمر إلى الله وإلى رسول الله.

يفضل إمام طريقه وإمام مذهبه على غيرهما تفضيل أدب، ويرى الأئمة والصالحين كلهم على فضل وكمال وسداد في الأقوال والأفعال، ويرى لأئمته الرجحان ليقوم له في العمل وزن يرجح به إن شاء الله الميزان، يحسن العشرة مع عياله وآله، ويعاملهم بالوقار والبِشر ليصونهم من كل ما يسلط المؤاخذة الشرعية عليهم، ويقيم فيهم المعيشة الوسطى، لا تبذير مبطر، ولا تقتير مضجر. ويرأف بخدمه ومواليه إن كان القدر أعانه بمثل ذلك، ولا يهضم ودًّا ولا ينقض عهدًا، ولا يقيم على ظلم، ولا يطوي سوء نية لأحد من المخلوقين، ولا يطلق لسانه بفظاظة، ولا بغلظة، ويملك غضبه ويحفظ أدبه. ويعمل بأركان الطريقة وأورادها وأحزابها وخلواتها وآدابها تهذيبًا للنفس وقهرًا للشيطان ويترفع بعمله عن الرياء، ويرى العمل لله، ويرى في التوفيق للعمل المنة لله، ولا يتبجح بقولٍ مفلق يزعم أنه من التصوف، يلتبس على السامع، ولا يقول بالشطحات التي تتجاوز حد التحدث بالنعمة قلَّت أو جلَّت. ولا يفوه بكلام ينافي الأدب مع من ينسب إليهم الشطح إن كانوا من الذين علا حالهم وثبت كمالهم، بل يترك أمرهم إلى الله تعالى، إلا إذا كان الكلام المسند إليهم مخالفًا لظاهر الشرع فإنه يرده ردًّا باتًّا معتقدًا أنه دُسَّ عليهم، ونسب بالزور إليهم؛ لأن الولاية هي الموالاة لله ولرسوله ﷺ في الأقوال والأفعال، والله يتولى فيسدد برحمته أقواله. هذه أصول طريقتنا المباركة، وكفى بالله وليًّا. [الفرقان الدامغ] بتحقيقنا.

طَرِيقَتُنَا حالُ النَّبِيِّ وطَوْرُهُ ... وعن سِرِّهِ للمارقين تُتَرْجَمُ
طَرِيقَتُنَا صِدقٌ وزُهدٌ ورَأفَةٌ ... وذُلٌّ إلى المولى ونهجٌ مُقَوَّمُ
طَرِيقَتُنَا أن لا يرَى المرءُ نفسَهُ ... وفيها أخيرُ الرَّكبِ فهو المُقَدَّمُ
طَرِيقَتُنَا أن تُصلِحَ العبدَ صُحْبَةٌ ... فنحنُ سُكوتٌ والهوَى يتكلَّمُ
طَرِيقَتُنَا أن يُجعَلَ الشَّرعُ سُلَّماً ... أجل وبهِ السُّلاَّكُ ترقى وتعظُمُ
طَرِيقَتُنَا قلبٌ سَليمٌ ونيَّةٌ ... مُطَهَّرَةٌ أنْفَ المُآمِلِ تُرغِمُ
طَرِيقَتُنَا ذِكرٌ بلا عددٌ على ... مواردِ أنفاسٍ تمُرُّ وتُنْظَمُ
طَرِيقَتُنَا أن لا نرَى الغيرَ فاعِلاً ... سوى أنَّهُ الرَّحمنُ يُعطي ويُحْرِمُ
طَرِيقَتُنَا أن تشهَدَ اللهَ حاكِمًا ... له الأمرُ في الأَمْرَيْنِ يُقضي ويَرْحَمُ
طَرِيقَتُنَا حُبُّ النَّبِيِّ وآلِهِ ... وأَصحابِهِ والذِّكرُ للخير عنهُمُ
طَرِيقَتُنَا إعظامُ كلِّ مُقَرَّبٍ ... من القومِ لكنْ شيخُنا الفردُ أعظَمُ
طَرِيقَتُنَا نهجُ الجُنَيْدِ تحقُّقًا ... بمشرَبِهِ إذْ ناكِثُ العهدِ يُقْصَمُ
طَرِيقَتُنَا ذوقٌ وشوقٌ وعبرَةٌ ... وعبرَةُ عينٍ دمعُها كلُّهُ دَمُ
طَرِيقَتُنَا جِدٌّ وجُهدٌ ولوعَةٌ ... وخَلوَةُ صدقٍ خالِصٍ وتكتُّمُ
طَرِيقَتُنَا أن لا نرَى الشَّقَّ للعَصا ... فإنَّ مُوالاةَ الجماعَةِ ألْزَمُ
طَرِيقَتُنَا وُدٌّ لكلِّ مُوَحِّدٍ ... وأن نُسْدي إحْسانًا لمن هو مسلِمُ
طَرِيقَتُنَا بالآدَمِيِّنَ رحمَةٌ ... كما أمَرَ الهادي الرَّسولُ المُكَرَّمُ
طَرِيقَتُنَا أن نشهَدَ الخلقَ كلَّهُمْ ... بخيرٍ وأنْ نَزوي الأَذِيَّةَ عنهُمُ

طَرِيقَتُنَا مَحْوُ الرِّيَاءِ وطرحُهُ وحِفظُ نِظامَ الصِّدقِ إِذْ نتكلَّمُ
طَرِيقَتُنَا صَوْنُ الجَوارِحِ كلِّها فإنَّ سؤالَ الحَشْرِ بالصَّوْنِ ملزِمُ
طَرِيقَتُنَا أنْ نجذِبَ القلبَ دائِمًا إلى الله بل في ذِكرِهِ نترنَّمُ
طَرِيقَتُنَا أَنَّا نُمِرُّ زَمانَنا ونحنُ على مهدِ التَّكتُّمِ قُوَّمُ
طَرِيقَتُنَا أن نجعَلَ السِّرَّ رُقْعَةً وفيها سُطورَ الصِّدقِ لله نَرقُمُ
طَرِيقَتُنَا دَومُ الهُيامِ تولُّهاً وهل مُرْتَضى المخبوبِ إلاَّ المُهَيَّمُ
طَرِيقَتُنَا وجهٌ مع النَّاسِ حاضِرٌ وقلبٌ بذِكرِ الله لا يتلَعْثَمُ
طَرِيقَتُنَا إعْظامُ شأْنِ محمَّدٍ كما هوَ فهو الهاشِمِيُّ المُعظَّمُ
طَرِيقَتُنَا أَنَّا على كلِّ رَمشَةٍ نُصلِّي عليه نيَّةً ونُسلِّمُ
طَرِيقَتُنَا نهجُ الرِّفاعِيِّ أَحمدٍ فمنهاجُهُ من جملَةِ القومِ أَقوَمُ
طَرِيقَتُنَا أنْ نملأَ العينَ دمعَةً إِذِ النَّاسُ في فُرشِ البَطالَةِ نُوَّمُ
طَرِيقَتُنَا أَنْ نُبْدِ في الله شدَّةً ونُبغِضَ فيه من به الزَّيْغُ يُرسَمُ
طَرِيقَتُنَا نصرُ المُحِقِّ وغَوْثُهُ وإِذلالُ من للنَّاسِ يُؤذي ويظلِمُ
طَرِيقَتُنَا إِكرامُ شيخٍ لسِنِّهِ ورحمةُ طفلٍ إنَّما الطفلُ يرحَمُ
طَرِيقَتُنَا الإِيثارُ والبذلُ دائِمًا بلا ريبَةٍ واللهُ أَغنى وأَكرَمُ
طَرِيقَتُنَا هجرُ الكَذوبِ وتركُهُ وحُبُّ صَدوقٍ هكذا القومُ أَلْزَموا
طَرِيقَتُنَا غسلُ الفُؤادِ من الهَوى ومن بعدِهِ وِفقًا له نتوسَّمُ
طَرِيقَتُنَا رَدُّ الفِراسَةِ للَّذي به الشَّرْعُ يقضي في الأُمورِ ويُبْرِمُ

طَرِيقَتُنَا إن جاءَ بالصِّدقِ وارِدٌ ... نحكِّمُهُ في أمرِنا ونُسَلِّمُ

طَرِيقَتُنَا التَّحكيمُ للنَّصِّ بالذي ... بهِ في الإشاراتِ الغَوامِضِ نُلْهَمُ

طَرِيقَتُنَا من ربِّنا الأَخذُ بالرِّضا ... يؤخِّرُ منَّا أَمرَنا أو يُقَدِّمُ

طَرِيقَتُنَا التَّسليمُ للمُرشِدِ الذي ... لأَحْكامِهِ التَّسليمُ في السَّيرِ أَسلَمُ

طَرِيقَتُنَا إِعْزازُ من شادَ سُنَّةً ... بها رُكْنُ زَيْغٍ في البرِيَّةِ يُهدَمُ

طَرِيقَتُنَا أن لا نقولَ بوحْدَةٍ ... ولا بحُلولٍ والمُصيبةُ أَعظَمُ

طَرِيقَتُنَا أن نحفَظَ الشَّرْعَ ظاهِرًا ... وهذا هو السِّرُّ الخفِيُّ المُطَلْسَمُ

طَرِيقَتُنَا رَدُّ الشُّطوحاتِ كلِّها ... إذا لم يكنْ منها المُؤَوَّلُ يُفْهَمُ

طَرِيقَتُنَا أن يأخُذَ القلبُ عبرَةً ... ولو من هُبوبِ الرِّيحِ إِذْ يتنَسَّمُ

طَرِيقَتُنَا أن نتبَعَ النَّصَّ خُضَّعًا ... وإن جاءَ طَيْشًا غيرُهُ لا نُسَلِّمُ

طَرِيقَتُنَا أنَّ الكَراماتِ لم تزلْ ... بأَيدي رِجالِ الله تبدو وتنظَمُ

طَرِيقَتُنَا أنَّ الخَوارِقَ سَهْمُهُمْ ... لمن كانَ حيًّا والذي ماتَ منهُمُ

طَرِيقَتُنَا أنَّ المُؤَيَّدَ واحِدٌ ... ويفعَلُ دَهرًا ما يُريدُ ويحكُمُ

طَرِيقَتُنَا أنَّ البِداياتِ كلَّها ... بتصْريفِ أَمرِ الله تبدو وتُخْتَمُ

هذه طَرِيْقَتُنَا التي سُقْنَا القلوب إليها، وعوَّلنا في المسير إلى الله عليها، وهي طريقة المتمسكين بسنة سيد المرسلين ﷺ.

[كلام الإمام المحمدي أحمد الرفاعي الكبير في السُّنة المحمدية وهو كلام في غاية التحقيق ﷺ وعنا به]

قال شيخ مشايخنا إمام الطريق السيد أحمد الرفاعي ﷺ:

السُّنة المحمدية روح العارف، بها يقوم وبها يقعد، وهي منار ألباب العارفين، فإن مُشيِّد أركانها ورافع بنيانها ﷺ لم ينطلق عن الهوى؛ بل هو جلجلة: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧].

ولوُرَّاثه العارفين هذه الحصة من بركة اتِّبَاعه - أرواحنا وأرواح العالمين فداه.

وقد روينا بالسند من طريقتي الإمامين البخاري ومسلم رحمهما الله: عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة - رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١)، وفي رواية للإمام مسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٢).

وقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٣) زاد في رواية: «وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرُ الْهَدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا»(٥).

وعن عطاء في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ١٧)، ومسلم (١١/ ٤٠٢).

(٢) رواه مسلم (١١/ ٤٠٣).

(٣) رواه أحمد (٣٧/ ٧٥)، وأبو داود (١٣/ ٣٢٧).

(٤) رواه النسائي (١/ ٥٥٠)، وابن خزيمة (٦/ ٤٣٣).

(٥) رواه مسلم (٥/ ٤٠٣)، وأحمد (٣١/ ٤٠٥).

[النساء:٥٩] أي: وإلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وقال الإمام السيد أحمد الرفاعي - رضي الله تعالى عنه - لولد بنته القطب المقرب أبي إسحاق السيد إبراهيم الأعزب الرفاعي قدس الله سره العزيز:

ما أخذ جدك طريقًا لله إلا اتِّباعَ رسول الله ﷺ، فإن من صحت صحبته مع سر رسول الله ﷺ اتبع آدابه وأخلاقه وشريعته وسُنته، ومن سقط من هذه الوجوه، فقد سلك سبيل الهالكين، انتهى.

[براءة سيدي الرواس - قدس الله سره- ممن يخالف عهده الجامع المؤسس على الكتاب والسنة المحمدية الغراء]

وقد مر والحمد لله ما أُتحِفْنَا به من جانب جناب الرسول الأعظم ﷺ، وهو العهد الجامع الذي قامت به الحجة، وانبلجت به المحجة، فمن اندرج بعهدنا، ودخل ساحة مددنا، لابد وأن يعمل في طريقه بأحكام ذلك العهد الكريم، والنص السوي القويم، ومتى خالفه فهو بعيد عنا، بل وليس منا، وما أكثر ما رأيت من أبناء الأولياء والمشائخ أُناسًا اختطفهم محض الغرور بآبائهم وسلفهم، فانتظموا بسلك بُنوَّتهم، وخالفوهم بأعمالهم وأخلاقهم وفتوَّتِهم، واعتمدوا على مجرد النسب، ووقعوا ـ والعياذ بالله ـ مع أهل الوقت؛ بل ومع الكثير من السلف الصالح بوهدة سوء الأدب، وما عرفوا أن هذا من دواعي القطيعة، ومن دسائس الشيطان الشنيعة، إذ الموفَّقون يدورون حول محور الحق؛ فهو قطب رحاهم وملجؤهم ومأواهم، لا يلتفتون إلا إلى بارقة نورانية، تلمع بإشارة ربانية، تؤيدها أحكام الكتاب العزيز والسنة السنية، وهما الشاهدان العادلان، والحاكمان المطاعان، والآمران الناهيان، ما آل إليهما فهو حق مقبول، وما خالفهما فهو رد مخذول.

ومدار أمر العارفين في سيرهم إلى الله تعالى على هاتين الكلمتين الشريفتين؛ فخذ - أي: طالب الحق - بأثر القوم والزم طريقهم، واشرب رحيقهم، وصِرْ أمين الجناب بقافلتهم ولا تنقطع عنهم، سيما إن كنت منهم، فأنت حينئذ أحق بالاتباع، وأجدر بأن تلام على الانقطاع، ولا تقل بلا جِدٍّ في العمل: (كان جَدِّي)، وإن ذلك بمجرده لا يُجدي، وكن ولدًا بارًا ولا تكن عاقًا، فإن الوالديَّة قاضية على الولد بالتزام أشرف مناهج آبائه؛ ليشيِّد بذلك أمرهم، ويحيي ذكرهم، وإلا فهو بعيد عنهم، معاتب منهم:

كُن اِبنَ مَن شِئتَ واكتَسِب أَدَبًا ... يُغنيكَ مَحمُودُهُ عَنِ النَسَبِ

إِنَّ الفَتى مَن يَقولُ ها أَنا ذا ... لَيسَ الفَتى مَن يَقولُ كانَ أَبي

[الخصلة السابعة:] والرضا بقسمة الله تعالى لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف:٣٢].

[الخصلة الثامنة:] والحب في الله والبغض في الله لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢].

[الخصلة التاسعة:] ومعرفة النفس ومحاربتها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣].

ومحاربة الشيطان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦] أي: حاربوه.

والخوف من الله في كل حال لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠]، وقال الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء:١٨].

والدعاء والتضرع إلى الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥]، وقال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

وعدم الأمن من مكر الله تعالى لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

وعدم القنوط من رحمة الله تعالى لقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وستر العورة لاسيما وقت أداء الصلاة لقوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١]؛ فالمراد بالزينة ما يوارى به العورة، وعورة الرجل ما تحت السرة إلى الركبة، وإن لم يجد لباسًا صلى عريانًا قاعدًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وطلب العلم لقوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران:٧٩]

أي: كونوا علماء فقهاء، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦] أي: علموهم دينهم، وقال ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»(١).

والوضوء لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [المائدة:٦] الآية، أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون فاغسلوا هذه الأعضاء.

والغسل من الجنابة لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة:٦].

والتيمم لقوله تعالى: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ [المائدة:٦].

والصلوات الخمس لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء:١٠٣] أي: فرضًا مؤقتًا على المقيم أربع ركعات، وعلى المسافر ركعتان إلا المغرب؛ فإنها ثلاث ركعات.

وذكر الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأنفال:٤٥] يعني بالليل والنهار.

وإعطاء الأمانة إلى أهلها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

وترك الفرح لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [الحديد:٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦].

وترك الحزن على فوات الدنيا لقوله تعالى: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ [الحديد:٢٣]. والتفكر لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر:٢].

وترك هوى النفس لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦]، وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٩/ ٤٢)، والبيهقي (٤/ ١٧٥).

ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٧ -٣٩]، وقال تعالى: ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠،٤١].

ومعرفة مِنَّةِ الله بالإيمان والإسلام لقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧].

والإيمان بأن الله تعالى مطلع في كل حين لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس:٦١].

والتوبة من الذنوب لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، وقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

وصدق الكلام لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام:١٥٢]، وقال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

وأكل الحلال لقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

وحفظ العينين والفرج والأذنين من الحرام لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور:٣٠]، وقال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

وترك الغيبة والاستهزاء لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات:١١] الآية.

وترك اللقب لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحجرات:١١].

والاجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات:١٢].

والاجتناب عن التجسس لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات:١٢]، الآية.

والتوكل على الله لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «التوكل اتكال القلب إلى الله تعالى بالانقطاع عما دونه».

والرضا بقضاء الله لقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور:٤٩].

والصبر على الشدة لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وبر الوالدين لقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

والشكر لنعم الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل:١١٤] والشكر والطاعة بجميع الجوارح.

وترك الربا لقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ [آل عمران:١٣٠].

والإنفاق بالقسط في الفقر والغنى لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧]، وقال الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦] التبذير هو: الإنفاق في غير طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.

وترك المن والأذى في الصدقة لقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤].

وعدم قرب النساء في الحيض لقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

وترك التكبر والعجب والفساد لقوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

وترك الخوف من الفقر لقوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

وعدم تسليم المال للصبيان أو النساء والخوان لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء:٥].

والمحافظة على الصلوات الخمس بأوقاتها لقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨].

والاستقامة على مذهب أهل السنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام:١٥٣]، ولما ورد: «مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»(١).

والملازمة بالموافقة للسواد الأعظم لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٣]؛ ولقوله ﷺ: «عليكم بالسواد الأعظم، فإن من شذَّ شذَّ في النار»(٢).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١] الآية

وإعطاء الزكاة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٧].

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٦٥٥)، والترمذي (٥/ ١٤٨).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٨).

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٨٣].

وقال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:١١] الآية.

وصوم رمضان لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣]، الآية، ولقوله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»(١).

وحج بيت الله الحرام، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [عمران:٩٧]، ولقوله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ فَحُجُّوا»(٢).

والدعوة إلى الله تعالى بالرفق والليِن لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، ولقوله ﷺ: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ»(٣)، وقد روي عن أمير المؤمنين سيدنا علي - كرم الله وجهه ورضي عنه-، ومثله قال أنس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا»(٤)، وقد أثنى عليه الله جل جلاله فقال سبحانه وتعالى بشأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، صلى الله تعالى وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وعلى هذه الأحكام انعقاد وثيقتنا وأساس طَرِيْقَتِنَا والله يتولى الصالحين، انتهى كلامه بنصه الشريف. ومنه يفهم السالك أحكام هذه الطريقة، وأسرار هذه الوثيقة، وولي العون والعناية هو الله ولا إله إلا الله.

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٩)، ومسلم (١/ ١٣٩).

(٢) رواه أحمد (٢٢/ ٤١٨)، والبيهقي (٢/ ٢٠٦).

(٣) رواه البيهقي (٢/ ٤٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٧٠).

(٤) رواه البخاري (٢٠/ ٤٠٤)، ومسلم (٤/ ٣١٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٣٦).

[بيان حقيقة الصحبة، ولبس الخرقة، وسنّيّة لبس العمامة]

وقد تعين عندنا في هذه الطريقة المباركة الصحبة ولبس الخرقة، ولا عبرة بإنكار بعض الأفاضل أو جلهم لهذا؛ فإن رجال الأخبار كثر اختلافهم وقل فيما يباين مشاربهم ائتلافهم، وكفى حجة للقوم: إطباق الصالحين والزاهدين والمتمكنين في أمرَي الحقيقة والشريعة على هذا، وناهيك منهم بالإمام الجنيد والأئمة الأعلام السَّري والكرخي والطائي وأشباههم رضي الله تعالى عنهم.

وقد أنكر الكثير من الحفاظ أَخْذَ الإمام الحسن البصري؛ بل وسماعه أيضًا عن سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه ورضي الله عنه- والحال أن الإمام كمال الدين المِزي ذكر في كتابه «تهذيب الكمال» وهو و«الأطراف» مما أفنى عمره فيهما في ترجمة سيدنا الحسن البصري عند ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم فمنهم: عقيل بن أبي طالب وأخوه علي، ولم يحك فيه خلافًا، وعلى كلٍّ من شيوخ الحسن رَمَز، فعلى أخذه عن عليّ سلام الله ورضوانه عليه رمز الترمذي والنسائي، وعلى أخذه عن عقيل ﷺ رمز النسائي وابن ماجه[1].

ومما رُوِيَ عنه من طريق سيدنا عليّ- كرم الله وجهه-: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»[2]، رواه النسائي خاصة.

وحديث: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ»[3] من طريق علي- كرم الله وجهه- رواه عنه الترمذي والنسائي ... قال محمد بن موسى الجرشي: أنبأنا ثمامة بن عبيدة قال: حدثنا عطية بن محارب عن يونس عن عبيد قال: سألت الحسن قال: يا أبا سعيد إنك تقول: قال رسول الله ﷺ فإنك لم تدركه؟! قال: يا ابن أخي، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك،

(١) انظر ترجمة (عقيل) في: «تهذيب الكمال» (٢/ ٢٣٥).

(٢) رواه أحمد (١٩/ ٣٣)، والنسائي (٢/ ٢١٦).

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٤٧٧)، والنسائي (٣/ ٣٦٠).

ولولا منزلتك ما أخبرتك، إني في زمان كما ترى - وكان في زمن الحجاج - كل شيء سمعتني أقول: قال رسول الله ﷺ فهو عن علي بن أبي طالب غير أني لا أستطيع أن أذكر عليًّا. انتهى.

وقد أثبت الجلال السيوطي - طاب ثراه - سماع الحسن البصري وأخذه عن سيدنا علي كرم الله وجهه.

واتفق الحفاظ على أخذ الحبيب العجمي؛ بل وأيوب السختياني، ويونس بن عبيد، وعبد الله بن عون، ومحمد بن واسع، ومالك بن دينار، وفرقد السنجي، وغيرهم من عبَّاد البصرة عن الإمام الحسن البصري[1].

وعلى هذا فإطباق القوم وإجماعهم على صحة هذا الاتصال، لا ينقض بإنكار غيرهم، ولا يقال: إن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم- لم يكونوا يلبسون مريدًا لهم خرقة ولا يقصّون شعورهم، ولا التابعون لهم أيضًا، وإن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين، كما زعم ذلك الشيخ إبراهيم بن بريد وأمثاله، حتى قالوا: حتى لو كان ذلك صحيحًا لما غفل عنه حُرَّاس الدين: ضبطة الحديث ونقَّاده، فهم المقلَّدون في هذا لا غيرهم.

والحال أن البدر الزركشي قال: سُئِلَ القاضي تقي الدين بن رزين عن لبس الخرقة التي يتداولها الصوفية!

فأجاب: قد تداولها السلف، ولم يثبت فيها نقل على شرط الصحيح؛ لكن يكفي

---

(١) انتساب القوم - رضي الله تعالى عنهم وعنا بهم- لسيدنا ومولانا «أبو تراب» - كني بذلك إشارة لكمال عبادته وعبوديته وعبودته- مما هو معلوم مقرر لا ينكره إلا معاند، وقد ألف في المسألة الحافظ أحمد بن الصديق الغماري في كتابه المشهور (علي إمام العارفين، أو القول الجلي في صحة انتساب الصوفية إلى علي ﷺ والرد على ابن تيمية الحنبلي) [ط. القاهرة] وأثبت ما يقصه القوم - من تسلسل طرقهم إليه ﷺ- بالقواعد المعروفة عند المحدثين وغيرها.

فيها التبرك بآثار السلف الصالحين، وآثارها صالحة في الغالب، انتهى نقل ذلك، والذي يناقضه ابن بريد في «مفاتيح المطالب».

ونصُّ ابن رزين يفيد تحقيقًا: أن السلف تداول لبس الخرقة لا المتأخرون من بعض مشائخ المشرق، ومع ذلك فسأُبيِّن لك أيها اللبيب سر هذا المبحث بيانًا كافيًا وأوضّحه لك إيضاحًا شافيًا إن شاء الله تعالى فأقول:

أما الخرقة فهي عند القوم عند القوم ذات حكمين شريفين: الأول حسي والثاني معنوي:

فالحسي: هو عبارة عن التزيي بزي الشيخ الذي ينتمي إليه المريد؛ تحققًا بمحبته، وتشبهًا به؛ لاعتقاده أنه من الصالحين المتمسكين بسنة النبي الأمين ﷺ، وقد جاء عن النبي ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1]، ولا يحب رجل قومًا إلا حُشر معهم، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم، فقال رسول الله ﷺ «الْمرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[2].

وقد أخذنا سند الخرقة بقصد التزيي بزي رسول الله ﷺ بالأسانيد الصحيحة التي ضبطها الحفاظ: أمناء الرسل، علماء المسلمين، حفظة الحديث ورجاله ﷺ؛ فإن الخرقة أعني: الزي الذي اختاره السادة الرفاعية، ومضوا عليه خلفًا بعد سلف إنما هو: العمامة السوداء مرسلة الطرف، واختارها بعضهم بغير إرسال.

قال شيخ الإسلام النووي - رحمه الله- في «شرح المهذب»: يجوز لبس العمامة بإرسال طرفها وبغير إرساله، ولا كراهة في واحد منهما، ولم يصح في النهي عن ترك إرسالها شيء، وصح في الإرخاء حديث عمرو بن حريث قال: «كأني أنظر إلى رسول الله

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٨/ ١٤٠)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٤٥٤).
(٢) رواه البخاري (٢٠/ ٣٥٢)، ومسلم (١٧/ ١٣٠).

ﷺ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ»[1]، رواه مسلم. انتهى.

وأسند الحافظ أبو موسى المديني في كتاب «السنة» في سدل العمامة عن أبي داود الطيالسي، قال الأشعث بن سعيد: عن عبد الله بن بشر عن أبي راشد الحبراني عن علي رضي الله عنه قال: «عَمَّمَنِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ بِعِمَامَةٍ سَدَلَهَا خَلْفِي ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ أَمَدَّنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ بِمَلائِكَةٍ يَعْتَمُّونَ هَذِهِ الْعِمَّةَ، وَقَالَ: إِنَّ الْعِمَامَةَ حَاجِزَةٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ**»[2].

وأسند عن عبد الله بن بسر عن حكيم العنسي قال: «**دعا النبي ﷺ عليًّا رضي الله عنه؛ فعممه** بعمامة سوداء وأرسلها من خلفه، ثم قال: **هكذا فاعتموا حاجز المسلمين والمشركين العمائم**»[3].

وأسند الطبراني من طريق عبد الله بن تمام عن أبي موسى رضي الله عنه: «أن جبريل نزل على النبي ﷺ وعليه عمامة سوداء قد أرخى ذؤابته من ورائه»[4].

وروى المديني عن وكيع عن سلمة بن وردان قال: «رأيت على أنس بن مالك رضي الله عنه عمامة سوداء على غير قلنسوة، وقد أرخاها من خلفه»[5].

وقال: ذكر إسماعيل بن يزيد القطان عن خالد بن عبد الرحمن القرشي، عن عاصم ابن عمر العمري عن أبيه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: «أنه رأى عليه عمامة سوداء قد سدلها من خلفه قدر ذراع»[6].

---

(١) رواه مسلم (٨/ ٤٨٨).

(٢) رواه البيهقي (٢/ ٢١٠)، والطيالسي في «مسنده» (١/ ١٥٥).

(٣) رواه البيهقي (١٠/ ١٤).

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ١٤٥)، وقال: رواه الطبراني وفيه عبيد الله بن تمام وهو ضعيف بهذا الحديث وغيره.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤٥).

(٦) ذكره ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٤/ ٢٣٧)

وقال عبد الله بن بسر ﷺ: «بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ إلى خيبر فعممه بعمامة سوداء، ثم أرسلها من روائه» أو قال: «على كتفه اليسرى»[١].

ومن هذه الأخبار النبوية الصادقة ثبت أن رسول الله ﷺ عمَّم عليًّا المرتضى سلام الله ورضوانه عليه بعمامة سوداء، ثم قال: «هكذا فاعتموا ..» الحديث[٢].

وقد كان رسول الله ﷺ في يوم فتح مكة معتمًا بعمامة سوداء، بل وكان كثيرًا ما يعتم بالسواد[٣]، كل ذلك إشارة لسيادته، ودوام سؤدده، وبقاء دينه، وقد أمر عليًّا بهذا، وعليّ

---

(١) رواه أبو يوسف في «الآثار» (٢/ ٩٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) قال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني: يؤخذ من الأحاديث السابقة واللاحقة ندبها، بل وتأكدها اقتداءً بالنبي ﷺ؛ لأنها من شعار الإسلام والمسلمين، ولما فيها من التميز بيننا، وبين الكفار، ومن التجمل. وقد ذكر صاحب «محاضرة الأوائل» عن بعض شراح «الشمائل» حديث: «**تعمموا تزدادوا جمالاً**»، وتزداد تأكدًا للصلاة، وخصوصًا الجمعة، ولحضور المساجد، وخصوصًا المساجد الثلاثة، ولحضور مجامع الناس». وبعدما ذكر الشيخ عبد الرءوف المناوي فى «شرح الجامع» أنه يتأكد ندبها للصلاة، قال: ولا يعارضه حديث: «**ائتوا المساجد حُسَّرا ومعصبين**»؛ لأن القصد به إتيان المساجد للصلاة كيف كان، وأنه لا عذر في التخلف عنها بفقد عمامة، وإن كان التعمم عند إمكانه أفضل. انتهى. وقال أيضًا في شرح «الشمائل» ما نصه: والعمامة سنة لاسيما للصلاة، ولقصد التجمل لأخبار كثيرة فيها، واشتداد ضعف كثير منها، يجبره كثرة طرقها، وزعم وضع أكثرها تساهل، قال: وتحصل السنة بكونها على الرأس أو قلنسوة تحتها. انتهى.

واختصره الباجوري في شرحها بقوله: والعمامة سنة لاسيما للصلاة؛ لقصد التجمل لأخبار كثيرة فيها، وتحصل السنة بكونها على الرأس أو على قلنسوة تحتها. انتهى.

وقال العارف بالله الحفني في «حاشية الجامع الصغير»: لبس العمامة سنة؛ للتميز بيننا وبين الكفار، وتكون بقدر عادة أهل البلد، وقال الهيتمي في «در الغمامة»: هي سنة للصلاة، ولقصد التجمل، وإن أوهمت بعض العبارات خلاف ذلك، إلا أن يحمل على من فعلها لغير ذلك، فإنه يباح، وقد يكره، وقد يحرم، كما يعلم مما سيأتي، وذلك للأحاديث الكثيرة فيها، ولا يضر ضعفها وإن اشتد في كثير منها؛ لأن كثرة طرقها يجبر ذلك.

وقال المحقق ابن حجر في «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» ما نصه: وَتُسَنُّ الْعِمَامَةُ لِلصَّلَاةِ وَلِقَصْدِ التَّجَمُّلِ

أمر أصحابه، ومنهم الحسن البصري، وعن البصري أخذ أصحابه وتسلسل هذا حتى اتصل بسنده متدليًا إلى الإمام شيخ الطريق مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي ﷺ، ومنه والحمد لله بالسند الوثيق، والطريق الحقيق إلينا، ومنا إن شاء الله لمن لحقته بيعتنا في طريقة الله تعالى، وسندنا معلوم تلقاه رجالنا كابرًا عن كابر عن النبي ﷺ.

=

لِلأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ فِيهَا وَاشْتِدَادُ ضَعْفِ كَثِيرٍ مِنْهَا يَجْبُرُهُ كَثْرَةُ طُرُقِهَا وَزَعَمُ وَضْعِ كَثِيرٍ مِنْهَا تَسَاهُلٌ كَمَا هُوَ عَادَةُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ هُنَا، وَالْحَاكِمِ فِي التَّصْحِيحِ، أَلَا تَرَى إِلَى حَدِيثِ: «اعْتَمُّوا تَزْدَادُوا حِلْمًا»، حَيْثُ حَكَمَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ بِوَضْعِهِ وَالْحَاكِمُ بِصِحَّتِهِ اسْتِرْوَاحًا مِنْهُمَا عَلَى عَادَتِهِمَا». انتهى.

ويأتي عن ابن العربي أنها سُنَّة المسلمين؛ أي: طريقتهم وزيهم وهيأتهم، وتقدم أنها سيما الإسلام، وحاجز بين المسلمين والمشركين، ووقار للمؤمن، وعز للعرب، وما كان بهذه الأوصاف، ينبغي أن يكون مطلوبًا أكيد الطلب.

وقد أخرج ابن عساكر في تاريخه عن مالك قال: لا ينبغي أن تترك العمامة، ولقد اعتممت وما في وجهي شعرة.

وفي «المدارك» قال أبو مصعب: سمعت مالكًا يقول: إني لا أذكر وما في وجهي طاقة شعر، وما منا أحد يدخل المسجد إلا معتمًا؛ إجلالاً لرسول الله ﷺ.

وفي «شرح الشمائل» لابن مخلص نقلاً عن شرح «الموطأ» المسمى بـ«المختار الجامع بين المنتقي والاستذكار». قال مالك: العمة والاحتباء والانتعال من عمل العرب، وكانت العمة في أول الإسلام ثم لم تزل حتى كان هؤلاء القوم ـ يعني: ولاة بني هاشم ـ فتركناها خوفًا من خلافهم؛ لأنهم لم يلبسوها، ولم أدرك أحدًا من أهل الفضل، إلا وهم يعتمون، وكنت أرى في حلقة ربيعة وهو شيخ مالك واحدًا وثلاثين رجلاً معتمين، وأنا منهم، وكان ربيعة لا يتركها حتى تطلع الثريا. وقال ربيعة: إني لأجدها تزيد في العقل. انتهى.

وفي «المدخل» في فصل اللباس ما نصه: «قَدْ نُقِلَ عَنْ مَالِكٍ رَحِمَهُ الله أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَمُّونَ حَتَّى تَطْلُعَ الثُّرَيَّا وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ طُلُوعَهَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي زَمَانِ الْحَرِّ فَيُزِيلُونَهَا عَنْ رُءُوسِهِمْ، وَمَنْ فَعَلَ مِثْلَ هَذَا فِي هَذَا الزَّمَانِ كَأَنَّهُ ابْتَدَعَ بِدْعَةً فِي الدِّينِ حَتَّى أَنَّهُمْ لَيَرُدُّونَ هَادَتَهُ وَيَقَعُونَ فِي حَقِّهِ بِنِسْبَتِهِ أَنَّهُ دَاخِلٌ بِذَلِكَ فِي جُمْلَةِ الْمُوَلَّهِينَ وَأَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُ مُرُوءَةٌ بِسَبَبِ مَا ارْتَكَبَهُ مِنْ ذَلِكَ فَرَجَعَ فِعْلُ السَّلَفِ جُرْحَةً فِي حَقِّ مَنْ اقْتَدَى بِهِمْ». انتهى، والله أعلم. [الدعامة لمعرفة أحكام سنة العمامة ص٧] بتحقيقنا.

[معنى لبس الخرقة عند السيد حسين برهان الدين آل خزام الصيادي الرفاعي]

هذا الحكم الحسي؛ وأما المعنوي فقد رأيت رسالة صغيرة، جمعها العالم الصالح الأصيل الشيخ ناصر السويدي البغدادي - رحمه الله- وسماها: «معراج السالكين»، ذكر فيها أسئلة ألقاها على شيخه الولي المكين، السيد حسين برهان الدين آل خزام الصيادي الرفاعي قدس الله روحه، قال فيها:

سألته - يعني شيخه - عن معنى لبس الخرقة.

فقال: حقيقته التزيي بزي المرشد في الأفعال والأحوال، وقد وصفوا هذا الأمر بوصف الكسوة، وعظموا شأنه وجعلوه كالمحسوس، وأتبعوه بالمحسوس أيضًا؛ ليتعين عند من سلك طريق القوم أن يتزيّ صاحبهم بزيهم، فمتى تزيّ بزيهم ترتّب عليه العمل بأعمالهم، والتخلق بأخلاقهم، والوقوف معهم في أحوالهم، ألا ترى الرجل الجندي متى لبس كسوة الجند تعيّن عليه خوض المعامع والمعارك، واختراق الصفوف، والوقوف أمام السهام، وإذا رآه أحد عرف بالبداهة أنه ممن ترتبت عليه هذه الأفعال، بدليل كسوته لا غير، وإذا لبس لباس العامة لم يُنظر من راءٍ بذلك النظر، ولا تمر على خاطر من يراه هذه الأفعال، وتنسلخ عنه واجباتها بمجرد تجرده من كسوة الجند، وكذلك من لبس الخرقة.

ولذلك قال سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي ﷺ لفقير رأى عليه جبة صوف: يا ولدي، انظر بزي من تزيّيت، وبخلعة من تلبّست، لبستَ لباس الأنبياء والمرسلين، وتزيّيت بزي الأولياء والصالحين، فاحفظ حق زيهم بالتخلق بأخلاقهم، والعمل بأعمالهم، وإلا فاخلعه عنك.

وإن للقوم خَوافيَ حِكَم قلبية في إلباس الخرقة يطوونها حالة الإلباس للمريد، فيصلح الله تعالى شأنه كما طوى رسول الله ﷺ الأمن والإيمان في بردته الشريفة التي ألبسها كعبًا الصحابي- صاحب بانت سعاد - وهناك وراثة محمدية أخذها أهل القلوب عن الرسول المحبوب ﷺ، وسكت - قدس سره- انتهى.

[حكم لبس الخرقة عند سيدي الإمام الرفاعي ﷺ]

وقد قال سيدنا الإمام الرفاعي - رضي الله تعالى عنه - حين سُئل عن لبس الخرقة: للبسها أحكام، وهي:

ستر عورة الكذب بلسان الصدق، وستر سوءة الخيانة بثوب الأمانة، والغدر بخرقة الوفاء، والرياء بخرقة الإخلاص، والمذام بخرقة المحامد، وكل خلق دنيء بخلق سني، والتوكل على الأكوان بالتوكل على الله تعالى، وكفر النعمة بشكر المنعم.

ثم يتزين بزينة الله تعالى من ملابس الأخلاق المحمودة، مثل: الصمت عمّا لا يعنيه، وغض البصر عمّا لا يحل إليه النظر، وتفقد الجوارح بالورع، وترك سوء الظن بالناس، ويصلح عمل ما مضت به الأيام، والقناعة بيسير الرزق، وتفقد أخلاق النفس، وتعاهد الاستغفار، وقراءة القرآن، والوقوف مع الآداب النبوية، وتعرف أخلاق الصالحين، والمنافسة في الدين، وصلة الرحم، وتعاهد الجيران بالرفق، وبذل العَرض، وسخاء النفس، وهو: أن يبذلها في قضاء حوائج الخلق، واصطناع المعروف إلى الصديق والعدو، والتواضع، ولين الكلام، واحتمال الأذى، والتغافل عن زلل الإخوان، وترك مجالسة الغافلين، إلا أن تذكّرهم أو تذكر الله فيهم، والكف عن الخوض في الأعراض، وفي آيات الله تعالى، وترك الطعن على المذنبين من أمة سيدنا محمد ﷺ.

وترك الغضب إلا في انتهاك محارم الله تعالى، وترك الحقد والغل من الصدور، والصفح عن المسيء وهو: أن لا تغضب لنفسك، وإقالة عثرات أهل المروءة ذوي الهيئات، وتعظيم العلماء وأهل الدين، وإكرام ذي الشيبة، وإكرام كريم القوم من مسلم وكافر، كلٌّ على الحد المشروع مما يجوز له أن يُكْرم به ذلك الشخص.

وحسن الأدب مع الله تعالى، ومع كل أحد من حي وميت، ورد الغيبة عن عرض المسلمين، وتوقير الكبير، والرفق بالضعيف، ورحمة الصغير، وتفقد المحتاجين ومواساتهم بالبر والصلة، وميسور القول، وقرى الضيف، وإفشاء السلام، والتحبب إلى الناس على الحد المشروع.

وإيّاه وكثرةَ الكلام، والتصنع، والتشدق، فإن كثرة الكلام تؤدي إلى سقطه، ولا يكن لعانًا ولا طعانًا ولا عيابًا، ولا سبابًا ولا صخّابًا، ولا يجزي أحدًا بالسيئة في حقه إلا إحسانًا، ولا ينتظر الدوائر على أحد، ولا يسب أحدًا من عباد الله تعالى على التعين من حي ولا ميت، فإن الحي إن كان كافرًا لا تعرف بما يختم له، وإن كان مؤمنًا فلعن المؤمن كقتله، ولا يعيّر أحدًا من أهل الشهوات بشهواتهم، ولا يريد الرئاسة على أحد.

وإيّاه أن يترك الناس يبولون في أذنيه بنقل ما يسوؤه عنه وعن غيره، ولا يفرح بما ينشر في العامة من ذكره بما يحمد له، وإن كان عليه، فإنه لا يدري هل يبقى عليه أو يُسلب عنه، ولا يظهر الخشوع بجمع أكتافه وإطراقه إلى الأرض إلا أن يكون في باطنه كذلك، ولا يريد التكثر من الدنيا، ولا يبالي بجهل من جهل قدره؛ بل لا ينبغي أن يكون لنفسه عنده قدر، ولا يرغب في إنصات الناس لكلامه، ولا يجزع بما لا يسره في حقه، ويصير للحق ومعه، ويُنصِف من نفسه، ولا يطلب الإنصاف من أحد في حقه، ويسلم على المسلمين ابتداءً، ويرد السلام على من سلّم عليه حتى يسمع.

وإيّاه والطعن على الأغنياء إذا بخلوا، وعلى أبناء الدنيا إذا تنافسوا فيها، ولا يطمع فيما في أيديهم، ويدعو للملوك وولاة الأمور ولا يدعو عليهم وإن جاروا، ويجاهد نفسه وهواه فإنهما أكبر أعدائه، ولا يكثر المجالسة في الأسواق ولا المشي فيها، ويكف ضرره عن أئمة الدين، والإمساك عن الخوض فيما شجر بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم؛ بل عن الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما عملوا، وترك المراء في القرآن والقدَر، وعليه بإخراج الحرص والحسد والحقد والعُجب من القلب، وعليه بالدخول في الجماعة؛ فإن الذئب لا يأخذ إلا القاصية، وعليه بالنصيحة لله تعالى ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وإيّاه والعجلة في أموره إلا في الصلاة في أول وقتها، والحج عند وجود الاستطاعة، وتقديم الطعام للضيف قبل الكلام، وتزويج البكر إذا أدركت، وبذل المجهود في نصح عباد الله تعالى من مسلم وكافر بعلم وسياسة، وقطع أسباب الغفلة، والمحافظة على إقامة الصلوات في الجماعة، وتحسين نشأتها والخروج من الجهل بطلب العلم، وأن يستوصي

بطلاب العلم خيرًا، والندم على التفريط في استعمال الخير، والتجافي عن الشهوات ودار الغرور، واعتياد مقت النفس - وهي في اصطلاح القوم - كل خاطر مذموم، وزد المظالم، وإصلاح الطُّعمة، والسعي في إصلاح ذات البين، وإسقاط الريب، والحذر الدائم، والخشية، والهم في الله، والحب في الله، والبغض في الله، والمودة في قرابة الرسول ﷺ، وموالاة الصالحين، وكثرة البكاء، والتضرع إلى الله، والابتهال ليلاً ونهارًا، والهرب من طريق الراحات، والتذلل في كل حال لله تعالى، وتنغيص العيش بالفكر فيما يتعيّن عليه من شكر المنعم، فيما أنعم به عليه، والقصد إلى الله تعالى في كل حال منه، والتعاون على البر والتقوى من نصرة المظلوم، وإجابة الصارخ، وإغاثة الملهوف، وتفريج الكرب عن المكروب، وصوم النهار، وقيام الليل، وإن كان بالتهجد فهو أولى، وذكر الموت، وتعاهد زيارة القبور، وأن لا يقول هجرًا وهو فيها، والصلاة على الجنائز واتباعها، ومسح رءوس الأيتام، وعيادة المرضى، وبذل الصدقات، وصحبة أهل الخير، ودوام الذكر والمراقبة، ومحاسبة النفس على الأفعال الظاهرة والباطنة.

والأُنس بكرم الله تعالى، وأخذ الحكمة من كلام كل متكلم؛ بل من نظرك في كل منظور، والصبر على أحكام الله تعالى؛ فإنك بعينه، والتعرض لكل سبب يُقرّب إلى الله تعالى، واستفراغ الطاقة في محاب الله تعالى ومراضيه، والرضا بالقضاء، ويلقى ما يَرِدُ من الله تعالى بالفرح، وموالاة الحق بأن يكون معه؛ فإنه مع عباده أينما كانوا، والتبري من الباطل، والصبر في مواطن الامتحان، والزهد في الحال، والاشتغال بالأهم في الوقت، وطلب الجنة بالشوق إليها لكونها محل رؤية الحق، ومجالسة أهل البلاء بالاعتبار، ومحادثة المساكين، والقعود معهم في المحافل، والمعونة لمن يطلبك بإعانته، وسلامة الصدر، والدعاء للمؤمنين بظهر الغيب، وخدمة الفقراء، وأن يكون مع الناس على نفسه؛ فإنه إذا كان عليها فهو لها، والسرور لصلاح الأمة، والغم لفسادها، وتقديم من قدّمه الله ورسوله ﷺ، وتأخير من أخّره الله تعالى ورسوله ﷺ، انتهى.

قلت: وهذا واجبٌ على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، ويطيع الله تعالى ورسوله ﷺ.

[مطلب في تلقين الذكر]

وما بقي تلقين الذكر، ولا حجة للمعارضين بعد قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، وهو ﷺ لقّن أصحابه هذه الكلمة المباركة.

روى الإمام أحمد عن يعلى بن شداد، قال: حدثني أبي شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضر وصدّقه، قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟» -يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ- فَقُلْنَا: لاَ، يَا رَسُولَ الله، فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ وَقَالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ» فَرَفَعْنَا أَيْدِينَا سَاعَةً ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لله، اللَّهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ»[1]. قال المنذري: إسناده حسن.

هذه حجج القوم، وهي حجج لا تدحض، وقد علّم سلفهم الصالح خلفهم الناجح آداب الذكر، وأرشدوهم فيه للحال المحمدي، فألزموهم الصدق والحضور، والخضوع لله والخشوع، والخشية منه سبحانه وتعالى وعدم الغفلة عنه، وعرّفوهم أن هذه الشئون الكريمة إذا اجتمعت صارت حال النبي ﷺ في الذكر، وعلى هذا مضى السلف، وبهم فيه اقتدى الخلف، أولئك أهل الله أصحاب «لا إله إلا الله»، المتحققون بحكم خبر: «أَفْضَل مَا قُلْت أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَه إِلَّا الله»[2].

فتزيّ أيها الموفق بزيّ القوم، وتخلّق بأخلاقهم، وتلقن عنهم ذكر الله تعالى، واذكره كما ذكروه، وحَلِّ كل صفاتك بحال النبي ﷺ لتحفك أنظاره الكريمة، ولتكون من المنظومين بسلكه، المؤيدين بولايته، وهو كما قال فيه ربه سبحانه وتعالى:

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦] فانطوِ تحت ذيل ولايته الخاصة خضوعًا لسلطان نبوته العامة، وتمكّن بحكم الأدب الروحي المهذب بآدابه

---

(١) رواه أحمد (٣٧/ ٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٩١).

(٢) رواه الطبراني (١/ ٢٧٣).

الشريفة، فهو قال: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»(١)، وله يد الفضل الشامل على كل من يؤمن بالله تعالى؛ بل هو في طي البطون، وفي نشر الظهور سيد كل من لله عليه سيادة، يؤيد ذلك خطاب الله تعالى له في الكتاب المبين، بنص: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الأنبياء:١٧].

هُــو مَظْهَــرُ الــسِّرِّ الإلَهِــي الّــذِي ... شَملَتْ صُـنُوْفَ الكَائِنَـاتِ عَوَارِفُـه

وَتَبَلَّجَـــــتْ بِـــــسَمَائِه أَنْــــوارُه ... وَسَرَتْ بِهَـا ضِـمْنَ الـشّئونِ لَطَائِفُـه

صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وأشياعه، وأحبابه، وورّاثه، ونوابه أجمعين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، وقد عَلِمَ كل ذي لُب: أن القوم الذين برّأهم الله من اللوم، تركوا الأغيار، وهاجرو إلى الملك الجبار، وما هم إلا إلا كما قال واصفهم:

قَــوْمٌ هُمــومُهم بِــالله قَــدْ عَلقَــتْ ... فَـمَا لَهُـم هِمَــمٌ تَـسْمُو إلى أَحَــدِ

فَمَطْلَـبُ الْقَـوْمِ مَـوْلَاهُم وَسَـيِّدُهُم ... يَا حُـسْنَ مَطْلَـبِهم لِلوَاحِـدِ الـصّمَدِ

مَــا إنْ تُنَــازِعهُم دُنيَــا وَلا شَرَف ... مِــن المَطَــاعِمِ واللــذّاتِ لِلوَلَــدِ

وَلا لِلــبْسِ ثِيَــابِ رَاقَ رَوْنَقُهَــا ... وَلَا لِـــرَوْحِ سرورٍ حَــلَّ فِي بَلَــدِ

إلاّ مُـــسَارَعَةً فِي إِثْـــرِ مَنْزِلَـــةٍ ... قَدْ قَـارَبَ الخَطْـو فِيْهَـا بَاعَـدَ الأَبَـدِ

فَهُـــم رَهَــائِنُ غُـــدْرَانٍ وَأَوْدِيَــةٍ ... وَفِي الـشّوَامَخِ تَلْقَـاهُم مَـعَ العَـدَدِ

---

(١) أخرجه ابن السمعانى فى «أدب الإملاء» (ص٣).

[وصول المؤلف ﷺ حلب، وتعيين وارثه من بعده، والتصريح باسمه]

وإن من آيات الله في أني سرتُ أخبُّ بالقيعان على قدم التجريد، نازعًا من شئوني كلها رِبْقَة الإطلاق والتقييد، أسير الشرع لا أُبدئ بغيره ولا أُعيد، وبعد قطع مسافة وصلت حلب، وزُججت بنور أرواح سكّانها من أصحاب حضرات القدس، ولله درها من بلدة طابت أوساطها وأطرافها، وحسنت للناظر أرجاؤها وأكنافها، ولنا فيها عصابة من ذوي عصبتنا وأهل جلدتنا، وإنهم لكثيرون وأقربهم حبلاً آل خير الله من بني الصياد، ففيهم بركة ظاهره من طراز الحال الأحمدي، وكذلك آل الكيال وفي بيتهم شوارق وَلَهٍ تظهر حينًا وتنطوي حينًا، تلك بنسبة الاستعدادات والقوابل، والله يستودع ما شاء فيمن شاء.

وقد انجلى لي سر سماوي، برز لي منه كتاب غيبي، قرأت فيه فصلاً موصولاً، ونقلاً مقبولاً أعربَ: أن الله سيبدي لنا في البلدة المذكورة رونقًا مهابًا، وسيفتح لنا في أرجائها بيد العز السرمدي بابًا، ويرفع لنا منبرًا، ويؤيد لنا مظهرًا، يُجلي منار هذا الشأن في جبهة وارث سرنَا ومستودع أمرنَا، وخزانة مناقبنَا، وصندوق مواهبنَا، ألا وهو: محمد أبو الهدى بن السيد حسن، المكنى في حضرة القبول: بـ«أبي البركات» بن علي بن خزام الصيادي، ثم الخالدي، الذي سبقت الإشارة إليه، وانعطفت العبارة بالتنويه عليه.

ولا عجب، فإني رأيت غلغلة من دخان نفوس الحاسدين تحمل بشأنه على عواتقها بهتانًا وزورًا، وتنحل وتنعقد ولا تكون إلا هباءً منثورًا، فإن الله آيد أهل الحق بالحق، وصانهم من عوائق علائق الخلق، وعصمهم بحفظه عن الناس، وألبسهم من من أمراط الصيانة والعناية أشرف لباس، وإن نائبنا وصاحبنا المبرور لمن أعز صفهم المحفوظين بحفظ الله، ولا تبديل لكلمات الله، وأبوه الكنز المطلسم بصنوف الحال الرباني، والبحر المفعم برقائق المدد الصمداني، منطلق في حضرة التأييد جنانه، منعقد عن الإفصاح بالخير لسانه، كتب له قلم المدد على رقعة هيبة مظهره المأمون: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

ويا سبحان الله ما أكثر عناية رسول الله ﷺ به؛ فإنه لم يمض عليّ أسبوع منذ دخلت حظيرة الدائرة الكبرى إلا ويوصيني به عليه الصلاة والسلام، ويأمرني بملاحظته ورعايته ووقاية شأنه، والله ولي المتقين.

وقد طفتُ في سيري اجتلي من كل موضع قدم من الأرض التي أمر علَيها سرًّا مكنونًا، وشئونًا وفنونًا، وأودع في تلك البلاد والقفار، والنواحي والأقطار، أسرارًا إلهية، وحقائق ربانية، سيبديها الله تعالى إن شاء الله للعيان، بما يشرح الخاطر ويسر الناظر، ويعطر بالبهجة الأحمدية المحاضر، وربي على ما يشاء قدير.

[وصول المصنف ﷺ إلى بغداد وبشارة النبي ﷺ له]

ولما انتهى بي السير إلى العراق ودخلت بغداد شَبَحَتْ إليَّ أنظار أهل الحق من أماكنها الشريفة، ومواطنها اللطيفة، ودارت بي هالاتها، وحضت بي حالاتها، وقال منادي الغيب، المنزه بحفظ الله عن الريب:

هذه دار السلام، وموطن المقام، ووراء ذلك، من معاريج السر وأخفى ما يعرفه أهل الخصوصية من رجال السدرة الصديقية، بسم الله ما شاء الله، الله يفسح لأقل مؤمن في قبره بقدر الدنيا، وكل علامة يبرزها الله على لسان عبد من عبيده في الزوراء فهي علامة مرقدنَا، وطالعة فرقدنَا، وكلمتنا السارية، ونمطة عملنا الباقية، وها هي أعلامنا منشورة، وأقمارنا منظورة، ومناقبنا بألسن أهل الذوق الكامل والعرفان النير متلوة مذكورة، وهذا التيار سينبجس برزخه عن عصابة لنا في العراق أرى فيها آل السيد عبد الله الراوي العارف المهيَّم، مقبول الحضرة، أكثر الخُلان نصيبًا من بوارق حقائقنا، وحقائق بوارقنا.

[بيان أن السيد الرواس ﷺ نائب سيدنا ومولانا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله]

قال لي حبيبي ﷺ في الحضرة: «أنت نائبنا في الوقت، ووارث برهان حكمتنا في هذا العصر، وإنك لكنز الله الخفي الظاهر، الغائب الحاضر، بابنا الأمين، ومنهاج قربنا المبين، من رجع في مذهب المحبة إليك، وعوَّل في هذه الطريقة عليك، فقد رجع إلينا وعوَّل علينا، وحسبنا الله ونعم الوكيل» انتهى بنصه الكريم.

وما أكثر ما رأيت في حبال الشئون التي تصعد إلى العلاء من تلك البقعة زفرات نفوس، وغلبة أهوية، وتباين أفهام، واختلاف آراء، ولله في الكل أسرار لا يعلمها غيره، ومن ارتضاه من رسول، وذي أَخْذٍ عن رسول من أولي الإلهام الصحيح والكشف الصريح، وأولئك تنكشف لهم تلك الرقائق من طي تلك الظفائر، جلية تقرأ سطورها بناطقات البصائر، وعلى زيق مرط الإفاضة.

[نسب السيد السلطان علي الرفاعي ﷺ وضمنه رمز خفي]

رأيت سطر ظهور اندلع من غامضة بطن الأزل؛ فحفَّ نوره مرقد سلطان العارفين العبد الصالح أبي المحامد السيد علي الرفاعي، والد شيخ الشيوخ إمام الجماعة مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي - رضي الله عنهما- وهو في الجانب الشرقي في منتهى محلة «رأس القرية» إحدى حارات بغداد، وكأني أنظر مرقده السعيد وقد طافت به الزوار، وطارت إليه همم الأبرار، وعكفت عليه عزائم القلوب، واشتاقت إليه أرواح أهل الذوق اشتياق المحب للمحبوب.

والحمد لله هو جدنا الذي يرجع إليه مجدنا، وهو ابن يحيى النقيب، ابن ثابت بن حازم بن أبي علي أحمد بن علي بن الحسن رفاعة الهاشمي المكي بن المهدي بن أبي القاسم محمد بن الحسن بن الحسين عبد الرحمن بن أحمد الصالح، بن موسى الثاني، ابن إبراهيم المرتضى، ابن الإمام موسى الكاظم، ونسبه إلى النبي ﷺ قد مرّ في محله، وهو أشهر من أن ينبَّه عليه.

[نسب السيد المؤلف ﷺ]

وإني أتبرك بذكر عقود نسبي الطاهر؛ فأقول:

أبي هو عليّ، بن نور الدين، ابن أحمد، ابن محمد، ابن بدر الدين، ابن علي الرديني، ابن القطب محمود الصوفي، وقد تقدم ذكر نسبه إلى جده المصطفى ﷺ مسلسلاً في نسب ابن عمنا أبي البركات السيد حسن آل خزام صاحب «خان شيخون».

وأمي رحمها الله هي الشريفة: صالحة، بنت حسين، بن أحمد، بن علي، بن أحمد، ابن صالح، بن علي، بن رجب، بن شعبان، بن محمد، بن صالح، بن أحمد المكي، بن أبي بكر، بن عبد الله نزيل مكة المكرمة، بن حسين البصري، بن حسن، بن يوسف، بن رجب، بن القطب شمس الدين محمد سبط الإمام الرفاعي الأكبر، وابن ممهد الدولة عبد الرحيم، بن عثمان سيف الدين، بن الحسن، بن عسلة، بن حازم الذي تقدم ذكره رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وأم والدي السيدة الطاهرة: فاطمة، بنت أحمد، بن محمد، ابن عبد الرزاق، ابن علي ابن بركة بن ظاهر بن شمس الدين بن عبد الله بن زكريا بن زين الدين أحمد بن محمد بن موسى بن عبد السلام بن عبد القادر بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق بن القطب الفرد الغوث الكامل السيد الشيخ عبد القادر أبي محمد الجيلاني - رضي الله تعالى عنه- ابن أبي صالح، موسى، ويلقب «جنكي دوست» ابن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى ابن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الأعظم السيد المكرم سيدنا أبي محمد الحسن سبط النبي ﷺ، وينتهي لهذه الفضيلة الطاهرة نسب والدة جدي السيد نور الدين، ووالدة أبيه أحمد، ووالدة أبيه محمد.

ولنا نسبة إلى القطب الكبير والغوث الصيّت الشهير أبي محمد عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه من طريق جدنا السابع عشر؛ أعني السيد محمود بن السيد عبد الرحمن شمس الدين؛ فإن أمه هي الشريفة: برق بنت محمد الحيالي بن أحمد بن على بن حسين بن

محمد بن شرشيق بن محمد بن محمد بن ولي الله عبد العزيز دفين جبل من أعمال الموصل بن القطب الغوث الجليل الأصيل سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

وإن أمّ أمي يرجع نسبها إلى الإمام عقيل بن أبي طالب ﷺ وقد تنورت بذكر آسماء رجال أنسابنا هذه تلذذًا بأذكارهم، وتيمنًا بأخبارهم، والله ولي العون، وقد قلتُ فيما يناسب هذا:

الحمــدُ لله لي للمُــصْطَفَى نَــسَبٌ	مُنَـزَّهُ الـشَّأنِ عـن قـالٍ وعـن قيـلِ
عَـلا بـه جَـدُّنا الـصَّيَّادُ فارتفَعَـتْ	لــه مَنــابِرُ إجْــلالٍ وتَفْــضيلِ
سَـمَتْ بـه لأَبي العَبَّـاسِ حابِكَـةٌ	جادَتْ بسيفٍ من البُرْهـانِ مَـصْقولِ
أبُــوَّةٌ أيَّــدَ الــرَّحمنُ رتبَتَهــا	بنــورِ صــدقٍ بعــينِ الله مَــشْمولِ
قـامَ الرِّفـاعِيُّ في أوْسـاطِها قَمَـرًا	يجلــو المَعــاني بإجْمــالٍ وتَفْــصيلِ
وقمــتُ عنــهُ بمنْهــاجِ البُنُــوَّةِ في	طَـوْرٍ ترفَّـعَ عــن حــرفٍ وتبـديلِ
ولي أُصــولٌ تَــسامَتْ في مَعارِجِهـا	بكلِّ فحـلٍ شَريـفِ الأصـلِ بُهْلـولِ
عــرقُ الأُمومَــةِ للأسْـتاذِ يرفعُنــي	أَبي الخَـوارِقِ عبـد القـادرِ الجـيلي
قطبِ الرِّجالِ رئيسِ العـارِفينَ ومـن	يُعـزى لـه الحـالُ مـشْفوعًا بتَبْجيـلِ
مـن آلِ بيـتٍ كِـرامٍ مـسكُ سـيرَتِهِمْ	يَفوحُ في النَّاس مـن جيـلٍ إلى جيـلِ
إلى العَواتِــكِ قــدْ أدْلَتْــهُ سِلــسِلَةٌ	بكــلِّ عِقــدٍ بحبــلِ الله مَوْصــولِ
وبعــدَ هــذا وهــذا تــمَّ لي شَرَفي	وحقَّــقَ اللهُ بالمُخْتــارِ مــأمولي

وإني قد تيمنتُ بذكر هذه الأصول لشئون تنجلي من ضمير هذا النماط المكنون، يصدُّ الله به عصائب بهتان من أولياء الشيطان، وينصر ببارقة شمسه أهل العرفان من

أولياء الرحمن، فإن زفرات النفوس إذا تكاثف دخانها أعمى أهله عن الصواب، وسدوا ـ والعياذ بالله ـ عليهم الباب، وأقام لهم الأحباب بمقام الأعداء، والأعداء بمقام الأحباب، والموفقون من أهل الصدق يحفظون الحق لأهله في الغضب والرضاء، كما أنهم لا تنفك هممهم عن الله تعالى لا في الشدة ولا في الرخاء.

هذا.. وإني قد حاضرتني في بغداد أرواح أوليائها ونجبائها، والأئمة الذين عطر الله بقاعها بهم، وأكرمها بمراتبهم، فأخذت حصة البركة منهم ـ رضي الله تعالى عنهم ـ وقد أدركتُ بركة الأبوة من الإمام الكاظم، وولده الإمام إبراهيم المجاب المرتضى، ومن عقود نسبنا أبنائه المجاورين له في رحابه، ومن سلطان العارفين أبي المحامد سيدي على الرفاعي الأكبر، ومن القطب الوارث الأكمل سيدي عبد القادر الجيلي، بل ومن كل من دنت مني عصابته، ولحقتني قرابته، وطابت حضرتي بربي، فغبتُ عن الأكوان، ورجعت عن الكل إلى الله، فإن طريقتنا معاشر الأحمدية أن نُرجع الكل إلى الله ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦].

[قناطر الطريقة الرفاعية المنيفة]

قال سيدنا الإمام الرفاعي رضي الله تعالى عنه وعنا به:

رفعت طريقي هذا على أربع قناطر:

القنطرة الأولى: أن يطمس الرجل حاله السيئ محقًا بفنائه في حال شيخه الصالح، فيمحو كذبه متحققًا بصدق الشيخ، ويمحو بُخله متحققًا بسخاء الشيخ، وكذلك فيمحو كل وصف مردود له تحققًا بكل وصف مقبول من أوصاف الشيخ.

والقنطرة الثانية: هي تصحيح الحال بمحو رؤية الحال أدبًا مع النبي ﷺ، فتصح أحواله بنظام الشرع حتى تصير ظلاً لأحوال النبي ﷺ.

والقنطرة الثالثة: هي التمكن في مراتب الأحوال المحمدية التي قامت به وفقًا للقرآن العظيم الشأن، إذ النبي ﷺ خُلُقُه القرآن.

والقنطرة الرابعة: هي الاستغراق عن كونيته وعن الأكوان أيضًا بذكر الله سبحانه وتعالى، ذكر استجمع به عزائم الأحوال المحمدية، وهناك تقع الطمأنينة فتبقي قلب الرجل في حظيرة قدس ذكر الله بعد فنائه فيها ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]. انتهى كلامه رضي الله عنه.

[مطلب في صحة المعية مع الله جل جلاله]

ويعجبني ما نقله الإمام الكازروني عنه - رضوان الله عليه - أنه قال على كرسيه واعظًا وتاليًا: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]؛ فقال له سبطه الإمام السيد إبراهيم الأعزب ﷺ: أي سيدي، وبأي شيء تصح هذه المعية؟

فقال: بمحق الغيريّة.

[الاستفاضة من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وكيفيتها وفائدتها]

وسئل ﷺ عن الاستفاضة التي اعتادها السادة الرفاعية من مشايخهم.

فقال: هي ملاحظة أحوال المشايخ، وتحكيم محبتهم في القلوب، حتى تستقر هيبة أحوالهم فيها؛ لتكون بابًا لاستقرار هيبة حال النبي ﷺ في القلوب، وهنالك تحق المتابعة للمرشد الأعظم عليه الصلاة والسلام، وكلُّ نوابه من أبوابه، وهو معلّم الخير، بل هو صاحب آية الإرشاد السارية، وربُّ كلمتها الباقية، وذو البيعة الواجبة الاستسلام لها، والخضوع تحت سلطانها إلى يوم الدين، ولا ينبغي للعارف أن يقف بين أحد من الأمة وبين النبي ﷺ، بل عليه أن يجتذب قلوب الأمة إليه، ويدلها عليه، ومتى هامت به القلوب، وطابت بذكره، وشهدت بأعين البصائر نوره طافحًا في عوالم الله جميعًا، تُزَجَّ بنور هدايته، وتُنكَّس الرءوس بالأدب تحت رايته، اندراجًا بظل حمايته، فهي تكون ولابد قد استفاضت منه وأخذت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم.

فقال له قائل: أي سيدي، نراك وأمثالك تنوهون على الاستفاضة من الشيوخ.

قال: نعم؛ قلب الشيخ مجرى يمر منه ماء المدد، والمنبع الكلي قلب النبي ﷺ، فعلى المبتدئ أن يعرف المجرى؛ ليأخذ عنه وارد المنبع الكلي الأصلي، لكونه طريقه بالنسبة له مع

الشيخ، فلاحظ أي ولدي حكم المجرى بمرتبته، وصحح منهاجك بالنظر الحاذق إلى المنبع الفيّاض، الذي ها هي تجري جداوله السحاحة إلى سائر ذرات الوجودات العلويات والسفليات، كما ثبت بالنص المُبيَّن بفصل خطاب الله له عليه الصلاة والسلام بمنشور ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. انتهى.

مطلب

أبوة الإرشاد الجامع هي

للنبي عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله

والأخوة الجامعة هي للمؤمنين

قلت: أبوة الإرشاد الجامع هي للنبي عليه الصلاة والسلام.

والأخوة الجامعة هي للمؤمنين مع بعضهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات:١٠]، وأمر بموطن آخر من كتابه العزيز فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢]، فكلما كثرت معونة الرجل لأخيه كثر بنسبتها حقه عليه، ويكون إذًا أخًا أكبر، والأخ الأكبر أب، وإنما هي أبوة مجازية لها تحكُّم خاص على الشيخ بالإطاعة، وعلى القلب بالمحبة، وعلى الروح بالاستراحة لها، وتصح كل هذه المراتب إذا وافقت إرشاد النبي ﷺ؛ فإن له عليه الصلاة والسلام معنى الأبوة في مقام الإرشاد حقيقة على طريق التفرد الذي لا يشاركه فيه مخلوق قبله ولا بعده. وبعده إلا وهو نائب فيه عنه صلوات الله وتسليماته عليه، ولهذا فمن الأدب الذي يجب أن يتحقق به الشيخ المرشد مراعاة قلوب مريديه، وحفظ هممهم وأوقاتهم بتعليمهم قانون السلوك على المحجة المحمدية والطريقة النبوية، وحفظ حقوق الله وحقوق نبيه المصطفى ﷺ، وينبغي أن يكون ذابًا عن السنة، صعبًا على أهل البدع السيئة، يجذب الناس بحال النبي ﷺ إلى الله ليحببهم إلى الله ويحبب الله بهم، قال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لئن شئتم لأقسمن لكم: أن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده، ويحببون عباد الله**

إلى الله، ويمشون في الأرض بالنصيحة»[1].

قلت: والنصيحة: إرادة الخير لمن تبذل له النصيحة، وهل من خير أعظم من التزام الكتاب والسنة والتمسك بما جاء به نبي الرحمة؛ بتًا لحبل الأغيار، ورجوعًا للملك الجبار؟!

نَـــزِّهْ فُـــؤادَكَ عـــن مَحَبَّـــةِ غَـــيرِهِ فـــالغَيرُ يَفْنـــى والحَـــوادِثُ تَنْطَـــوي

والجَـــأْ لِعِزَّتِـــهِ وَدَعْ وَهْـــمَ الـــسِّوى فَـــسِواهُ مَحْـــضُ العَجْـــزِ واللهُ القَـــوي

بلى والله، إن الخير كله قد جمعه الله سبحانه وتعالى وطواه ونشره باتباع النبي ﷺ.

[رؤيا المؤلف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله]

نمتُ ضحوة يوم جمعة؛ فرأيت روح الأنام عليه من الله أفضل الصلاة وأكمل السلام؛ فوجهت الروح إليه، وأقبلتُ بالقالب عليه؛ فبش لي وتبسم ﷺ وقال: **«أهلاً وسهلاً بك، إني أحبك لقيامك بتأييد سنتي، أراك كمن يذود الناس عن النار وهم يتهاجمون عليها ويخاصمونه لذلك»**؛ فحمدتُ الله وصليتُ عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم قلت: أرشدني يا رسول الله، فقال: **«طهر القلوب من لوث العقائد الفاسدة، والمشارب السيئة، الله الله بظاهر الأحكام ففيها بواطن الإلهام»** واستيقظت وأنا على بساط المدد المحمدي أتقلب طيب منشرح الصدر، والحمد لله رب العالمين.

«اللهم إن كان ما قمتُ به من أعباء الخدمة بسنة نبيك ﷺ خالصًا لوجهك الكريم، موافقًا لحكم الذكر الحكيم، فأفرغه في قلوب عبادك، بجميع بلادك، واملأ به الفجاج والأنحاء، وطبّق به ما بين السماء والدأماء، ويافوخ الفلك وحضيض الماء».

وقد طابت والحمد لله الروح، وسحت عليها من سماوات القبول سحائب الفتوح.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٣٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٢).

[وصول سيدنا المصنف ﷺ إلى أم عبيدة[1]

وإيضاحه لرتبته

وبيان صفات الموالين له والمعادين

والإشارة لوارثه والثناء عليه وتوصيات له عظيمة]

وانجلت لي بـ(أم عبيدة) براهين الغيب من رفاف تنزلات تعرب عن نيابة جامعة محمدية، ووراثة نيرة أحمدية، صح بها الطراز، وغلبت بحكمها الصحيحة حقيقتها على المجاز، فأنا والحمد لله غوث الوقت، وفرد العصر، وصاحب منصة النيابة الكبرى، ورب المحاضرة المؤيدة العظمى، وشيخ حضرات الدوائر، ويعسوب أئمة المحاضر، وطمطام موجة البحر النبوي، وشارقة طالعة المعنى العلوي، التفت عليّ المحافل الروحية، وفرشت لي سجاجيد التأييد في كل سدرة قلبية، وزاحمت في مرتبتي أقدام الأعيان من أقطاب

(١) قال الشيخ الرواس -قُدس سره-: قال الفيروزأبادي رحمه الله في القاموس: أم عبيدة كسفينةٍ قرية قرب واسط بها قبر السيد أحمد الرفاعي.

قلت: هي دار البرهان والعرفان، ومحل نفحات الرحمن، ومضمار علوم انبجست من قلب الأكوان، وخزانة أسرار لمعت أشعة شموسها في الأكوان، غمد سيف أصلته آسياف المدد لإعلاء شريعة الرسول، وديباجة بارق باهر سلطانه في كل ليّة من خبطات صولته سيف بالقدرة مسلول، فلما تراءت عن قرب تذكرت ما طوته في حالة البعد: ووقفت استجلى من مرآة تلك المطالعة نسيج أعلام القبول الخفّاقة بالمدد المؤبد، وخيام الاختصاص، وأطنبة الإخصاص المنعقدة على أصابع الإخلاص؛حولها خيل الدولة الغيبية محيطة بالحمى، وأنوار الترقيات مع وفود هوابط الرحمات صاعدة نازلة من الأرض ومن السماء، ووراء صفوف تلك الآلآء، وصنوف هاتيك العناية البيضاء بارق لَمّاح تنطلق من طرق طرائقه أنوارُ السماح، فذكرّت نفسي ولها أن تذكر قول من قال: فقلت قوله من حيث لا أشعر:

والوافدون إليك من أوطانهم ... شاموا لبشرك بارقاً لماحاً

لما رأوك من السماح غمامة ... ركبوا إليك من المطيّ رياحاً

وانظر: بوارق الحقائق (ص ١٣٠) بتحقيقنا.

صدور السلف، وقمت مجددًا للحال النبوي في أخلاق أجيال الخلف، وُعِدتُ في الحضرة بأن الله سينشر أعلام طريقي هذا في ملك الله، ويدر بركات منهاجي هذا في جميع أرض الله، لأهل التوفيق من عباد الله، ويعز كل موال ومحب لي، بل ويعز كل من والاهم وأحبهم لأجل الله تعالى، وأن يذل بصدمات الغيب كل من عاداني، أو عادى من أحبني وانتظم بسلكي وأخذ بمنهاجي، وأن تبرز عجائب شئون الغيب قائمة من حضرة الغارة بهدم صوامع حُسَّادنا، وأن تتصرف بقلبهم عن سروجهم حالة كونهم في بحبوحة الأمن انتصارًا إلهيًا، وتصرفًا ربانيًا، وسيشرح الله إن شاء الله بمحبتنا قلوبًا كانت في ظلمة القطعية على شفا جرف هارٍ، وسيتخلص لخدمته من عصائبنا رجالاً ينور بنور إخلاصهم فجاج الأقطار، وسترى عيون الجاحدين من برهان مدد الله المستكن بنا سُيوفًا ربانية تنجذب مشهورة، فتفعل بأرباب الزور والبهتان، والظلم والعدوان العجائب.

يقوم هذا مكذِّبًا مستهزئًا فتهزه يد الصدمة الإلهية فيسقط بفالجه، ويصعب دواؤه على معالجه؛ ويقوم الآخر حاسدًا جاحدًا، فتكتنفه من كل أطرافه الهموم حتى يقعد بها ويقوم، فيراه الفطن في عزه ذليلا وفي علوه سفيلاً، وفي نفخته حقيرًا، وفي ثروته فقيرًا؛ ويقوم المتحير من وهدة حيرته فيرى صفوفًا معرجة بالإخلاص إلينا، وأخرى متهجمة بالانتقاص علينا، فإن وقف بين الصفين أمِن من راشقة السهام التي تمر بالبين، وراح لا له ولا عليه؛ وإن تهجم من قلب حيرته بفريته علينا أذابته يد القهر من السماء، كما يذاب الملح بالماء؛ وان التحق بنا، وصار من رجال ركبنا، فقد دخل الصف المأمون ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

لا تعجب يا أخا الفتح المؤنّق، والقلب الذي هو بحبل العناية الإلهية معلق، ولا تحزن إذا أكل طعامنا الجاحد، ودخل رحابنا الخب الفاسد، ولاك لسانه بالخوض فينا المأفون المغبون، وانفصم عنا بعد الاتصال المحرومون، وانقدحت الشبهة في قلب لئيم دينُه هواه، وأمله مبتغاه، ورنت جلاجل البهتان، وشنّت خيول الشيطان، وسودت بالأخبار المكذوبة الصحاف، وجعجعت بغرائب المثالب نابحة الأطراف، وهذا سكت وهذا قال،

وهذا ثبت وهذا مال، وهذا فر، وهذا استقر، وهذا زعم برشاقة فريته إناطة الفِراسة، وهذا أعمق فأدلج بضاعة إرشادنا في صناعة السياسة، وهذا صرف بمخيلته الخابطة حالنا الإلهي لمحض الدنيا، وهذا أراد بقدرته الخائبة حط كلمتنا الربانية، وكلمةُ الله هي العليا.

ولا ترع قلبك بكافر يروغ، أو بملحد يتضور غيظًا كتضور الملدوغ، أو بمنافق سفلت مع آماله همه، فصار دينه درهمه، أو بعربي استلكنته مقاصده الردية، واستعجمته همته الدنية، أو بذي غرض مطمح نظره غرضه، وفيه عافيته ومرضه، أو بربيب إحسان كفرَ النعم، وزلّ به عن طريق النجاح القدم، أو بملفق ينتخب له رأيًا، وينتجع لوصول غايته سعيًا، أو بباعق يتبع كل ناعق، أو بموافق هو عند حبكة الجو أو زالق، أو بأعجمي مفتون، أو بمنخذل بغصة فكره يجهل حكم الكاف والنون، أو بجاهل بك قربت منك جدرانه، وانطمس عن فهم معناك جنانه، أو بقريب أبعدَته دنياه، ولعب به هواه، أو بقبيح رأى قبحه في المرئيات، و«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[1]، أو بمتشيخ شملته نفخة الحسد، وأنسته ما وراء الوقت من الأمد، أو بذي جِدٍّ وقفت همة جهله عند جدوده وسربلته بقيوده، أو بذي شأن دنيوي زعم أن شأنه منك على بال، وأنك كشأنه تميل مع الظلال، أو بذي نفس رآك بمرآتها صغيرًا، وعكسته مرآته فرآه كبيرًا، أو بعليم لسان قلبه ميت بجهله، وهمته أخس من نعله، أو بذي دريهمات ظن أن الحال لا يحول وأن الشأن لا يزول، أو بذي عقيدة انسلخت عن الأدب النبوي، وسبحت مع وهمها الدني، فحلا لها الحلول، واتحد بنوعها زور الاتحاد، وانطوى معها بنشر طويته المضمرة على الفساد، حتى شهد الموجود بمشهد المُوجِد الذي لا تدركه الأبصار، وطوى المؤثر المحيط بكل شيء بهذه الآثار، وتقنَّع من خبطه بمرط الفضيحة، وتدرَّع بدرع العار، ومثله: المنحرف عن السنة البيضاء، والمحجة السمحاء من فيلسوف ممقوت، كل خبطانه أوهن من بيت العنكبوت، ومثله: رب نفس تسول له أنه على شيء من حال أو مقام، وهو في الأمرين أضل من الأنعام.

---

(١) تقدم تخريجه.

[وصيته لورثته ﷺ]

فبالله عليك وبما سيق من مدد الله إليك: رُحْ ريضَ الخاطر، نيِّر القلب، عزيز النفس، عليَّ الهمة، مستظهرًا بآيات الله على أعدائه، معتمدًا على الله، لا ترجه زعازع الأكوان، مؤيّد العزم بالاستناد إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، ثابت السر، معتصمًا بحبل الله، ناصرًا لسنة رسوله، مبرَّأً من عوائق الشطح، طارحًا رِبْقة الدعوى، يدور مع الحق حيث دار.

تمكَّن بطورك، اشهد بهذا الوجود عدم التأثير، واشهد بهذا العدم لزوم الحكم، وقف عند النص ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، و«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ»[1]، وافعل الخير جهدك، ولا ترقب مكافأة الناس، واجعل همتك في عمل الخير مصروفة إلى الله تعالى، واغتنم لك في أوقات العبادات خلوة مع الله قلَّت أو كثُرت، أطر القلب بها إليه، وتحقق فيها بالتوكل عليه، وارع حق الله والأرحام، وكن للجار خيرًا منه لك، وأكثر العفو عن الزلات، وكن فتى؛ فإن الفتوة هي: الصفح عن عثرات الإخوان، ومحِّض لسانك لذكر الله تعالى وللصلاة والسلام على رسوله ﷺ واقبض بيد همتك على ذيل الإمام الأكبر، شيخ الدوائر، أبي العلمين مولانا السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه وعنا به، فهو صاحب البساط الأحمدي الذي لا يُطوى إلى يوم الدين، وطِرْ إلى حظيرة القرب بجناحي المحبة للقرابة والتعظيم للصحابة، وأكثر من الدعاء للإمام الذي يوليه الله تعالى أمر المسلمين، وأخلص النصيحة له في دينه ورعيته وملكه وإن ثقلت، وانتصر لله فقد وعد الله بنصر من ينصره، وكن عبدًا محضًا لله تعالى، واحفظ حرمات الأولياء، وطهر الشرع من دنس الشطح وغبار هفوات الشطّاحين، وسلم لكل مسلم حاله إلا إذا ردَّه الشرع؛ فكن معه، وأكثر من ذكر هادم اللذات، وإياك والغفلة، وتباعد مهما قدرت عن الغافلين، وانقبض للمنقبضين، وانبسط للمنبسطين، واجعل عيشك وسطًا؛ إذ نحن أمة

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٤٣١)، وأحمد (٤/ ٢٦٣).

وسط، وتوسّط بثوبك وطعامك وكل شئونك، وأنصف الناس منك، واقبض زمام عيالك ومن يئول إليك، ولا تكن فيهم جبارًا، وعظّم والديك، ومن يجب حقه عليك، وصر حِلْسَ بيتك، وأكثر من الاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ.

واجعل خاتمة كل مقال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ»[1].

والحمد لله رب العالمين
آمين

(١) **قلت:** من أشرقت عليه أنوار هذا الكتاب، استمد من أسرار السيد الرواس، فسطعت عليه بوارق حقائق فيوضاته، وإن صدق فبحول الله وقوته أصبح من أبنائه ووراثه، وحينئذٍ هو موفق سعيد، من أرباب العناية الربانية.

فهرس بأهم المصادر والمراجع

- أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث لأحمد تيمور باشا ٣١٨.
- ترياق المحبين في طبقات خرقة المشائخ الرفاعيين، لتقي الدين عبد الرحمن أبي الفرج الواسطي المتوفى في بغداد سنة ٧٤٤هـ، طبع في القاهرة سنة ١٣٠٥هـ.
- المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، لعز الدين أحمد الصياد المتوفى سنة ٦٧٠هـ وهو حفيد سيدي أحمد الرفاعي، طبع في القاهرة سنة ١٣٠٥هـ.
- التاريخ الأوحد للغوث الرفاعي الأمجد، لسيدي أبي الهدى الصيادي، مط المحروسة.
- الروض النضير في مناقب السيد أحمد الرفاعي الكبير لعبد الرحمن بن عبد الكريم البكري القرشي مط التمدن ١٩٠٣م.
- الغارة الإلهية في الانتصار للسادة الرفاعية، لسيدي أبي الهدى، ط. بولاق ١٣١٠.
- الفجر المنير في بعض ما ورد على لسان الغوث الجليل السيد احمد الرفاعي الكبير لسيدي أبي الهدى الصيادي، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).
- الفيض المحمدي والمدد الأحمدي، لأبي الهدى، مط الجوائب أستانة ١٢٩٨ .
- قلائد الزبرجد على حكم مولانا الغوث الشريف الرفاعي أحمد لسيدي أبي الهدى الصيادي، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).
- قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر بيروت ١٣٠١ .
- القواعد المرعية في أحوال الطريقة الرفاعية لسيدي أبي الهدى الصيادي، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).
- الكنز المطلسم في مد اليد، لسيدي أبي الهدى الصيادي، مط العلمية ١٣١٣ هـ.
- الكوكب الدري في شرح بيت القطب الكبير، لسيدي أبي الهدى الصيادي، بيروت.
- المصباح المنير في ورد طريقة سيد أحمد الرفاعي الكبير، طبع حجر بولاق ١٣٠٠ هـ.
- نفحات الإمداد في نونية الصياد، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).
- - «الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة» لسيدي أبي الهدى الصيادي، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).
- «الرقائق الرواسية» لسيدي أبي الهدى الصيادي، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).
- «النصيحة القدسية» لسيدي أبي الهدى، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).

- «روح الحكمة» لسيدي أبي الهدى الصيادي، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).

- «حديقة المعاني في حقيقة الرحم الإنساني» لسيدي أبي الهدى الصيادي، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).

- «الفرقان الدامغ بالحق أهل البهتان» لسيدي أبي الهدى الصيادي، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).

- «الكليات الأحمدية» لسيدي أبي الهدى الصيادي، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).

- «صوت الهزار وزيق العذار» لسيدي أبي الهدى الصيادي، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).

- فصل الخطاب فيما تنزلت به عناية الكريم الوهاب، لسيدنا القطب الرواس، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).

- الدرة البيضاء لسيدنا القطب الرواس، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).

- بوارق الحقائق، لسيدنا القطب الرواس، ط دار الكتب العلمية بيروت (بتحقيقنا).

- رفرف العناية، لسيدنا القطب الرواس، (بتحقيقنا).

- مراحل السالكين للشيخ الرواس ، (بتحقيقنا).

-- سلك الدرر للمرادي، ط بيروت.

- عجائب الآثار للجبرتي، ط دار الكتب المصرية.

- تراجم بعض أعيان دمشق لابن شاشو.

- هدية العارفين للبغدادي، بيروت.

- معجم المطبوعات لسركيس. مؤسسة الرسالة بيروت.

- جامع كرامات الأولياء للنبهاني دار الفكر بيروت.

- الأعلام للزركلي، ط دار العلم للملايين، بيروت.

- معجم المؤلفين لكحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- فهرس الفهارس للكتاني، بيروت.

- حلية البشر للبيطار، بيروت.

فهرس